تام الطالب بتصحيح المطلوب

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

أصول الإسماعيلية

دراسة . تحليل . نقد

القسم الثاني

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب
سليمان عبد الله السلومي

إشراف فضيلة الدكتور
عثمان عبد المنعم يوسف
أستاذ بقسم العقيدة « دراسات عليا »

١٤٠٩هـ ١٩٨٩م

الباب الثالث

أصول الاسماعيلية ومعتقداتها

يشتمل هذا الباب على تمهيد وسبعة فصول هى كالآتى :

الفصل الأول : أصول الاسماعيلية وهما أصلان :

(١) الامامة

(٢) التأويل الباطنى

الفصل الثانى : معتقد الاسماعيلية عن الله سبحانه وتعالى

الفصل الثالث : معتقد الاسماعيلية فى النبوات والأنبياء

الفصل الرابع : معتقد الاسماعيلية فى الاخرويات

الفصل الخامس : معتقد الاسماعيلية فى مصادر المسلمين الأساسية وهما كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

الفصل السادس : معتقد الاسماعيلية فى التكاليف الشرعية

الفصل السابع : حكم الاسلام فى طائفة الاسماعيلية من خلال معتقداتهم وأصولهم السابقة

تمهيد

تنبني دراسة أصول الاسماعيلية على الرجوع مباشرة لمؤلفاتهم وكتاباتهم التى كثرت وانتشرت فى هذا العصر مؤذنة بخطورة فكرية مستفيضة والاسماعيلية - كما هو معروف وسبق أن فصلنا القول فيه - جزء من تيار باطنى اجتاح العالم الاسلامى فى القرن الثالث والرابع الهجريين بمسميات عديدة منها اخوان الصفا والباطنية والاسماعيلية والقرامطة والخرمية وحركة الزنج وهذه الحركات أو الفرق يجمعها التأويل الباطنى الذى أصبح السمة البارزة والعلامة الفارقة لجميع فرق الباطنية . وعلى هذا فالاسماعيلية ماهى الا غصن من أغصان الحركة الباطنية الأم ومن الصواب فى بيان أصول الاسماعيلية وعقائدهم الرجوع مباشرة الى مصادرهم التى ألفوها ولايسعهم بأى حال انكارها أو التبرؤ مماأثبتوه فيها وقبل الدخول فى عقائدهم وأصولهم تفصيليا لابد من التأكيد على حقائق ثلاث استقرأتها من خلال مصادرهم الفكرية وكتاباتهم الاعتقادية وهى :

<u>الحقيقة الأولى</u> : ان عقائد الاسماعيلية مزيج عجيب متعدد الأصول والمنابع فالتأثر بالفلسفات التى سبقتهم مع النظريات التى عاصرتهم مما لاينكر مع صبغهم هذا الغثاء الفلسفى بالنصوص الاسلامية شكلا لامضمونا ان هذه الحقيقة

يؤكدها عالم محقق وكاتب معاصر مع ماهي من الوضوح بمكان فى كتب الاسماعيلية الاعتقادية يقول العالم المحقق ابن تيمية : وفى أواخر المائة الثانية وقبلها وبعدها اجتلبت كتب اليونان وغيرهم من الروم من بلاد النصارى وعربت وانتشر بذلك مذهب مبدلة النصارى مثل ارسطو وذويه وكان من نتائج ذلك ان ظهر فى ذلك الزمان الخرمية وهم أول القرامطة الباطنية الذين كانوا فى الباطن يأخذون بعض دين الصابئين المبدلين وبعض دين المجوس كما أخذوا عن هؤلاء كلامهم فى النور والظلمة وكسوا ذلك عبارات وتصرفوا فيه وأخرجوه الى المسلمين وكان من القرامطة الباطنية فى الاسلام ماكان .

وفى موضع آخر يقول : ان الملاحدة الباطنية ركبوا مذهبهم من قول المجوس واليونان مع ماأظهروه من التشيع وكانت قرامطة البحرين أعظم تعطيلا وكفرا (١) .

ويقول كاتب معاصر لديه الكثير من مخطوطات الاسماعيلية ان الذين يدرسون عقائد الاسماعيلية يستطيعون أن يدركوا ان هذه العقائد مزيج عجيب من مجموعة المذاهب والديانات والآراء الفلسفية القديمة التى عرفت وانتشرت فى الأقطار الاسلامية منذ زمن بعيد بتأثير امتزاج المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات المختلفة والآراء المتباينة وان الاسماعيلية أخذوا هذه الآراء والمعتقدات وأخضعوها لفكرتهم عن الامامة بعد أن صبغوها بالصبغة الاسلامية حتى ان الباحث يستطيع أن يتعقب أكثر عقائد الاسماعيلية ويردها الى أصولها القديمة (٢) .

---

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تمية ١/٣٧٤-٣٧٥ .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٧٤ .

وهذه الحقيقة المهمة نجد علماء الفرق والمقالات السابقين يشير اليها بايجاز فالشهرستانى يقول : ان الباطنية خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج (١).

وفى وصية من وصايا أحد أئمة الاسماعيلية الى تلميذه أبى طاهر القرمطى تتأكد هذه الحقيقة أكثر يقول هذا الامام – كما نقل البغدادى – واذا ظفرت بالفلسفى فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وانا واياهم مجمعون على انكار نواميس الانبياء وعلى القول بقدم العالم (٢). وحينما ألف الغزالى كتابه فى الرد على الباطنية بين من خلال ذلك منابع الاسماعيلية – وهى كبرى الفرق الباطنية – وأصولها فى كل معتقد من معتقداتهم ففى الالهيات آراءهم مسترقة من الثنوية والمجوس فى القول بالهين ومن كلام الفلاسفة فى المبدأ الأول.

وفى النبوات مذاهبهم مستخرجة من مذاهب الفلاسفة مع التحريف والتغيير وفى المعاد يوافقون آراء الثنوية والفلاسفة الثنوية والفلاسفة فى الباطن والروافض والشيعة فى الظاهر (٣).

ومن مقام التبجح يثبت أحد دعاة الاسماعيلية المعاصرين هذه الحقيقة الواقعية المؤلمة بقوله : ان الاسماعيلية من أنجب التلاميذ الذين درسوا الفلسفة اليونانية دراسة واقعية وأخذوا منها الأفكار والنظريات وطبقوها وحوروها فى مجتمعهم وليست جمهورية افلاطون الا أحد الكتب المفضلة القيمة التى

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٢/١ .
(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٧٨ .
(٣) فضائح الباطنية للغزالى ص ٤٠-٤٢-٤٦ .

درسوها بعناية وطبقوها بامعان .(١)

وفي موضع آخر يقول : ان الاسماعيلية نظرية فلسفية وفكرة انسانية تقوم على أسس قديمة من المعرفة ... الى أن يقول : في ظلها نما الفكر اليوناني وشب وترعرع وعلى هذه الدعائم القوية والأسس الثابتة قام ونهض فكان سقراط ومن بعده افلاطون وارسطو وفيثاغورس وجابر بن حيان وابن قداح واخوان الصفا والفارابي وابن سينا والنيسابوري والرومي والسجستاني والخيام والكرماني وغيرهم ممن وضعوا أسس المعارف في الشرق ورفعوا اسمه عاليا حتى أصبح يطاول الجوزاء .(٢)

ويقول المستشرق اليهودي جولد تسيهر : ان الاسماعيلية صبغت الآراء الدينية في الاسلام بعناصر الغنوصية والافلاطونية الحديثة .(٣)

ومن الأمثلة على ماذكره الداعي الاسماعيلي مع المستشرق اليهودي مانجده واضحا في كتب الحقيقة عند الاسماعيلية حول نظرية افلاطون للمثل والتي تقول بأن مافي العالم الحسي لايعدو عن كونه أشباح لمثل في العالم العلوي . والاسماعيلية قالوا : ان مافي عالم الدين مثل لممثولات في العالم الروحاني .

كذلك الاسماعيلية اقتبسوا من الأفلاطونية الحديثة كل فلسفة الفيوضات وترتيبها بحيث اذا قرانا كتب الحقيقة الاسماعيلية نجد أنفسنا أمام الفلسفة الافلاطونية الحديثة

---

(١) القرامطة لعارف تامر ص ٨٠ .
(٢) مقدمة كتاب أربع رسائل اسماعيلية لعارف تامر ص ٨ .
(٣) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص ٢٤٧ .

وذلك كالابداع وظهور النفس الكلية عن العقل الكلى ... الخ هذه النظريات . (١)

ويؤكد المستشرق اليهودى جولد تسيهر الى أن الاسماعيلية لم يأخذوا هذه النظريات ويتوقفوا عندها - رغم انحرافها وتفاهتها - بل زادوا عليها ماهو أشد غلوا وتطرفا يقول : ان الاسماعيلية بدأوا بنظرية الفيض الافلاطونية تلك التى بنت عليها جماعة اخوان الصفا البصرية فلسفتها الدينية فى موسوعتها المصنفة وان الاسماعيلية استنبطت من هذه الفلسفة أعمق نتائجها وأشدها تطرفا . (٢)

الحقيقة الثانية : أن العقائد الاسماعيلية تأثرت تأثرا واضحا بالأفكار اليهودية والمسيحية وتلك سلسلة متصلة بفرق الغلاة من لدن فرق الباطنية حتى السبأية التى لاينكر الأثر اليهودى أو النصرانى فى معتقداتها . (٣)

ومع التتبع لمصادر القوم نجد هذا الأثر واضحا فالسجستانى - وهو من كبار علمائهم - اعترف بصلب المسيح وقال ان عيسى عليه السلام أخبر عن امامهم القائم وانه يعتبر علامة ودليلا لعيسى عليه السلام . كما انه عقد مقارنة بين الشهادة (لااله الا الله) وبين الصليب واعتقد بالاتفاق بينهما ومما قال : ان الشهادة أربع كلمات كذلك الصليب له أربعة أطراف . والشهادة مبنية على النفى والاثبات فالابتداء بالنفى والانتهاء الى الاثبات وكذلك الصليب خشبتان . خشبة

---

(١) كتاب طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٧٥-١٧٦ .
(٢) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص ٢٣٩ .
(٣) سبق أن بينا بالتفصيل هذه التاثيرات عند الحديث عن ابن سبأ ويهوديته من ص ١٠٤ فما بعد .

ثابتة لذاتها وخشبة أخرى ليس لها ثبات الا بثبات الأخرى ... الخ السخافات التى سطرها [(١)].

ونقل عن الداعى الكرمانى أنه استفاد كثيرا من التوراة والانجيل واستشهد بنصوص منهما وفى بعض مؤلفاته قوله : ان آيات التوراة تشير الى امام الاسماعيلية [(٢)].

ويؤكد أحد معاصريهم ذلك بقوله : ان الاسماعيلية سلسلوا الامامة تسلسلا منطقيا مرتكزا على النصوص التى وردت فى التوراة والانجيل [(٣)].

ومن الجدير بالذكر أننا اذا نظرنا فى كتب الاسماعيلية التى ألفت قبل دور الاسماعيلية العبيدية فى مصر نجد آراء هى من صميم العقيدة المسيحية بل صرح جعفر بن منصور اليمن فى عدة من كتبه بأن ترتيب الدعاة عند الاسماعيلية هو نفس ترتيب رجال الكنيسة النصرانية [(٤)].

ولحاجة فى نفس المستشرق اليهودى برنارد لويس عقد فصلا فى كتابه أصول الاسماعيلية بعنوان "مذهب الشمول فى العقيدة الاسماعيلية" ومما قال فيه : ان الاسماعيليين طوروا بعض أفكار عيسوية أصفهان ـ وهى فرقة يهودية متطرفة ـ وانهم صاغوا هذه الأفكار وأوجدوا نظاما محكما أصبحت بموجبه الصحة

---

(١) انظر الينابيع للسجستانى ص ١٤٦-١٤٩ .

(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص ١٧٦ ، أصول الاسماعيلية للويس ص ١٩٦ .

(٣) الامامة فى الاسلام لعارف تامر ص ١٤١ .

(٤) ومن الأمثلة على ذلك قول الاسماعيلية : ان الحجج اثنا عشر ولكل حجة داعية ولكل داعية يد ويسمون الحجة الاب والداعية الأم واليد الابن يضاهئون قول النصارى فى ثالث ثلاثة .

انظر الفرق للنوبختى ص ٨٥ هذا بالنسبة للتعليق فى الهامش أما النص فى صلب البحث فمصدره كتاب طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٧٦ .

النسبية لجميع الأديان معترفا بها مع الغاء التعصب الديني الغاء تاما . وفيما ذكر لويس في هذا الفصل ان الاسماعيليين درسوا كتب اليهود والنصارى وفسروها بأساليب اسماعيلية .(١)

ومن الوثائق التاريخية التي تدل بوضوح على تأثر الاسماعيلية بالنصرانية ماذكره المؤرخ الطبري عن أحد دعاة القرامطة ومما جاء فيه قوله : يقول الفرج بن عثمان : انه داعية المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو أحمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل وذكر أن المسيح تصور له في جسم انسان وقال له . انك الداعية وانك الحجة وانك روح القدس وانك يحيى بن زكريا وذكر في هذا الكتاب ان القبلة الى بيت المقدس والحج اليه .(٢)

وأسلوب هذا الكتاب وألفاظه واضحة فيه النغمة المستعملة في كتابات النصارى المقدسة . كما أن أفكاره ومايحمل من معاني هي أفكار نصرانية بحتة .

الحقيقة الثالثة : أن العقائد الاسماعيلية مجموعة آراء ملفقة تختلف وتتباين مكانا وزمانا فكانوا يقولون بآراء في بلد ويقولون بغيرها في بلد آخر كما كانوا يأصلون فكرا ومعتقدا ويأتون بنقيضه بعد فترة من الزمن وقد كشف هذه الحقيقة داع من دعاتهم المعتبرين وهو الكرماني الذي ألف كتاب الرياض في الحكم بين الصادين صاحبي الاصلاح والنصرة وفي هذا الكتاب يناقش الخلافات التي جاءت في ثلاثة كتب اسماعيلية هي كتاب المحصول للنسفي ت عام ٣٣١هـ وكتاب

---

(١) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٩٤-١٩٦ .
(٢) تاريخ الأمم للطبري ٢٦١/٨-٢٦٢ .

الاصلاح لأبى حاتم الرازى ت عام ٣٢٢هـ وكتاب النصرة لأبى يعقوب السجستانى ت بعد عام ٣٦٠هـ (١). ومع تعاصر هؤلاء الثلاثة تقريبا وهم من أعلام الفكر الاسماعيلى فان هذا الخلاف المرير بينهم يدل دلالة واضحة على هذه الحقيقة .

وحتى تكون هذه الحقيقة مدللا عليها من مصادرهم فهذه بعض الأمثلة :

ذكر الكرمانى أن العقل هو المعروف فى الشريعة باسم القلم وفى موضع آخر من نفس الكتاب قال : ان المنبعث الأول الذى هو العقل المسمى بالقلم موجود ثانى وانه فى الكمال كالأول (٢) .

ويعلق الدكتور محمد كامل حسين على هذا التناقض والاختلاف بقوله : فلا أستطيع أن أوفق بين الرأيين لرجل واحد فى كتاب واحد (٣) .

ومن الأمثلة تاويلهم لمعنى الشجرة الواردة فى قوله تعالى : {يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين} (٤) فهى عند المؤيد امام الزمان . وعند حاتم بن ابراهيم - أحد دعاة اليمن - هابيل بن آدم . أما جعفر بن منصور اليمن فيؤول كلمة الشجرة بابليس وهكذا يتضح مدى التضارب فى تأويلات الاسماعيلية واختلاف دعاتهم فيها (٥) .

ولقد كان الشهرستانى دقيقا وجامعا حينما عبر عن

---

(١) انظر مذاهب الاسلاميين ٢/٢٠٠ .
(٢) راحة العقل للكرمانى ص ٢٩٨ .
(٣) ديوان المؤيد تحقيق محمد كامل حسين ص ٩٦ .
(٤) سورة البقرة : ٣٥
(٥) كتاب قرامطة العراق لعليان ص ١٧٦-١٧٧ .

مذهبهم بقوله :

ولهم (أى الاسماعيلية) دعوة فى كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان .(١)

ان كثرة هذا الاختلاف والتباين فى اصول الاسماعيلية دفع حتى بالمناصرين لهم والمدافعين عنهم بالاقرار والاعتراف بهذه السوءة الفكرية يقول مصطفى غالب :من المعلوم أن العقائد الاسماعيلية لايمكن دراستها وبحثها على انها عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان فاختلفت باختلافها وتشعبت آراؤها ونظرياتها حتى أصبح من الصعب أن تبلور هذه العقائد او أن تصهر فى بوتقة واحدة .(٢)

كما يقول كاتب معاصر متعاطف معهم : ونحن نعلم أن العقائد الاسماعيلية لايمكن بأية حال من الأحوال أن تدرس على انها عقائد ثابتة لفرقة موحدة بل هى عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان لكل بيئة عقائدها وتطورت العقائد فى كل بيئة بمرور الزمن فاختلفت العقائد الاسماعيلية باختلاف البيئات وتشعبت آراء الاسماعيلية بحيث أصبح من الصعب العسير أن نلم بأطراف العقائد الاسماعيلنية طول تاريخها .(٣)

وحينما الف الشيخ احسان الهى ظهير رحمه الله كتابه "الاسماعيلية تاريخ وعقائد" بوب بابا بعنوان الاسماعيلية مجموعة تعارضات وتناقضات ثم ذكر نماذج كثيرة من كتبهم ومصادرهم وخلص الى القول :بأن القارىء عندما يسبر غور كتبهم ويتفحص فى رسائلهم ويمعن النظر فى عقائدهم ويتعمق

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٢/١ .
(٢) مقدمة كنز الولد لمصطفى غالب .
(٣) مقدمة سيرة الأستاذ جودر لمحمد كامل حسين ص ١٧ .



فى معتقداتهم ويبحث فى تعاليمهم وافكارهم ويتنقب فى آرائهم ونظرياتهم ليجد الأمر مقلوبا والحال معكوسا بأن الاسماعيلية مجموعة عقائد متعارضة وآراء متخالفة وافكار متضاربة وقواعد متناقضة وأسس غير ثابتة كاد أن لايتفق القوم فى مسألة واحدة وقضية متفردة . (١)

ان هذه الحقائق الثلاث تدل دلالة واضحة على فقدان الأصالة الفكرية للاسماعيلية كما تدل على عدم ثباتهم والتزامهم بمنهج واحد . ولايخفى مايترتب على هذين الاعتبارين من صعوبة للوصول الى الصورة الدقيقة والواضحة لمعتقداتهم وافكارهم ولاسيما ارجاع هذه المعتقدات والأفكار الى منابعها الأصلية وأصحابها الحقيقيين .

---

(١) الاسماعيلية تاريخ وعقائد ص ٦٥١-٦٥٥ .

الفصل الأول

أصول الاسماعيلية

غنى عن البيان أن للاسماعيلية أصولا وقواعد واهية ابتدعوها ولفقوها وأصبحت معتقداتهم المتعددة وآراءهم المتشعبة ترجع الى هذه الأصول وترتبط بها ومن خلال الاستقراء والمتابعة لمصادر الاسماعيليين المعتمدة عندهم (١) وصلت الى أصلين هما الأساس والمرجع لجميع معتقداتهم وآرائهم فعن طريقهما شرعوا وبناء عليهما ابتدعوا وهذان الأصلان هما : الامامة ، والتأويل الباطنى . وتفصيل القول فيهما كالآتى :

الأصل الأول : الامامة والأئمة .

تمهيد :

تعتبر الامامة - كما قلنا سابقا - من الأصول التى قام عليها مذهب الشيعة - على تعدد فرقهم وتشعبها - حيث تعد ركنا أساسيا فى مذهبهم تطغى بأهميتها ومنزلتها على جميع المعتقدات والأصول الايمانية بل هى فى نظرهم أهم وأعظم من أركان الاسلام الخمسة وأركان الايمان الستة المتفق عليها بين المسلمين . ومما نقل الشهرستانى عن الشيعة جميعا قولهم :

---

(١) وذلك كمؤلفات السجستانى وجعفر بن منصور اليمن وابن الوليد والقاضى بن حيون الاسماعيلى والحامدى والكرمانى والداعى طاهر الحارثى والمؤيد الشيرازى .. الخ المؤلفين الاسماعيليين الذين سنذكرهم ونذكر مؤلفاتهم بالتفصيل عند ذكر فهارس المصادر والمراجع ان شاء الله وذلك فى آخر الرسالة .

ان الامامة ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الامام بنصبهم بل هى قضية اصولية وهى ركن الدين لايجوز للرسل اغفالها واهمالها ولاتفويضها الى العامة وارسالها .(١)

ومع انحراف الشيعة الاثنى عشرية وغلوهم فى أصل الامامة واعتقاداتهم فى الأئمة (٢) ، فان الشيعة الاسماعيلية أشد غلوا وتطرفا وأعظم انحرافا فى هذا الأصل كما سيتضح لنا ذلك من خلال نصوصهم التى ننقلها من مصادرهم مباشرة وليست مما نقله علماء الفرق والمقالات عنهم – مع تحريهم وعدلهم فى القول – وحتى لاتتشعب بنا نصوصهم الكثيرة التى تصل الى مؤلفات فى هذا الأصل مع مايضاف الى ذلك من أن الكثير من معتقداتهم عن الامامة والأئمة يشتركون فيه مع الامامية الاثنى عشرية (٣) فاننا والحالة هذه سنقتصر على الموضوعات المهمة فى هذا الأصل لديهم وذلك بتقسيم الحديث عن أصلهم هذا الى الموضوعات الآتية :

(أ) نصوصهم عن الامامة ذاتها .

(ب) نصوصهم فى أئمتهم .

(ج) تصوير علماء الفرق والمقالات أصلهم هذا .

(د) نقد أصل الاسماعيلية فى الامامة والأئمة .

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٤٦/١ .

(٢)،(٣) سبق الحديث عن هذا الأصل عند الاثنى عشرية وذلك فى القسم الأول من الرسالة ص ١٢١-١٤٥ .

(أ) الامـامـة :

(١) تعريف الامامة :

هـي ـ كمـا يقول الشيرازي ـ اعتقاد وصاية علي بن أبي طالب وامامـة الائمـة المنصوص عليهم من ذريته ووجوب طاعته وطاعة الأئمة[(١)] .

ومن هـذا التعريف نرى الخلاف والفرق بين الاسماعيلية والاثنى عشرية حيث يفرق الاسماعيليون بين الوصاية والامامة فلم يكن على بن أبى طالب اماما من ائمتهم ـ كما هو رأى الشيعة الاثنى عشرية ـ بل هو وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هنا ذهبوا الى أن الوصاية أفضل وأعظم من الامامة وان الامامة تلى الوصاية فى الرتبة فعلى كان وصى النبى صلى الله عليه وسلم وكانت الامامة بعده الى الحسن بن على وهو أول ائمتهم وبعده كانت الامامة فى الحسين ... الخ سردهم للأئمة .

فالوصي عند الاسماعيلية ـ والمقصود به على بن أبى طالب ـ لايعد اماما بل هو فوق الامام وعلى ذلك فالامامة شيء والوصاية شيء آخر[(٢)] .

وعلى كل فالفكرة أصلها ومنبتها يرجع الى ابن سبأ الذي وضعها للشيعة حينما قال : انه كان ألف نبى ولكل نبى

---

(١) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ٧٠ .
(٢) نبه الشيخ احسان الهي ظهير رحمه الله فى كتابه "الاسماعيلية" الى خلط معظم الكتاب بين الوصي والامام من المسلمين والمستشرقين وحتى الاسماعيليين الذين لم يفقهوا مذهبهم وذلك عند حديثهم عن امامة على والصحيح انه فى مذهب الاسماعيلية وصي وليس امام والوصاية فوق الامامة . انظر الاسماعيلية تاريخ وعقائد ص ٣٤٩-٣٥٠ .

وصي وكان علي وصي محمد ثم قال : محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء ... الخ .(١)

(٢) اهمية الامامة :

ان الدارس لكتب الاسماعيلية يرى الاصرار العجيب حول هذا الأصل وتضخيمه حتى يطغى على جميع المعتقدات والآراء فهو محور أساسي تدور عليه كل عقائد الاسماعيلية فعندهم أن الامامة أحد أركان الدين بل هي الايمان بعينه وعن ذلك يقول أحد دعاتهم : ان الامامة أحد أركان الدين بل هي الايمان بعينه وهي افضل الدعائم وأقواها لايقوم الدين الا بها كالدائرة التي تدور عليها الفرائض لاتصح الا بوجودها .(٢)

كما يقول آخر : ان الامامة فرض من الله سبحانه أكمل به الدين فلايتم الدين الا به ولايصح الايمان بالله وبالرسول الا بالايمان بالامام والحجة ويدل على فرض الامامة اجماع الأمة على أن الدين والشريعة لايقومان الا بالامام وهذا حق لأنه سبحانه وتعالى لايترك الخلق سدى ولايمنعهم هذه الفريضة التي لاتسوغ الهداية الا بها وان الرسول نص على ذلك نصا تشهد به الأمة كافة .(٣)

كما يعبر عن اهميتها داع اسماعيلي آخر بقوله : ان الامامة تعتبر أفضل الدعائم واقواها ولايستقيم الدين الا بها فهي مركز تدور عليه دائرة الفرائض فلايصح وجودها الا بوجوده

---

(١) انظر بالتفصيل عن عقيدة الوصاية عند السبأية ص ٩٦-٩٧ من القسم الأول من الرسالة .
(٢) المصابيح في اثبات الامامة للكرماني ص ١٢ .
(٣) تاج العقائد للداعي الاسماعيلي علي بن الوليد ص ٦٥-٦٦

وهي تستمر مدى الدهر وانه لو فقد الامام ساعة واحدة لماد الكون وتبدد[(١)] .

وزعم قاضي الاسماعيلية ابن حيون أن محمد الباقر قال عن الامامة : بني الاسلام على سبع دعائم . الولاية وهي أفضلها وبها وبالولي يوصل الى معرفتها والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد[(٢)] .

ونتيجة لهذا الغلو في اصل الامامة والايمان به فقد بنوا عليه صحة الأعمال وقبولها ونصوصهم عن ذلك كثيرة منها قول الداعي الشيرازي ان الله أوجب طهارة وصلاة وزكاة وصوما وحجا وجهادا وجعل ماسك الجميع ورابطه والمانع من اختلاله ولاية الوصي والأئمة التي هي آخر فرض الدين واذا بطلت من الدين ولاية الوصي بطلت الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وعاد الدين جاهلية والولاية من الدين العمدة[(٣)] .

وقول قاضي الاسماعيلية بن حيون : فان أطاع المرء الله ورسوله وعصى الامام أو كذب به فهو آثم وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة رسوله فطاعة الله عز وجل مقترنة بطاعتهم ولن يقبل الله من مطيع طاعة الا بطاعة من افترض عليه طاعته من أوليائه الذين هم الأئمة من أهل البيت[(٤)] .

ويقول بن حيون في موضع آخر : ان المستجيب لابد له بعد

---

(١) الامامة لعارف تامر ص ٦٥-٦٦ .
(٢) دعائم الاسلام ٢/١ ، تاويل الدعائم ٥١/١ وكلاهما للقاضي النعمان بن حيون .
(٣) ديوان المؤيد ص ٧٠ .
(٤) المرجع السابق ص ٧٠-٧١ .

الاقرار بأنبياء الله ورسله من معرفة امام زمانه وحجته ان كان قد نصبه أو العلم ان لم ينصبه بانه لابد من نصبه اياه ليكون الأمر اليه من بعده والتوقيف على ذلك الى منتهى حده .(١)

ومن مزاعمهم مانسبوه الى جعفر الصادق رحمه الله انه سئل عن قوله تعالى : {ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم}(٢) فقال : ايانا عنى به ونحن أولوا الأمر وطاعتنا مفروضة وبنا يعبد الله وبنا يطاع الله وبنا يعصى الله فمن أطاعنا فقد أطاع الله ومن عصانا فقد عصى الله .(٣)

ونصوص الاسماعيلية حول غلوهم فى الامامة كثيرة جدا افردوا لها فصولا وأبوابا بل مؤلفات .(٤)

(٣) تفضيل الامامة على النبوة :

بلغ الغلو فى أصل الامامة عند الاسماعيليين أقصاه حيث اعتبروا رتبتها أعظم قدرا وأفضل منزلة من النبوة والرسالة فاطلقوا على النبوة والرسالة رتبة (الاستيداع) وأطلقوا على الامامة والوصاية رتبة (الاستقرار) ولاشك بأفضلية الرتبة الثانية على الأولى حسب أصول الاسماعيلية وقواعدها ومن نصوصهم التى تؤكد ذلك ماذكره الداعى الاسماعيلى الحارثى

---

(١) تأويل الدعائم للقاضى الاسماعيلى بن حيون ١٠٢/١ .
(٢) سورة النساء : ٥٩
(٣) دعائم الاسلام لابن حيون ٣٩/١ .
(٤) وذلك ككتاب المصابيح فى اثبات الامامة للكرمانى والهمة فى آداب اتباع الأئمة للقاضى بن حيون والامامة لعارف تامر واثبات الامامة للنيسابورى وغيرها من المؤلفات .

بقوله : ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اجتمعت عنده النبوة والرسالة والوصاية والامامة فابنه اسماعيل سلمه (١) رتبة الوصاية والامامة بأمر من الله تعالى اذ هو مقام الهى وهيكل نورانى . وسلم الى ولده اسحاق رتبة النبوة والرسالة وجعله خادما بين يدى أخيه اسماعيل وحجابا عليه وداعيا اليه لان اسماعيل وأولاده مقامات الهية ذو هياكل نورانية اذ هم أهل الاستقرار واسحاق وأولاده حجج ودعاة ظاهرة لاسماعيل وأولاده وحجب عليهم (٢) .

ومن مظاهر تفضيل الامامة على النبوة قولهم عن الولاية :

انها سر النبوة وباطنها ويرسمون لها رسما دائريا ابتداء من دائرة كبيرة كتبوا عليها الرسالة ثم دائرة فى داخلها كتبوا عليها النبوة ثم دائرة أخيرة فى داخل هذه الدوائر وكتبوا عليها الولاية وهذه هى صورتها :

الرسالة

النبوة

الولاية

---

(١) المقصود ان ابراهيم سلم ابنه اسماعيل كما هو واضح من السياق .

(٢) الأنوار اللطيفة للداعى الحارثى ص ١٢٢ من الحقائق الخفية للأعظمى .

ويقولون ان الولاية اما كلية او خاصة فالولاية الخاصة تجلت فى كل أولياء الله الذين سموا أنبياء . أما الولاية الكلية فقد تجلت فى أمير المؤمنين على بن ابى طالب وينسبون اليه انه قال :كنت وليا وآدم بين الماء والطين ولهذا ينعتون عليا بأنه خاتم الولاية الكلية كما كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء .(١)

(٤) استمرار الامامة أو تسلسلها :

ان هذا المعتقد ضمن أصل الامامة مما يختلف فيه الاسماعيليون عن الاماميين الاثنى عشريين ذلك ان الفرقة الثانية وان كانوا يسلسلون الامامة الى الامام الثانى عشر فانه يعتبر آخر الائمة وليس لديهم من ذلك الوقت امام الى الآن طمعا فى خروجه من السرداب . فهم بذلك أوقفوا استمرار الامامة عند الثانى عشر الغائب . بينما الاسماعيليون يردون بقوة على هذه الفكرة ويشنعون على اخوانهم الاثنى عشريين ويرون ان الامامة ـ كما عبر داعيتهم جعفر بن منصور اليمن ـ لاتتغير ابدا مع مرور الدهر فالائمة ينتقلون ويصيرون الى دار كرامته ومحل رضوانه بغيبة أشخاصهم وقيام الخلف منهم مقام السلف باتصال الامامة لأنها تنتقل ولاتزول والأئمة يتوارثون بالانتقال والاتصال خلفا عن سلف .(٢)

فالاسماعيليون يعتقدون أن الامامة مستمرة أبد الدهر

(١) مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى ٢٩٤/٢-٢٩٥ .
(٢) أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن ضمن المنتخب من بعض كتب الاسماعيلية لايفانوف ص ٥٢ وانظر كتاب قرامطة العراق لعليان ص ١٨٠ .

وانها متسلسلة فى الأعقاب ولذلك نجد لهم نصوصا تجزم باستحالة خلو الأرض من امام اما ظاهر أو مستور . كما قال الداعى الاسماعيلى حسن بن نوح : ان الأرض لاتخلو طرفة عين من قائم لله بحق لهداية عباد الله وخلقه اما ظاهرا مشهورا او باطنا مستورا .(١)

كما يقول ابن الوليد : ان نور الامامة غير منقطع وان توارى بالحجاب(٢) ويفسر أحد دعاتهم المشهورين قوله تعالى : {يوم ندعوا كل اناس بامامهم}(٣) بأن المقصود بذلك امام الزمان الذى يجب أن يكون موجودا اما ظاهرا أو مستورا .(٤)

وبعد أن أوجبوا استمرار الامامة وعدم توقفها عينوا هؤلاء الأئمة تعيينا يخرج غيرهم من فرق الشيعة وقالوا : ولايكون أحد اماما الا من أولاد على والحسن والحسين ثم فى أولاد الحسين لافى أولاد الحسن ثم فى أولاد اسماعيل بن جعفر لافى أولاد أحد غيره(٥) . وهم بهذا يخرجون فرق الشيعة كلها ولاسيما الزيدية والامامية وحرصا على عقيدتهم فى استمرار الامامة أمد الدهر ابتدعوا عقيدة أخرى أظهر مافيها انها

---

(١) كتاب الأزهار ضمن منتخبات اسماعيلية لعادل العوا ص ١٨٩ .
(٢) رسالة الايضاح لابن الوليد ضمن أربعة كتب اسماعيلية ص ١٤٩ .
(٣) سورة الاسراء : ٧١
(٤) كتاب الافتخار لأبى يعقوب السجستانى ص ٧٠ .
(٥) جميع كتب الاسماعيلية تنص على ذلك ومنها على سبيل المثال دعائم الاسلام للقاضى الاسماعيلى بن حيون ٢٨/١ فما بعد وذلك تحت عنوان . باب ايجاب الصلاة على محمد وعلى آل محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وانهم أهل بيته وانتقال الامامة فيهم . وكتاب الارجوزة المختارة لابن حيون أيضا ص ٣٠ ، كتاب المصابيح فى اثبات الامامة للكرمانى ص ١٠٩ فما بعد ، عيون الأخبار للداعى ادريس ص ٣٣٤-٣٣٥ وغيرها من كتب الاسماعيلية .

لسد الثغرات التى تقع طبعيا من انقطاع نسل أو دعوى انتساب وغيرهما . تلك هى : نظرية الاستقرار والاستيداع .

(٥) نظرية الاستقرار والاستيداع :

وهى عقيدة اختص بها الاسماعيلية ويعنون بها ان الامامة نوعان : امامة مستقرة وامامة مستودعة فحينما يتولى الامامة شخص من آل البيت حسب سلسلتهم لهؤلاء الائمة يكون مستقرا وهو الذى يملك نقل الامامة الى من بعده اما حينما يتولاها الحجة أو أحد الدعاة المقربين من الامام فانه يكون اماما مستودعا فتعتبر الامامة عنده وديعة لايملك نقلها الى احد البتة بل يسلمها الى صاحبها الأصلى عند زوال أسباب الاستيداع فالامام المستودع هو ذلك الشخص الذى يتولى الامامة مؤقتا كأن يكون الامام المستقر صغيرا لايستطيع القيام بمهام الامامة أو يجب ان يكون مستورا لايظهر الا للمقربين اليه فى بعض الظروف الاستثنائية (١) .

ويوضح الداعى الاسماعيلى أبو الخطاب نموذجا عمليا لهذه العقيدة بقوله : فأودع اسماعيل حجته المنصوبة بين يديه مقامه لولده محمد وأقامه سترا عليه واستكلفه اياه الى بلوغه أشده فلما بلغ أشده تسلم وديعته (٢) .

كما يقولون ان محمد بن الحنفية استودع الامامة بعد مقتل الحسين ثم سلمها الى على بن الحسين الملقب زين

---

(١) أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن . انظر قرامطة العراق لعليان ص ١٨١ .
(٢) غاية المواليد لأبى الخطاب نشر ايفانوف بعنوان المنتخب من بعض كتب الاسماعيلية ص ٣٥-٣٦ .

العابدين فتسلسلت في أبنائه حتى اسماعيل بن جعفر الصادق الذي استودعها أخاه موسى ليسلمها الى ابنه محمد بن اسماعيل[(١)] .

وفي كتاب اسماعيلي سري يرى صاحبه أن الحسن بن على رضي الله عنهما امام مستودع للحسين رضي الله عنه وهذا نصه وجرت الامامة في ولد على وفاطمة بنت محمد عن أمر محمد وعلى لأمر يقصر عنه الفهم ولايعلمه الا الراسخون في العلم فظهر من بينهما الحسن عليه السلام وكان مستودعا لسر الامامة فلذلك انقطعت الامامة عن عقبه ولم تجرفي نسبه وكان الحسين صلوات الله عليه مستقرا لها فلذلك جرت في عقبه واتصلت في نسبه وكان عنده اجتماع ذلك النور المنقسم ومنه تسلسلت الامامة في أولاده ... الخ[(٢)] .

ومرت فترة عند الاسماعيلية تسمى دور الستر تعمية وتغطية لامامة القداحيين الذين يقولون عنهم أئمة مستودعين فكان هذا هدفا واضحا من أهداف هذه النظرية التي يسمونها بالامامة المستقرة والامامة المستودعة وسترا وايغالا في باطنية نسبهم وانقطاعه قالوا حتى عن المهدى - أول أئمة دور الظهور - انه مستودع للامامة يقول أبو الخطاب : ولما حضرت المهدى النقلة سلم الوديعة الى مستقرها وتسلمها محمد ابن على القائم بأمر الله وجرت الامامة عقبه حتى انتهت الامامة الى مستقرها ومعدنها واطمأنت بموضعها وموطنها[(٣)] .

---

(١) زهر المعاني للداعي ادريس عماد الدين ص ٥٢ .
(٢) رسالة تحفة المرتاد وغصة الأضداد لعلي بن الوليد ص ١٦٨ ضمن اربعة كتب اسماعيلية جمع شتروطمان .
(٣) غاية المواليد لأبي الخطاب ص ١٢٩ من أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس .

والحقيقة ان هذه العقيدة لدى الاسماعيلية لها اهمية كبيرة وذات مغزى دقيق وسبق أن بينت ذلك فى مراتب الأئمة (١) .

(ب) الأئمة .

(١) دعوى الوهية الأئمة :

أضاف الاسماعيليون الى أئمتهم صفات الألوهية وغلوا فى ذلك غلوا مخرجا عن ملة الاسلام فمن وصاياهم الى أتباعهم قول أحد دعاتهم : واعلم بأن الامام الموجود للانام لايخلو منه مكان ولايحوزه مكان لأنه الهى الذات سرمدى الحياة ولو لم يتانس بالحدود والصفات لما كان للخلق الى معرفته وصول (٢) .

وجاء فى كتاب المحصول للنسفى : أن الامام هو غاية الوجود وهو المختار لفكاك الخلق من أسر الطبيعة والارتقاء بهم الى المنزلة الرفيعة فهو الهى الذات سرمدى الحياة تأنس بالحدود والصفات فصار غاية الغايات ومبدع الذات ومخترع الصفات ويعطى الخيرات والبركات وهو مبدع الابداع وصاحب الأمر المطاع وهو الفضل الغير معدود والغير محدود (٣) .

ومع مافى هذا النص من صراحة واضحة فى دعوى الوهية أئمتهم فان هناك من معاصريهم من جاهر بدرجة أكثر بهذه الدعوى الخطيرة يقول غالب : ان الامام هو أداة البارى من حيث الوحدة الحقيقية اذ كان مجردا عن الجسم . فاذا ظهر

---

(١) القسم الأول من الرسالة ص ٤٠٣-٤٠٨ .
(٢) رسالة مطالع الشموس لشهاب الدين أبى فراس ضمن كتاب أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر ص ٣٣ .
(٣) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ١٣-١٤ نقلا من كتاب المحصول .

الامام بصورة الجسم كان اسم من أسماء الله وصفة من صفاته واذا اتحدت صفاته العليا كان هو الله فى الحقيقة ... ثم يضيف الى أن الامام فى الوجود بمثابة الواحد فى العدد[1] وفى كتابين سريين تصريح بتأليه الأئمة عند الاسماعيلية فمما نقلوه ـ كذبا وبهتانا ـ عن محمد الباقر انه قال : ماقيل فى الله فهو فينا وماقيل فينا فهو فى البلغاء من شيعتنا[2] ونصوصهم عن هذه الفرية كثيرة جدا نقل الشيخ احسان الهى جمعا منها فى كتابه عن الاسماعيلية[3] .

ومن مظاهر تاليه الأئمة عند الاسماعيلية أنهم رمزوا الى الامام فى تأويلاتهم الباطنية بأنه هو وجه الله ويد الله وعين الله وغير ذلك من الصفات ولهم نصوص تؤكد ذلك . يقول صاحب سرائر النطقاء : فعلى روح الله القدسية التى أخضع لها كل المخلوقات وجعله السبب الى توحيده والدليل الى وجوده اذ نعته الله بصفته فهو جنب الله وعينه وأذنه ووجهه ويده لتأنس الخلائق الى معرفة توحيده باقامة حدوده .

ومما رووه عن على بن أبى طالب كذبا انه قال : قولوا فى فضلنا ماشئتم لأنا أبواب الله وحججه وأمناؤه على خلقه وخلفاؤه وائمة دينه ووجه الله وجنبه[4] .

وقد أكد داعى دعاة الاسماعيلية على هذه الأوصاف الالهية فى ديوانه فمما قال مخاطبا أحد الأئمة الاسماعيلية :

---

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٤ .
(٢) كنز الولد للحامدى ص ١٩٥ ، تأويل الزكاة لجعفر ابن منصور اليمن ورقة ١٤٠ .
(٣) الاسماعيلية تاريخ وعقائد للشيخ احسان الهى ص ٢٩٩-٣٠٩
(٤) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ٨٢-٨٣ .

فوجهك وجه الاله المنير
ونورك من نوره كالحجاب
يداك يد الله مبسوطتان
وانت له الجنب غير ارتياب
وانك برهانه فى الأنام
وانك مصمامه فى النصاب

كما يقول أيضا :

شهدت بانك وجه الاله وجوه الموالى به ناضره

ويقول ايضا :

هو الوجه وجه الله والجنب جنبه
من الوحى قد قامت عليه الدلائل

كما يقول أيضا :

قد حله وجه الاله وجنبه
ولسان صدق محمد وجنانه (١)

وحينما نقلب النظر فى كتب الاسماعيلية الباطنية القديمة نجد ان المؤيد الشيرازى الذى توفى فى آخر القرن الخامس الهجرى (٢) قد استقى هذه الفكرة من كتب الحقيقة ممن سبقه فجعفر بن منصور اليمن الذى عاش فى أواخر القرن الرابع الهجرى (٣) يقول عن هذه الأسماء والأوصاف : فعلى روح الله القدسية التى اخضع لها كل المخلوقات وجعله السبب الى توحيده والدليل الى وجوده اذ نعته الله بصفته فهو جنب

---

(١) ديوان المؤيد مقدمة محمد كامل حسين ص ٨١-٨٢ ، والأبيات الثلاثة الأولى فى القصيدة رقم ١١ من الديوان ص ٢٣١ .
(٢) اعلام الاسماعيليين لمصطفى غالب ص ٦٠٠ .
(٣) المرجع السابق ص ١٨٥-١٨٦ .

الله وعينه واذنه ووجهه ويده لتأنس الخلائق الى معرفة توحيده باقامة حدوده .[1]

ومن هذه النصوص وغيرها أستخلص الدكتور محمد كامل حسين أن الاسماعيلية جعلوا للائمة صفات لم تعرفها فرق الشيعة الأخرى ففي تاويلاتهم الباطنية أن الامام هووجه الله ويد الله وجنبه وانه هو الذى يحاسب الخلق يوم القيامة فيقسمهم بين الجنة والنار ... الخ الصفات التى ثبتت لله عز وجل ثم نقلوها الى الامام حتى قالوا : ان الامام هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار .[2]

ولكون هذه الأفكار والمعتقدات من الالحاد والكفر الصراح فانه ـ كما قال الدكتور حسين ـ يجب أن نلاحظ ان هذه الصفات التى أسبغوها على الأئمة والتى جعلته مثلا للعقل الكلى لم يستطيعوا أن يصرحوا بها للعامة أو للمبتدئين من المستجيبين بل لم يكن يعرفها الا من استمع الى داعى الدعاة نفسه فى المجالس التى كان يعقدها للخاصة فقط أما أمام جمهور الناس ولاسيما فى الدور الفاطمى بمصر فلم يكن الدعاة بقادرين على الابانة عن هذه العقائد أو الاشارة اليها .[3]

وقد صرح شعراء الاسماعيليين بفرية تأليه الأئمة وجاهروا بها بأسلوب المديح والثناء عليهم . فالحسن بن هانىء[4] يقول مخاطبا المعز العبيدى :

---

(١) سرائر النطقاء لجعفر بن منصور اليمن ص ٥٦ نقلا من ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ٨٢ .

(٢) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٥٦-١٥٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٦٠ .

(٤) شاعر اسماعيلى ولد فى الأندلس سنة ٣٢٠هـ وقد طرد منها لتشيعه على مذهب الاسماعيلية ووفد على المعز العبيدى فى مصر وأقام فى بلاطه يمدحه ويثنى عليه على منهج =

ماشئت لاماشاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار (١)

ويقول شاعر آخر فى مدح الآمر :

بشرفى العين الا انه عن طريق العقل نور وهدى

جل أن تدركه اعيننا وتعالى أن نراه جسدا

تدرك الأفكار فيه بانيا كاد من اجلاله أن يعبدا (٢)

ويقول المؤيد الشيرازى فى مدح المستنصر :

لأمرك وجهت وجهى حنيفا

واسلمت نفسى فى كل باب

فوجهك وجه الاله المنير

ونورك من نوره كالحجاب

يداك يد الله مبسوطتان

وانت له الجنب غير ارتياب

اليك المآب عليك الحساب

فطوبى لمن نال حسن المآب

وانت المثيب لأهل الثواب

وانت المعاقب اهل العقاب (٣)

كما يقول ابن هانىء فى موضع آخر مخاطبا امام زمانه :

ندعوه منتقما عزيزا قادرا

غفار موبقة الذنوب صفوحا (٤)

= الباطنية وقد غالى فى ذلك حتى وصفه بالأوصاف الالهية مما جعل أكثر النقاد يعتبره من الغلاة الملحدين وكانت نهايته غامضة حيث وجد مقتولا سنة ٣٦٢هـ . انظر أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٤٩٩-٥٠٣ .

(١) ابن هانىء المغربى لمحمد اليعلاوى ص ١٢٩ ، ديوان ابن هانىء ص ٣٦٥ القصيدة الرابعة والعشرون .

(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٥٩ وانظر الهفت الشريف ص ١٧٧ .

(٣) ديوان المؤيد ص ٢٣١-٢٣٢ .

(٤) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ١٥ .

ويقول تميم العبيدى فى مدح العزيز العبيدى :

ملك تزيد طباعه كرما على
خلق المعز وشيعة المنصور

انا عبدك المخلوق منك
وانني لجميل ماأوليت الف شكور (١)

وفى موضع آخر يقول عنه :

ماأنت دون ملوك العالمين سوى
روح من القدس فى جسم من البشر

نور لطيف تناهى منك جوهره
تناهيا جاز حد الشمس والقمر

معنى من العلة الأولى التى سبقت
خلق الهيولى وبسط الأرض والمدر (٢)

وهكذا نجد أن شعراء الاسماعيليين جاهروا بالكفر والالحاد فوصفوا البشر بأوصاف الله عز وجل (تعالى الله عما يقول الظالمون) .

وقد حاول بعض الكتاب المعاصرين ـ ممن يتعاطف أو يتساهل مع الاسماعيليين ـ الاعتذار عن هذا الكفر الصريح فقال : ان القدماء فهموا من هذا البيت (٣) وأمثاله ان الائمة كانوا يدعون الالوهية . والواقع انهم لم يدعوها ولم يتخذهم اتباعهم آلهة لهم ولكن الفاطميين قالوا بأن الائمة مثل

---

(١) ديوان الأمير تميم بن المعز ص ٢٠٩ .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٦٠ ، اعلام الاسماعيليين لمصطفى غالب ص ١٧٥ .
(٣) المقصود منه بيت الشعر الذى تفوه به ابن هانىء بقوله ماشئت لاماشاءت الأقدار ... الخ وهو أصرحها كفرا والا ففيه مثله كثير ونقلنا آنفا نماذج من ذلك .

للعقل الأول فهم ـ أى الأئمة ـ على هذا النحو أقرب الحدود الى الله تعالى فى عالم الكون والفساد كما أن العقل الأول أقرب الحدود العلوية الى الله تعالى (١) .

والواقع اننا اذا حللنا مرادهم بالعقل الأول اتضح لنا فساد الاعتذار وثبوت دعواهم الوهية الأئمة . فالعقل الأول له أسماء متعددة عندهم حيث يطلق عليه السابق ويطلق عليه القلم ويصفون هذا العقل بأنه تام وكامل وأزلى وعاقل وعالم (٢) .

ومع التتبع لهذه الأسماء أو الأوصاف فى كتب الحقيقة عندهم نجد انهم يعتبرونها أسماء أو أوصافا لله عز وجل ففى رسالة مطالع الشموس قولهم عن الله : انه العقل المفضل والسابق التام وان الله لما أظهر العالم من العدم الى الوجود ظهر له اسم ليس كمثله شىء وهو العقل الأول (٣) .

وفى موضع آخر يقولون : ان أسماء الله الحسنى هى أسماء العقل الكلى أوالسابق فهى تنطبق اذن على الناطق أو الامام (٤) .

ومن هذه النصوص الاسماعيلية حكم الدكتور محمد كامل حسين على أصل الاسماعيليين هذا بقوله : ان مايقوله المسلمون عن الله سبحانه وتعالى خلعه الاسماعيلية على العقل الكلى فهو الاله عند الاسماعيلية واذا ذكر الله عند الاسماعيلية فالمقصود هوالعقل الكلى والعقل الكلى فى العالم العلوى يقابله الامام فى العالم الجسمانى ومعنى هذا

---

(١) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ٩٨ .
(٢) راحة العقل للكرمانى ص ٣٠١ .
(٣) رسالة مطالع الشموس للداعى أبى فراس ضمن أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر ص ٣٥-٣٦ .
(٤) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ٩٨ .

عندهم ان كل الأسماء والصفات الثابتة لله عز وجل تصرف الى العقل الكلى ومن ثم هى للامام لأنه مثل للعقل الكلى فأسماء الله الحسنى التى قالوا انها أسماء العقل الكلى هى أسماء الامام فالامام اذن هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار ... الخ الأسماء (١) .

(٢) نورانية الأئمة :

من مظاهر غلو الاسماعيليين فى اصل الامامة والأئمة زعمهم بأن تكوينهم الخلقى يختلف عن سائر البشر ولايقل هذا الزعم خطورة عن سابقه بل انه يعتبر سلما ودرجة للقول بالوهية الأئمة فزعموا عن الامام انه مكون من جزئين جزء لاهوتى وجزء ناسوتى وبعبارة أدق اله فى جسم انسان .

ومما قاله الباطنيون عن ذلك : ان محمدا وعليا خلقا من نور واحد ونسبوا الى على بن أبى طالب ـ كذبا وبهتانا ـ انه قال : انا ومحمد من نور واحد من نور الله تعالى . وانه قال أيضا : نحن نور من نور الله وشيعتنا منا .

وفى شعر المؤيد مايدل دلالة واضحة على هذه الفكرة يقول عن الأئمة :

من شجر العقل الثمر	مجدهم الله بنى
لهم معانى الزبر	وفضل آى الزمر
من نور ربى خلقوا	طابوا وطاب الخلق

وحينما زعموا أن الامام خلق من نور الله قالوا عن جسمه الذى يمثل المحسوسات انه عقل بالنسبة لأجسام البشر

---

(١) انظر طائفة الاسماعيلية ص ١٥٨-١٥٩ .

يقول الداعي المؤيد في مدح امامه المستنصر العبيدي :

ذو نسبة بالمصطفى والمرتضى يسمو ويعلو

بكثيفة ولطيفة فأساسه نفس وعقل (١)

ومن شعر تميم العبيدي قوله في مدح أخيه العزيز العبيدي :

ما أنت دون ملوك العالمين سوى

روح من القدس في جسم من البشر

نور لطيف تناهى منك جوهره

تناهيا جاز حد الشمس والقمر

معنى من العلة الأولى التي سبقت

خلق الهيولى وبسط الأرض والمدر (٢)

ومن مزاعمهم عن الأئمة أن كثائف الأئمة وهي الجزء الناسوتي لطائف لغيرهم ولذا شبهوا هذه الأجسام بالياقوت الأحمر الذي يفوق جميع الأحجار مع كونه حجرا . كما زعموا أن الامام الاسماعيلي حينما يكون جنينا في بطن امه فانه لايتغذى من دم الحيض كسائر البشر بل يتغذى دهنا لطيفا شريفا مع مالأمهات الأئمة من خاصية عدم الحيض واذا خرج هذا الجنين ففيه من الصفاء والاشراق والنور والضياء مايفوق الوصف - مع انه جسم - ثم بعد خروجه يتصل به الهيكل النوراني بوساطة من العقل الأول بعد النص عليه بالامامة من والده ... وهكذا !! (٣)

---

(١) انظر ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ٨٨،٧٦-٢٦٤-٢٦٣.

(٢) اعلام الاسماعيليين لمصطفى غالب ص ١٧٥ ، طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٦٠ .

(٣) انظر مسائل مجموعة من الحقائق العالية جمع شتروطمان بعنوان أربعة كتب اسماعيلية ص ٨ .

(٣) علم الأئمة للغيب :

ادعى الاسماعيلية لأئمتهم خاصية لايملكها أو يتصف بها سوى الله عز وجل العليم الخبير فزعموا أن أئمتهم يعلمون الغيب ويكشفون عن المكنون !! وهذه نصوصهم ناطقة بنفسها شاهدة على فريتهم وقولتهم العظيمة . يقول قاضيهم ابن حيون وجاء عن أولياء الله من الاخبار عما كان ويكون من أمر العباد (١) .

ويقول الكرمانى عند ذكره للحاكم : ان له معجزة بل معجزات واخبار بالكائنات قبل كونها واظهارا للعلوم المكنونة (٢) .

وقال المؤيد الشيرازى : ان الأئمة يعلمون من أمر المبدأ والمعاد ماحجبه الله عن كافة العباد (٣) .

وحينما نقلب النظر فى تفاسير الاسماعيلية للآيات أو الأحاديث نجد التركيز الواضح على هذه الدعوى وتقريرها وكأنها خاصية من خصائص الأئمة الملازمة لهم . فعند قوله تعالى : {مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد} (٤) وقوله تعالى {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس} (٥) . قال الاسماعيليون ان الآيتين فى صفة الأئمة وذلك ان الله تعالى أطلعهم بمادته وتأييده لهم على نيات الخلق وماتخفيه صدورهم فما يتحرك متحرك ولايسكن ساكن الا وعندهم صلوات الله

---

(١) تأويل الدعائم للقاضى بن حيون ١/١٤٥ .
(٢) المصابيح فى اثبات الامامة للكرمانى ص ١٤٠ .
(٣) المجالس المؤيدية للشيرازى ص ٤٤١ .
(٤) سورة ق : ١٨
(٥) سورة البقرة : ١٤٣

عليهم علمه كما جاء فى الرواية عن مولانا الصادق صلوات الله عليه انه قال يوما لبعضهم ماكان عاملا البارحة فى دار فلان فاستحى الرجل من كلامه صلوات الله عليه فقال بعض من حضره أوتعلم مايفعل يا ابن رسول الله فقال : ماكان الله ليجعلنا شهداء على خلقه ويحجب عنا شيئا من أمورهم استحيوا منا فى السر كما تستحيون منا فى العلانية (١) .

وعند حديث النبى صلى الله عليه وسلم عن فضائل القرآن والذى فيه : {فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم} قال قاضى الاسماعيلية بن حيون ان المعز فسر الحديث وقال عنه : هذا حديث رواه عامة أصحاب الحديث فينبغى لهم أن يطلبوا فى القرآن خبر من ياتى من بعدهم فان لم يجدوه فليسالوا عنه أهله كما أمرهم الله عز وجل بقوله : {فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون} (٢) ثم نقل ابن حيون قول المعز : ان عندنا علم مايطلب وفسر ذلك بانه كقول على رضى الله عنه . سلونى قبل أن تفقدونى فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لاتسالوننى عن علم ماكان ومايكون وعن علم مالاتعلمون الا اخبرتكم علمنيه النبى الصادق عن الروح الأمين عن رب العالمين (٣) .

وقد نقلت أحداث ووقائع من تاريخ أئمة الاسماعيلية تدل على ثبوت هذه الغرية فمنها ماذكره ابن حيون عن المعز أنه قال : لقد كان القائم ياخذنى وأنا فى سن الأطفال فيضمنى الى صدره ويقبل مابين عينى ويقول : أنت أبو تميم ويحمد

---

(١) مسائل مجموعة من الحقائق العالية جمع شتروطمان ص ١٦٥ ضمن أربعة كتب اسماعيلية .
(٢) سورة النحل : ٤٣
(٣) المجالس والمسايرات للقاضى بن حيون ص ٢٧٢ .

الله وماكنت أدرى يومئذ بذلك . ثم قال : أفمن أودعه الله علم مايكون يجهل فضله فكيف ممن علمه الله علم مايكون مما لم يكن بعد .(١)

ومما نقله ابن حيون عن المعز أنه تناظر رجلان أبان حكمه فقال أحدهما أن الامام يعلم الغيب وقال الآخر لايعلم الغيب فرفع حالهما الى امامهم المعز فقال لهم : ان الغيب على ثلاثة أوجه أو حدود فوجه استأثر الله به عن عباده ووجه آخر مايحتاج اليه فى الشريعة ووجه ثالث مخزون لصاحب القيامة وهو الامام القائم يعلم مايكون ولو شاء امامك أن يتلو عليك ذلك لفعل .(٢)

وفى الخلاف الذى وقع بين أبناء المستنصر العبيدى حول الامامة والذى نتج عنه الانقسام الكبير فى امامة الاسماعيلية حيث أصبحوا فرقتين كبيرتين هما المستعلية والنزارية نجد أن والدهما نص على امامة المستعلى قبل ولادته بدعوى أنه يعلم مافى ظهره من مولود قبل الحمل به فقال لابنيه المتنازعين : لاتشاجرا ولاتنازعا فليس واحد منكما بصاحب هذا الأمر وانما صاحبه هاهنا وأشار بيده الى ظهره وكان المستعلى حينئذ لم يولد بعد وهذا كان فى يوم مشهود ومقام غير خفى ولامجحود .(٣)

ونتيجة لذلك فان الاسماعيلى المعاصر عارف تامر قال مقررا لمثل هذه الواقعة وغيرها : ان الامام بما أوتيه من

---

(١) المجالس والمسايرات ص ٤٠٤ تحت عنوان الائمة يعلمون مايكون قبل أن يكون .
(٢) الرسالة المذهبة لابن حيون ورقة ٨٥-٨٦ .
(٣) الوثائق الفاطمية للشيال ص ٢١٦ .

معرفة خارقة للعادة يستطيع أن يعرف أى أبنائه قد نال الامامة بالنص وان الامام لايخطىء فى معرفته هذه بحال من الأحوال والا لما عد اماما[1] .

ومع دلالة هذه النصوص والأحداث التاريخية والوقائع يبقى من المغالطة الفاحشة والتناقض البين محاولة بعض ائمة وعلماء الاسماعيليين نفى هذه التهمة والتظاهر بعدم الاعتقاد بها[2] لاسيما أن اكثر من نفاها المعز وقاضيه بن حيون وهما اكثر من نقل عنه تقرير دعوى علم الغيب للائمة واعتبارها معتقدا يتصل بأصل الامامة والائمة .

(٤) عصمة الائمة :

كما ادعى الاسماعيليون خصائص وصفات للائمة تؤلههم أوتشبههم بالاله كذلك ادعوا أن للائمة صفات وخصوصيات تلحقهم بمنزلة الانبياء او تفضلهم فى بعض الحالات ومن ذلك قولهم بعصمة الائمة التى ينبنى عليها تقبل كل مايروى وينقل عنهم بلامناقشة أو نظر أو تفكير لصدور ذلك عن شخصية معصومة عن الخطأ والسهو والنسيان . وهذه بعضا من عباراتهم .

يقول الشيرازى : ان الامام يساوى النبى فى العصمة والاطلاع على حقائق الخلق فى كل الأمور الا انه لاينزل عليه الوحى وانما يتلقى ذلك من النبى لأنه خليفته وبازاء منزلته ولايعصم غيره من الخلق حتى الأنبياء انفسهم[3] ومما قال أحد

---

(١) الامامة لعارف تامر ص ٦٥ .
(٢) انظر دعائم الاسلام لابن حيون ١/٥٥ ، المجالس والمسايرات ص ٨٤،٥٢٣ ، طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٥١-١٥٣ .
(٣) انظر قرامطة العراق لعليان ص ١٧٨ .

شعراء الاسماعيلية فى اثبات العصمة :

ان الامام قائم بالحكمة　　　بين الورى مؤيد بالعصمة
وكلما يفعله صواب　　　لاشك فى ذاك ولا ارتياب (١)

ويعللون وصف الامام بالعصمة بأن الحاجة اليه انما كانت لقيامه مقام الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق به من أمر الدين وحفظ نظامه . ولما كانت الحاجة الى القائم مقام الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك وجب أن يكون معصوما فتكون عصمته سبب ائتلاف الجماعة (٢) .

ومن ادعية المعز العبيدى قوله : الحمد لله الذى من علينا بالعصمة ولم يجعل لنا فيما حرمه علينا من شهوة (٣) .

وفى كتاب الحقائق العالية قول على بن الوليد : فهل أيها الاخوان بعد كلام الامام المعصوم يطلب شاهد وهل بعد ورود ماء الحياة النازل من دار الابداع يظمأ وارد ... الخ (٤)

ومن مظاهر الغلو فى الائمة مانجده مسطرا فى مؤلفات الاسماعيلية من وصف للأئمة بصفات الأنبياء والرسل أو سد طرق قبول الأعمال والأجر عليها سوى طريق واحد وهو طريق الأئمة . فولاية على بن ابى طالب - عند الاسماعيلية - أساس قبول الأعمال والطاعات .

يقول جعفر بن منصور اليمن عن ذلك : ان الله لايقبل توبة نبى ولا اصطفاء وصى ولا امامة ولى ولاعمل طاعة من عامل ولو تقطع بالعبادة واجتهد الا بولاية على بن أبى طالب ومن

---

(١) القصيدة الصورية لمحمد على الصورى ص ٦٥ .
(٢) المصابيح فى اثبات الامامة للكرمانى ص ٩٦-٩٧ .
(٣) المجالس والمسايرات للقاضى النعمان ص ٤١٨ .
(٤) رسالة الايضاح والتبيين لابن الوليد ص ١٥٠ ضمن كتاب أربعة كتب اسماعيلية لشتروطمان .

أتى بغير ولايته أسقطت نبوته ووصايته وصالح عمله ولم يقبل الله منه ولازكى عمله لأنه مجمع الأنبياء والأولياء والائمة من أول الأدوار الى قيامه (١) .

ويقول أيضا : لادين الا بطاعة على وولايته ولانعمة تامة الا مودته ومحبته ولاقبل للأمة فرض ولاسنة ولاعمل مفترض الا بطاعة زوج البتول وموالاته ومحبته والائمة من ولده يرثون مقامه وفضله (٢) .

وفي خطبة سماها الاسماعيلي المعاصر مصطفى غالب خطبة البيان ونسبها - كذبا وزورا - الى على بن أبى طالب (٣) ومما ورد فيها قول على عن نفسه : أنا سر الأسرار أنا قائد الأملاك أنا حفيظ الالواح أنا الأول والآخر أنا الباطن والظاهر . أنا امام المتقين أنا صاحب البيعتين أنا رب بدر وحنين ... الى أن يقول أنا والله وجه الله أنا أسد الله أنا كاشف الكرب (٤) الى آخر الكلمات التى تقطر كفرا والحادا .

ومثل هذه الخطبة أو أشد منها مانقله داعى الاسماعيلية المطلق ادريس عماد الدين عن على بن أبى طالب - كذبا وبهتانا - انه قال عن نفسه : أنا أحيى وأميت وأخلى وأرزق وأبرىء الأكمه والأبرص وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون فى

---

(١) الأنوار اللطيفة للحارثى ص ١٢٦ ضمن الحقائق الخفية .
(٢) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ٧٠ .
(٣) زعم مصطفى غالب أن أصل هذه الخطبة نسخة خطية بمكتبته الخاصة !! وان الداعى سليمان درويش نقلها سنة ١٢٤١هـ ووضعها فى كتاب سماه رسالة مختصرة فى تحقيق اعتقاد الاسماعيلية . ومن الجدير بالذكر ان الناشر - على الرغم من اسماعيليته - تبرأ منها وقال ان هذا القول مدسوس على على بن أبى طالب ولايقوله مؤمن الا عابد وثن انظر تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٤٢، ٤٨ .
(٤) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٤٤-٤٧ .

بيوتكم .(١)

ونقل المؤيد الشيرازى عن على ايضا انه قال على منبره انا الأول وانا الآخر وانا الظاهر وانا الباطن وانا بكل شيء عليم . وانا الذى رفعت سماءها وانا الذى دحوت ارضها وانا انبت أشجارها وانا الذى اجريت أنهارها .(٢)

وهذا الغلو المخرج من الملة الاسلامية بل من الملل كلها لم يقصروه على على بن أبى طالب بل نقلوه الى الأئمة من بعده وذلك كالحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق ويدل على ذلك قول المؤيد الشيرازى : فلو أن رجلا عمل بفرائض الله وسننه التى جاء بها رسوله كلها ثم لم يقترن بعمله اعتقاد ولاية الرسول عليه الصلاة والسلام الآتى بها لم يغن عنه ماعمل فتيلا ولم يتبع غير أهل النار سبيلا اذ ولاية الرسول كالمركز الذى تدور عليه دائرة الفرائض فلايصح وجودها الا بوجوده واذا كانت هذه نسبة الرسول فى حياته كانت نسبة من يوليه أمر دينه مثلها وكمثل ذلك نسبة من يليه ومن يلى من يليه ماانتقلت الولاية من واحد الى واحد وورثها ولد عن والد اذ الولاية هى الأصل الذى يدور عليه موضوع الفرائض .(٣)

أما اسماعيل بن جعفر الذى تنسب الاسماعيلية اليه وهو امامها السادس فيقول عنه لويس : انه فى المصادر الاسماعيلية الامام ذو المنزلة التى توشك أن تجعله الها ومن

---

(١) زهر المعانى للداعى ادريس ص ٧٧ .
(٢) المجالس المؤيدية للشيرازى ص ١٤٧ .
(٣) المجالس المؤيدية للشيرازى انظر ديوان المؤيد ص ٧٠-٧١ .

أرباب الاطلاق .[1]

وفى مسائل مجموعة اعتبرها الاسماعيليون من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية سؤال عن اسماعيل بن جعفر وكان الجواب أن لاسماعيل مقاما يستوى مع مقامات الأنبياء والأوصياء وانه قادر على أن يفعل مايشاء من الأمور المعجزة التى لايقدر عليها البشر ومن ذلك ان اسماعيل شوهد حيا مرة اخرى بعد موته ومافعله بأحد شيعته فى البصرة من مسحه على ظهره حيث برىء من علته وانطلق يمشى بعد ان كان مقعدا وكان كل ذلك اظهارا للعجز والمعجز .[2]

وقد كرر صاحب هذه المسائل مازعمه معجزة خارقة لاسماعيل وقال ان هذه المعجزة تبين فضل اسماعيل وعالى رتبته وانه يقدر على الظهور أى وقت شاخصا بجسمه للعيون مع قدرته أيضا على الغيبة بمادة المحتجب بهم الناظر اليهم .[3]

أما محمد بن اسماعيل بن جعفر امامهم السابع فيعتقدون فيه معتقدات غالية كل واحد منها مخرج من الملة وتتلخص بالآتى :

(١) انه رسول وصاحب شريعة جديدة .

(٢) انه ناسخ لشريعة الناطق قبله ويعنون به محمدا صلى الله عليه وسلم .

(٣) انه ند ونظير للأنبياء والرسل بل يفضلهم لكونه (قائم القيامة) .

(٤) انه من النطقاء السبعة وهم آدم وأولى العزم من الرسل

---

(١) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٠٧ .
(٢) مسائل فى الحقائق جمع شتروطمان ص ١٥-١٦ .
(٣) المرجع السابق ص ١٢٠-١٢٧ .

الخمسة والسابع محمد بن اسماعيل .

ان هذه المعتقدات من الغرابة بمكان ولايصدق بها أى انسان مهما كان ولكن القول الفصل فى ثبوتها لدى طائفة الاسماعيلية ماهو مسطر فى كتبهم ورسائلهم السرية التى ظهرت ونشرت اخيرا .

يقول الداعى الحارثى : ان محمد بن اسماعيل يعتبر متما للدور وخاتما للرسل المنتهية اليه غاية الشرائع المختومة به المشتمل على مراتب حدودها المحيط بعلومهم وهو القائم بالقوة صاحب الكشفة الأولى قائم القيامة الكبرى .

كما يقول الحارثى أيضا : ان قيام محمد بن اسماعيل يعتبر تمام دور الستر واعتقاد دور الكشف ونسخ شريعة الرسول السادس .(١)

وبذلك عبر المعز العبيدى فى دعاء من أدعيته قائلا : وعلى القائم بالحق الناطق بالصدق التاسع من جده الثامن من أبيه الكوثر السابع من ابائه الائمة سابع الرسل من آدم وسابع الأوصياء من شيث وسابع الائمة من البرره ... الى قوله الذى شرفته وعظمته وكرمته وختمت به عالم الطبيعة وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كل ذلك بالقوة لابالفعل لكونه قائما بالقوة .(٢)

ومما قرره الاسماعيلية قاطبة نظرية النطقاء السبعة(٣) ويعنون بهم ـ كما يقول الحارثى ـ آدم وهو أولهم والثانى

---

(١) يقصد عندهم بالرسول السادس محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك حسب تقسيماتهم وجداولهم فى فكرة النطقاء السبعة
(٢) الأنوار اللطيفة للداعى الاسماعيلى طاهر الحارثى ص ١٢٩-١٣٠ ضمن كتاب الحقائق الخفية للأعظمى .
(٣) انظر اثبات النبوات للسجستانى ص ١٩٣ .

نوح والثالث ابراهيم والرابع موسى والخامس عيسى والسادس محمد (عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام) والسابع محمد ابن اسماعيل .(١)

ويقول داعي الاسماعيلية المشهور عماد الدين ادريس في كتابه زهر المعاني : فقام محمد بن اسماعيل - وهو سابع الائمة وقائمهم - باللسان فاظهر العلوم وبين الحقائق وكشف لخلمائه منها السر المكتوم فظهرت منه حقائق ومعجزات ودلائل وآيات لم تظهر في الأئمة قبله ولاقام أحد من الأئمة كمثله لأنه السابع صاحب القوة والظهور والضياء والنور ومبين العلم المستور ... ثم يبين سبب تسميته بالناطق فيقول : وانما وقع عليه اسم الناطق السابع لنطقه بالأمر الالهي وجمعه للفضل الذي هو اليه متناهي ... وخص محمد بن اسماعيل بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور الستر لأنك اذا عددت آدم ووصيه وائمة دوره كان خاتمهم الناطق وهو نوح عليه السلام وهو الناطق الخاتم للنطقاء وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفردا واذا عددت الأئمة في دوره كان محمد بن اسماعيل سابعهم وللسابع قوة على من تقدمه فلذلك صار ناطقا وخاتما للأسبوع وقائما وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس .(٢)

ومع غلو وضلال الشيعة الاثنى عشرية في أئمتهم فقد أنكروا على الاسماعيلية هذا الغلو والضلال في معتقدهم في سابعهم وحكوا مقالتهم على سبيل السخرية والاستهزاء بعقولهم

---

(١) الحقائق الخفية للأعظمي ص ١٣٠ ومابين القوسين زيادة مني تكريما وتعظيما لأنبياء الله ورسله عليهم افضل الصلاة وأزكى التسليم .

(٢) زهر المعاني للداعي عماد الدين ادريس ص ٥٣-٥٤ . وسبق أن بينت مقصدهم بالسادس في الصفحة السابقة .

وهم كذلك . يقول القمي : ان الاسماعيلية زعموا أن محمد بن اسماعيل حي لم يمت وانه غائب مستتر في بلاد الروم وانه القائم المهدى . ثم يفسر معنى القائم عندهم بأنه الذى يبعث برسالة وشريعة جديدة وينسخ بها شريعة محمد وان امامهم محمد بن اسماعيل من أولى العزم من الرسل (١) !!

وبالرغم مما نقلت عن الاسماعيلية ومزاعمهم عن ائمتهم وما يتصف به هذا الفكر من الغثاء والفحش فانى اعرضت عن كثير من الفاظهم المركبة كفرا والحادا وذلك تجنبا للاطالة وابتعادا عن فحش الألفاظ والعبارات التى ينزه القلم والورق عن كتابتها وتسطيرها ورحم الله الامام الغزالى الذى أهمل الكثير من خرافاتهم والفاظهم وذلك ضنة بالبياض أن يسود بها (٢) .

والخلاصة فان معتقدات الاسماعيلية تدور حول أصل الامامة والاعتقاد بالائمة والأخذ عنهم والتعلق بهم والعمل من أجلهم فالامام عندهم محور أساسى لجميع الأعمال والاعتقادات وأصل لقبول الطاعات والقربات . يقول الداعى الشيرازى : ان من تعلق بأذيال الائمة وضحت له معالم التوحيد سليمة من التشبيه والتعطيل ومن تخلف عنهم غرق فى طوفان الضلال والتضليل . وان من سقط عن ولايتهم سقط عن توحيد ربه وكان ممن ران الشيطان على قلبه فمقامات الوصى والأئمة الاشهاد مصحة للتوحيد وعدة للمعاد . ولو كان يقع الغنى عنهم فى هذا العلم الذى هو المنتهى والقطب الذى تدور عليه الرحا

---

(١) المقالات والفرق لسعد القمى ص ٨٤ .
(٢) فضائح الباطنية للغزالى ص ٤٤ .

لكان الغنى عنهم فى الفروع التى هى محمولة عليه وأكثر وأوفى وأوفر فأهل النفاق الذين لم يلوذوا بالوصى والأئمة فى اقتباس أنوار التوحيد منهم ولم يعتصموا بعلائق اليقين فى الأخذ عنهم يخادعون الله والذين آمنوا تحلية لظاهر اجسامهم بحلية الدين وتخلية لباطن نفوسهم عن أن يردوا بها عين اليقين فهم من حيث ظاهر اسلامهم مشهورون ومن جهة الايمان متكورون يخادعون الله والذين آمنوا بطلوعهم عن مطالع الأئمة فهم مأمونون وتبرجهم بزينة البصراء وهم عمون .(١)

ومما له تعلق بهذا الأصل عند الاسماعيلية جملة وقائع واحداث تدل على تطبيقهم العملى لأصلهم هذا وفى احداثهم التاريخية ووقائعهم بعض أعمال من اتباعهم أو تلاميذهم تدل على مالِلامام والأئمة من اثر وتاثير على حياتهم وسلوكهم ومن هذه الأعمال :

(١) ادعاء أن الامام ينزل عليه طعام أهل الجنة وكان حمدان قرمط ـ وهو واحد من تلاميذ الامام الاسماعيلى ـ يصنع طعاما حلوا لذيذا على قدر البندق ويقدمه لأتباعه اذا ادوا له سبعة دنانير زاعما أن ذلك طعام اهل الجنة وانه نزل على الامام من ولد على بن أبى طالب .(٢)

(٢) ان الامام الاسماعيلى يملك نواصى الأمور بل يملك الدنيا والآخرة ويتضح هذا الزعم عند دعاة الاسماعيلية من المحاورة التى جرت بين الداعية الاسماعيلى حسين

---

(١) المجالس المؤيدية للشيرازى ص ٣٤٦ .
(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى ١/١٥٦ ، نهاية الارب للنويرى ٢٣/ورقة ٥٦ .

الاهوازى وبين تلميذه حمدان قرمط وذلك حينما التقيا بسواد الكوفة ولقنه الأول منهما أصول الدعوة واستجاب له الثانى فى جميع مادعاه وصار أصلا من أصول هذه الدعوة (١) .

(٣) السجود لائمتهم وزعمائهم وذلك عند رؤيتهم وهذه الظاهرة الخطيرة مما تكررت لديهم ونقلها جمع من المؤرخين فحينما ظهر زكرويه بن مهرويه من مخبأه ترجل له اتباعه والصقوا خدودهم بالأرض وطافوا به وفى لحظة رؤياه سجدوا له (٢) .

وقد حاول قاضى الاسماعيلية تأويل هذا السجود بالدفاع عنه وبيان الهدف منه بعد اقراره بوقوعه وموافقة الائمة على ذلك يقول : فالرعاع وأوباش الناس والعوام ينكرون السجود للأئمة ويرونه سجودا من دون الله تعالى عن قولهم ونزه أولياءه من افترائهم عليهم وبين أن هذا السجود هو نوع من تقبيل الأرض بين يدى الأئمة بدلا من تقبيل أيديهم وليس المقصود به السجود لهم من دون الله (٣) .

ويصف المؤيد الشيرازى بنفسه لحظة دخوله على امامه المستنصر بقوله : فلم تقع عينى عليه الا وقد اخذتنى الروعة وغلبتنى العبرة وتمثل فى نفسى اننى بين يدى رسول الله وامير المؤمنين ماثل وبوجهى الى وجهيهما مقابل واجتهدت عند وقوعى الى الأرض ساجدا لولى السجود ومستحقه ... الى أن قال ولما رفعت راسى من السجود وجمعت على اثوابى للقعود

---

(١) فضائح الباطنية للغزالى ص ١٣-١٤ .
(٢) تاريخ أخبار القرامطة لابن سنان ص ٣٠ .
(٣) الهمة فى آداب اتباع الأئمة للقاضى بن حيون ص ١٠٥ .

مكثت عنده ساعة لاينبعث لساني بنطق ولايهتدى لقول ... الخ .

(٤) استباحة دم الخارج على الامام واعتباره كافرا فعبدان القرمطى مع اعتباره تلميذا لأحد دعاة الاسماعيلية ثم داعية من دعاتهم الا انه قتل وقضى عليه بحجة انه خارج على الامام وعاص لأمره ولذلك كانت نهايته نهاية غامضة .

كما أن أحد المعتنقين لمذهب الاسماعيلية والقرامطة أراد قتل أمه لأنها لم تعتنق مذهبه ودينه واعتبرها كافرة ومما قال لها : ياأماه اتركى هذا الدين – أى الاسلام – وادخلى معى فى هذه الدعوة والدين مانحن فيه اليوم (١) .

ومما كتبه الحسين بن زكرويه – وهو أحد دعاة القرامطة – الى احد عماله قائلا : اما بعد فقد انهى الينا ماحدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة ومافعلوا بناحيتك من الظلم والعبث والفساد فى الأرض ... الخ (٢) .

(ج) تصوير علماء الفرق لأصل الاسماعيلية فى الامامة والأئمة :

ان ماتقدم من نصوص اسماعيلية عن أصل الامامة كاف فى بيان غلوهم وتصوير مذهبهم بكل دقة وأمانة وكيف لا والنصوص نصوصهم والمصادر كتبهم ومن نطق بها أو كتبها أئمتهم وعلماءهم . وقوة فى الحجة ودقة فى تصوير مذهبهم ننقل ماسطره علماء الفرق والمقالات الذين صوروا مذهبهم تصويرا دقيقا وحكموا عليهم احكاما واقعية وذكروا مايمكن ذكره من

---

(١) تاريخ اخبار القرامطة لابن سنان ص ٢١ .
(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٧٤/١ .

مذهبهم الملىء غثاء واساطير وتجنبوا ذكر الألفاظ الكفرية والعبارات الهائمة التى لانصيب لها من العلم أو اللغة (١) .

يقول الامام الغزالى : وقد اتفقوا - أى الباطنية - على انه لابد فى كل عصر من امام معصوم قائم بالحق يرجع اليه فى تأويل الظواهر وحل الاشكالات فى القرآن والأخبار والمعقولات واتفقوا على ان هذا الامام هو المتصدى لهذا الأمر وان ذلك جار فى نسبهم لاينقطع أبد الدهر ... واتفقوا على ان الامام يساوى النبى فى العصمة والاطلاع على حقائق الحق فى كل الأمور ولايتصور فى زمان واحد امامان ويستظهر الامام بالحجج والمأذونين والأجنحة ... ثم قالوا : ان لكل فترة زمنية نبى ناطق ومعنى الناطق ان شريعته ناسخة لما قبله ومعنى الصامت أن يكون قائما على ما أسسه غيره وبين كل ناطق واخر ستة ائمة وعدد النطقاء سبعة أولهم آدم ثم نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اخوانه الأنبياء والمرسلين وسوسه (٢) على بن أبى طالب وبعده ستة من الأئمة سادسهم جعفر الصادق وقد استتموا سبعة مع محمد بن اسماعيل الذى صار ناسخا لما قبله وهكذا يدور الأمر أبد الدهر ... الى أن يقول الغزالى هذا مانقل عنهم مع خرافات كثيرة اهملنا ذكرها ضنة بالبياض ان يسود بها (٣) .

ويقول الملطى ان الاسماعيلية يقولون عن أئمتهم انهم

---

(١) وذلك كعباراتهم فى تأليه الأئمة ووصف سابعهم محمد بن اسماعيل بصفات أولى العزم من الرسل مما سبق أن نقلناه بعباراتهم وألفاظهم فى أول هذا الفصل .

(٢) عرف الامام الغزالى السوس بأنه هو الباب الى علم النبى فى حياته والوصى بعد وفاته والامام لمن هو فى زمانه . انظر فضائح الباطنية للغزالى ص ٤٣ .

(٣) انظر فضائح الباطنية للغزالى ص ٤٢-٤٤ .

يعلمون الغيب ويقدرون على كل شىء ولايعجزهم شىء ويقهرون ولايقهرون ويعلمون ولايعلمون ولهم علامات ومعجزات وامارات ومقدمات قبل مجيئهم وظهورهم وبعد ظهورهم يعرفون بها وهم مباينون لسائر الناس فى صورهم واطباعهم واخلاقهم واعمالهم [(١)] .

ويقول ابن الجوزى : ان الطريق الذى سلكه الاسماعيلية هو اختيار رجل يزعم انه من اهل البيت يجب على كل الخلق كافة متابعته ويتعين عليهم طاعته ويكون هذا الامام معصوما من الخطئ والزلل من جهة الله تعالى [(٢)] . وفى موضع آخر قال عن الاسماعيلية انهم اتفقوا على أنه لابد لكل عصر من امام معصوم قائم بالحق يرجع اليه فى تأويل الظواهر مساو للنبى عليه الصلاة والسلام فى العصمة [(٣)] .

أما الشهرستانى فيقول عنهم فيما يتعلق بأصل الامامة : انهم قالوا لن تخلو الأرض قط من امام حى قائم اما ظاهر مكشوف واما باطن مستور فاذا كان الامام ظاهرا جاز أن يكون حجته مستورا واذا كان الامام مستورا فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين وقالوا : ان الأئمة تدور أحكامهم على سبعة سبعة كأيام الاسبوع والسموات السبع والكواكب السبعة ومن مذهبهم ان من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية وكذلك من مات ولم يكن فى عنقه بيعة امام مات ميتة جاهلية [(٤)] .

وحتى علماء الفرق من الشيعة الامامية ذكروا معتقدات الاسماعيلية ذما لها وبيانا لغلوهم فيها فمما ذكره

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطى ص ٢٠ .
(٢) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٠٦ .
(٣) المرجع السابق ص ١٠٨ .
(٤) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٢/١ .

النوبختى عن امامة محمد بن اسماعيل أو دعوى نبوته نقلا عن الاسماعيلية انهم قالوا : لايكون بعد النبى صلى الله عليه وسلم الا سبعة أئمة على بن أبى طالب وهو امام رسول والحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد ومحمد بن اسماعيل بن جعفر وهو الامام القائم المهدى . ومعنى القائم المهدى عندهم انه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد صلى الله عليه وسلم . واعتلوا فى نسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وتبديلها بأخبار رووها عن أبى عبد الله جعفر بن محمد انه قال : لو قام قائمنا علمتم القرآن جديدا . وانه قال بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ونحو ذلك من أخبار القائم .

ويزعمون كذلك ان لانبى بعد نبيهم المزعوم فهم يعتقدون أن محمد بن اسماعيل هو خاتم النبيين الذى حكاه الله عز وجل .

كما يعتقدون أن محمد بن اسماعيل من أولى العزم من الرسل وأولو العزم عندهم سبعة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعلى من سبقه من الأنبياء والمرسلين ثم على بن أبى طالب ثم محمد بن اسماعيل وبنوا ذلك على (١)

---

(١) من الملاحظ أن النوبختى والقمى من علماء الشيعة الامامية اخطأ فى اعتبارهم على بن أبى طالب من النطقاء السبعة عند الاسماعيلية فعلى - كما أسلفنا القول - صاحب ولاية ووصاية وحسب رأى الاسماعيلية ان الوصاية قد تكون أفضل من النبوة والرسالة - والنطقاء كما اثبت علماء الاسماعيلية سبعة آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعلى جميع من سبقه من الأنبياء والمرسلين ثم الناطق السابع قائمهم محمد ابن اسماعيل . انظر النبوات للسجستانى ص ١٩٣ . =

معنى ان السموات سبع وان الأرضين سبع وان الانسان بذنه سبع يداه ورجلاه وظهره وبطنه وقلبه وان راسه سبع عيناه واذناه ومنخراه وفمه وفيه لسانه كصدره الذى فيه قلبه وان الائمة كذلك وقلبهم محمد بن اسماعيل (١) .

وبمثل ذلك ذكره القمى فى مقالاته والاقرب أن أحدهما نقل عن الآخر لما فيه من تشابه بينهما فى الألفاظ والعبارات (٢) .

ويقرر أحد الكتاب المعاصرين أصل الامامة عند الاسماعيلية بقوله : وقد ابتدع الاسماعيلية نظريات كثيرة للامامة ترمى فى مجموعها الى تقديس شخص الامام الاسماعيلى مستورا كان أم ظاهرا ونادوا بعصمة الائمة واستتارهم وظهورهم كما بحثوا الاستقرار والاستيداع الاماميين وفرقوا بين الامام المستقر والامام المستودع . ولانعدو الحقيقة اذا قلنا ان الغرض الأساسى من نظرية الاستيداع الامامى مقارعة الشيعة الاثنى عشرية وابطال ادعائهم ان موسى الكاظم نال الامامة بعد جعفر الصادق فان المعتدلين من الاسماعيلية (كذا) يقرون بأن موسى الكاظم كان مع محمد بن اسماعيل كالحسن بن على مع اخيه الحسين وابنائه فكما ان الحسن كان

= كما انهما أخطآ فى سردهم لأئمة الاسماعيلية حيث سردا سبعة ائمة منهم على بن ابى طالب واضطرا الى اسقاط امامة اسماعيل بن جعفر وهذا مخالف لما عليه الاسماعيلية قاطبة حيث يعتبر اسماعيل امامهم الأول بعد افتراقهم مع اخوانهم الشيعة الاثنى عشريين وعلى ليس اماما عند الاسماعيلية بل هو وصى كما ذكرنا فى أول التعليق .

(١) فرق الشيعة للنوبختى من علماء الشيعة فى القرن الثالث الهجرى . انظر ص ٨٤-٨٥ .

(٢) المقالات والفرق للقمى المتوفى عام ٣٠١هـ ص ٨٤-٨٥ .

اماما مستودعا للحسين وابنائه والواقع ان الاسماعيلية استخدموا نظرية الاستيداع الامامي لمقاومة الاثنى عشرية وابطال حقهم في الامامة من جهة وجذبهم الى المذهب الاسماعيلي من جهة أخرى لأنهم اقروا للاثنى عشرية بامامة موسى الكاظم ولكنهم في الوقت نفسه نفوها عن ابنائه (١) .

(د) تحليل نصوص الاسماعيلية ونقد أصلهم في الامامة والأئمة :

ان ماتقدم من نصوص سواء كانت اسماعيلية أو منقولة عن علماء الفرق والمقالات عند التحليل لها والنظر في مضمونها وماتدل عليه نستخلص منها جميعا موجز ماذكرناه عنهم سابقا من العقائد في هذا الأصل وذلك كما يأتي :

(١) ان الامامة ركن الدين وأساسه بل ان جميع أركان الدين ومايتعلق بذلك من معتقدات وأعمال راجع اليها ويتوقف قبوله على الاعتقاد بها والايمان بأصالتها .

(٢) ان ائمة الاسماعيلية لهم منزلة فوق سائر البشر ومن ذلك دعوى أن من خصائصهم علم الغيب والقدرة على كل شيء .

(٣) أن الأئمة لهم من الميزات والخصائص مايجعلهم في مصاف الأنبياء والمرسلين من دعوى عصمتهم واختصاصهم بالتأويل .

---

(١) كتاب عبيد الله المهدى لحسن ابراهيم وطه شرف ص ٢٨٠-٢٨٢ .

(٤) الاعتقاد بأن الامامة محصورة ومقيدة فقط بعلى بن أبى طالب ونسله من بعده مع وجوب تسلسلها وتعينها واستمرارها فى آل البيت والد فولده الى النهاية .

هذه المعتقدات الأربع مما تنص عليها نصوص علماء الفرق ونصوص الاسماعيلية أنفسهم . ولهم مع ذلك معتقدات أشد غلوا وأعظم ضلالا وأغلظ زيفا والحادا نأخذها بوضوح ظاهر ودلالة بينة من نصوص الاسماعيلية فقط وكأنى بعلماء الفرق والمقالات أعرضوا عنها وعن ذكرها صراحة اما تنزيها لمؤلفاتهم عنها واما خوفا من ظهورها وانتشارها بين الناس فيما سلف وعلى كل فحاكى الكفر لايكفر وماظهر وانتشر يجب فضحه واستبانته ومن هذه المعتقدات :

(١) الاعتقاد بألوهية الأئمة واطلاق صفات الله عز وجل عليهم
(٢) الخضوع والانحناء والسجود للأئمة وصرف سائر العبوديات لهم .
(٣) الاعتقاد بأن الأئمة تكونوا من نور الله عزوجل وانهم آلهة فى أجسام بشر أو صورة بشر .

هذا فيما يتعلق بالالهيات أما فيما يتعلق بالنبوات فانهم غلوا أيضا حتى اعتقدوا المعتقدات الآتية :

(١) أن محمد بن اسماعيل ناطق سابع من النطقاء السبعة .
(٢) انه ناسخ لشريعة الأنبياء والمرسلين من قبله مع النص منهم على نسخه لشريعة نبينا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام والتى يسمونها بالدور السادس أو شريعة الرسول السادس .
(٣) تفضيل الوصى والأئمة من بعده على الأنبياء والرسل أو

بمعنى آخر الاعتقاد بافضلية الامامة والوصاية على النبوة والرسالة .

(٤) واخيرا ابتداع مسميات للائمة لها دلالات خطيرة كالامام الناطق والصامت والامام المستقر والمستودع .

ناقش علماء أهل السنة والجماعة أصل الاسماعيلية فى الامامة ومايتفرع عنه من معتقدات وبينوا مافى ذلك من زيغ والحاد وضلال على الرغم من أن الاسماعيلية ليست لديهم أرضية ثابتة للمناقشة أو قواعد وضوابط يتحاكم اليها عندهم فهم كما قال ابن تيمية رحمه الله : من أكذب الناس فى النقليات ومن اجهل الناس فى العقليات يصدقون من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار انه من الاباطيل ويكذبون بالمعلوم بالاضطرار المتواتر اعظم تواتر فى الأمة جيلا بعد جيل (١) .

وكما قال ابن الجوزى : ومثل هؤلاء - أى الاسماعيلية والباطنية - لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وانما اخترعوا بواقعاتهم ماأرادوا (٢) . ويقول الشهرستانى - وهو ممن عاصرهم وناظرهم - : وكم قد ناظرت القوم على بعض مقدماتهم فلم يتخطوا عن قولهم افنحتاج اليك ؟ أو نسمع هذا منك . أو نتعلم عنك وكم قد ساهلت القوم فى الاحتياج وقلت : أين المحتاج اليه ؟ وأى شىء يقرر لى فى الالهيات ؟ وماذا يرسم لى فى المعقولات ؟ اذ المعلم لايعنى لعينه وانما يعنى ليعلم وقد سددتم باب العلم وفتحتم باب التسليم والتقليد وليس يرضى عاقل بأن يعتقد مذهبا على غير بصيرة وأن يسلك طريقا

---

(١) منهاج السنة النبوية ٨/١ بتحقيق محمد رشاد سالم .
(٢) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٠٨ .

من غير بينة وان كانت مبادىء الكلام تحكيمات وعواقبها تسليمات {فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} (١) .

مع ذلك كله تصدى علماء السنة لهم ونقدوا أصلهم هذا وبينوا بطلانه وبطلان ادلتهم عليه فعن المعتقد الأول وهو :

(١) قولهم بأن الامامة ركن الدين وأساسه أوانها الايمان بعينه أوحتى اعتبارها احد اركان الدين بين العلامة ابن تيمية رحمه الله مافى هذا القول من الفساد والضلال فى معرض رده على الشيعة الاثنى عشرية (٢) قائلا :

ان الاعتقاد بأن مسألة الامامة أهم المطالب فى أحكام الدين وأشرف مسائل المسلمين كذب باجماع المسلمين من السنة والشيعة بل هذا كفر فان الايمان بالله ورسوله أهم من مسألة الامامة وهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام فالكافر لايصير مؤمنا حتى يشهد أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله وهذا هو الذى قاتل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الكفار أولا كما استفاض عنه فى الصحاح وغيرها انه قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لااله الا الله وانى رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها (٣) ولم يذكر الامامة بحال . ومن المتواتر ان الكفار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٧/١-١٩٨ ، والآية من سورة النساء رقم ٦٥ .

(٢) هذا المعتقد مما يتفق عليه الشيعة اسماعيلية كانوا أو اثنى عشرية .

(٣) رواه البخارى انظر فتح البارى ٧٥/١ من كتاب الايمان ، ورواه مسلم انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٢١٢/١ فى كتاب الايمان ايضا والحديث متواتر .

اذا أسلموا أجرى عليهم أحكام الاسلام ولم يذكر لهم الامامة بحال ولانقل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد من أهل العلم لانقلا خاصا ولاعاما بل نحن نعلم بالاضطرار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يذكر للناس اذا أرادوا الدخول فى دينه الامامة لامطلقا ولامعينا فكيف تكون أهم المطالب فى أحكام الدين (١).

وأيضا فمن المعلوم أن أشرف مسائل المسلمين وأهم المطالب فى الدين ينبغى ان يكون ذكرها فى كتاب الله أعظم من غيرها وبيان الرسول لها أولى من بيان غيرها والقرآن مملوء بذكر توحيد الله وذكر أسمائه وصفاته وآياته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقصص والأمر والنهى والحدود والفرائض بخلاف الامامة فكيف يكون القرآن مملوءا بغير الأهم والأشرف.

وأيضا فان الله تعالى قد علق السعادة بما لاذكر فيه للامامة فقال {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا} (٢).

فقد بين الله فى القرآن أن من أطاع الله ورسوله كان سعيدا فى الآخرة ومن عصى الله ورسوله وتعدى حدوده كان معذبا فهذا هو الفرق بين السعداء والأشقياء ولم يذكر الامامة (٣).

أما القول بأن الامامة أحد أركان الايمان المستحق

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/٧٥-٧٧ .
(٢) سورة النساء : ٦٩
(٣) المرجع السابق ١/٩٨ .

بسببه الخلود في الجنان فهذا لايقوله الا اهل الجهل والبهتان فان الله تعالى وصف المؤمنين واحوالهم والنبي صلى الله عليه وسلم فسر الايمان وذكر شعبه ولم يذكر الله ولارسوله الامامة في أركان الايمان .

ففي القرآن ذكر للمؤمنين وأوصافهم من مثل قوله تعالى {انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ...} الخ الآيات (١). ومثل قوله تعالى : {انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ...} الخ الآية (٢). ومثل قوله تعالى : {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ...} الخ الآية (٣). وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي فيها أوصاف المؤمنين والشهادة لهم بالايمان والحكم لهم بالفوز في الجنان من غير ذكر للامامة واشتراطها واعتبارها من الايمان أو أحد أركانه وفي الحديث وردت أحاديث كثيرة لبيان معنى الايمان وذكر أركانه شعبه كما في حديث جبريل الصحيح (٤) انه عليه الصلاة والسلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان وفسر له كل ذلك ولم يذكر الامامة في أركان الايمان ولو كانت الامامة ركنا في الايمان لايتم ايمان أحد الا به لوجب أن يبين ذلك الرسول بيانا عاما قاطعا للعذر كما بين الشهادتين والايمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر

---

(١) سورة الأنفال : ٢-٤
(٢) سورة الحجرات : ١٥
(٣) سورة البقرة : ١٧٧
(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الايمان ١/١٦١-١٦٥ .

واشترطه ولكن علم بالاضطرار ان هذا مما لم يبينه أو يشترطه فعلم أن اشتراط الامامة فى الايمان من أقوال أهل البهتان .(١)

هذا مع العلم بأنهم حينما يقولون عن الامامة انها ركن الدين وأساسه يقصدون بذلك الاعتقاد والايمان بأئمتهم فليت شعرى هل اتفق الاسماعيلية على نسل واحد من امام واحد أم أن التشعب والاختلاف فى هؤلاء الأئمة مما يتعذر معه تحديد امام بعينه يكون مناط الايمان والفلاح !!

وبناء على اختلافات الاسماعيلية المتكررة وتفرقهم الى شيع وأحزاب فان كل فريق يدعى أن معرفة امامه هو أصل قبول الأعمال ، فالنزاريون مثلا يدعون هذا الادعاء والمستعليون يدعون مثل ذلك وهكذا . ومن مسلمات الأمور ومعقولاته أن هذا من سخيف القول وهذيانه وكما لايخفى على أصحاب العقول والنهى أن معتقد الاسماعيلية هذا - مع بطلانه الظاهر - فيه تكليف مالايطاق ولايستطاع فمن الثابت تاريخيا مرور أدوار فى تاريخ الاسماعيلية أسموها أدوار الاستتار ومرور أئمة انقطع نسلهم ولم يكن لهم عقب ومرور فترات نقلت الامامة فيها لغير الأبناء أو تخطى الامام أبناءه الكبار ونقلها الى الصغار وكل هذا مما ثبت تاريخيا فماذا يكون حال الأتباع وايمانهم فى مثل تلك الحالات انه يلزمهم فى مثل هذه الفترات أن تكون أعمال وأقوال ومعتقدات أتباعهم باطلة لبطلان أساسها وفقدان مناط قبولها فمعرفة الامام والايمان به - كما أصلوا - أصل قبول الأعمال والطاعات ومع فقدانه أو عدمه ينهار بنيانهم

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/١٠٦-١١٠ بتحقيق محمد رشاد سالم .

الذى بنوه على شفا جرف هار . فهم بهذا علقوا نجاة الخلق وسعادتهم وطاعتهم لله ورسوله بشرط مفقود بل ممتنع لايقدر عليه الناس بل ولايقدر عليه أحد من الاسماعيلية أنفسهم .

والخلاصة أن معتقدهم هذا – كما يقول ابن تيمية – لاينال به الامايورث الخزى والندامة . وأن ذلك اذا كان أعظم مطالب الدين فهم أبعد الناس عن الحق والهدى فى أعظم مطالب الدين . وان لم يكن أعظم مطالب الدين ظهر بطلان مادعوه من ذلك فثبت بطلان قولهم على التقديرين (١) .

(٢) وعن المعتقد الثانى وهو : الادعاء بأن أئمة الاسماعيلية لهم منزلة فوق سائر البشر حيث يقدرون على كل شىء ويعلمون الغيب .

فهذا من المزاعم الكاذبة التى أبطلها الله عز وجل فيمن هم أفضل من أئمة الحق فكيف بأئمتهم فالأنبياء والمرسلون أرسلهم الله لعباده بشرا من جنس الخلق ولايخرجون عن بشريتهم الا فيما اختصهم الله به من تلقى الوحى وتبليغه للناس ووجوب طاعتهم .

ومما رد الله به على الكفار والمشركين فى عنادهم أن طلبوا رسلا من غير جنسهم فبين الله لهم استحالة ذلك رأفة ورحمة بهم كما قال تعالى : {ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا ابعث الله بشرا رسولا . قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا} (٢) .

---

(١) المرجع السابق ٩١/١ .
(٢) سورة الاسراء : ٩٤-٩٥

وكما قال تعالى : {ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون} (١) .

وفى سورة الاسراء حينما طلب المشركون من النبى صلى الله عليه وسلم تفجير الأرض انهارا أو أسقاط السماء كسفا أو الاتيان بالملائكة يرد عليهم بوحى من الله {قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا} (٢) .

فنفى الله عز وجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم ـ وهو أفضل الخلق على الاطلاق ـ خصائص وصفات طلبها المشركون لتصديقه والايمان به فكيف بغيره من سائر البشر سواء كانوا أئمة حق أو أئمة ضلال فادعاء الشيعة ان لأئمتهم منزلة فوق البشر ادعاء كاذب مخالف للأدلة القرآنية وهو بجانب ذلك تطاول على الذات الالهية فان علام الغيوب القادر على كل شىء هو الله عز وجل ولاأحد غيره . وهذه الدعوى المتهافتة من الاسماعيلية مقدمة وسلم لدعوى تأليه الأئمة وقد بين الله عز وجل فى مواضع كثيرة من القرآن قدرته وحده على كل شىء فقال تعالى : {ان الله على كل شىء قدير} (٣) وقال تعالى : {وكان الله على كل شىء مقتدرا} (٤) وقال تعالى : {وماكان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولافى الأرض انه كان عليما قديرا} (٥) .

وقال تعالى : {وسع كرسيه السموات والأرض ولايؤده حفظهما وهو العلى العظيم} (٦) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة

---

(١) سورة الأنعام : ٩
(٢) سورة الاسراء : ٩٣
(٣) سورة البقرة : ٢٠
(٤) سورة الكهف : ٤٥
(٥) سورة فاطر : ٤٤
(٦) سورة البقرة : ٢٥٥

التى تدل على اختصاص الله عز وجل وحده بالقدرة على كل شئ لايشركه فى ذلك ملك مقرب أو نبى مرسل ومن زعم أن أى بشر له قدرة يتميز بها عن غيره من سائر البشر فقد حاد الله ورسوله واشرك مع الله غيره كما بين عز وجل فى مواضع أخرى ان علم الغيب خاص به تعالى لايشاركه فى ذلك نبى مرسل أو ملك مقرب قال تعالى : {قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله ومايشعرون أيان يبعثون}(١) .

وقال تعالى : {وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو ويعلم مافى البر والبحر وماتسقط من ورقة الايعلمها ولاحبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولايابس الا فى كتاب مبين}(٢) .

وأمر رسوله الكريم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام بأن يعلم قريشا ويبين لهم منزلته من علو الله وعلمه حيث نفى عن نفسه ماتوهمته قريش من العلم بالغيب كما قال تعالى : {قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ولاأعلم الغيب ولااقول لكم انى ملك ان أتبع الامايوحى الى}(٣) .

وكذلك فى قوله تعالى : {قل لاأملك لنفسى نفعا ولاضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون}(٤) .

واخبر الله عزوجل عن المغيبات الخمس التى استأثر الله بعلمها ولم يشاركه فى ذلك حتى أفضل خلقه عنده من الأنبياء والمرسلين فقال تعالى : {ان الله عنده علم الساعة

---

(١) سورة النمل : ٦٥
(٢) سورة الأنعام : ٥٩
(٣) سورة الأنعام : ٥٠
(٤) سورة الأعراف : ١٨٨

وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير} (١).

وما أكثر الآيات التى وردت فى القرآن تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو أفضل الخلق أجمعين - لايعلم حقيقة بعض الأشخاص الذين عاشوا معه وعاش معهم من المنافقين الا باخبار الله عز وجل له عنهم وفضحه لما فى نفوسهم وضمائرهم كما قال تعالى : {وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم} (٢).

وكذلك قوله تعالى فى المنافقين الذين استاذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى القعود فاذن لهم حيث عاتبه الله قائلا : {عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين} (٣).

فهذا ماقاله الله عز وجل عن علم الغيب وانه من خصائصه لايشاركه فيه نبى مرسل او ملك مقرب وما أعظم أدب الملائكة مع ربهم عز وجل حيث قالوا لربهم فيما أخبر الله عنهم {قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم} (٤).

ويتطاول الشيعة الاسماعيلية كذبا وبهتانا على هذه الخصائص الالهية ويلصقونها بائمتهم . وماذكرناه من الآيات والأدلة كاف فى رد هذه الفرية وذلك المعتقد الباطل وذلك

---

(١) سورة لقمان : ٣٤
(٢) سورة التوبة : ١٠١
(٣) سورة التوبة : ٤٢
(٤) سورة البقرة : ٣٢

{لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد} (١) .

ومن الجدير بالذكر أن علماء أهل السنة والجماعة حكموا على من يدعى علم الغيب بالكفر بل انهم اعتبروا من يدعى ذلك من البشر راسا من رؤوس الطواغيت الخمسة (٢) التى يجب على كل مسلم الكفر بها كما قال تعالى : {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم} (٣) .

(٣) وعن المعتقد الثالث وهو : الادعاء بأن أئمة الاسماعيلية لهم مكانة ومنزلة تجعلهم فى مصاف الأنبياء وذلك كدعوى العصمة لهم أو دعوى أنهم أصحاب التأويل للنصوص الشرعية فهذه الدعاوى وان اعتبرها الاسماعيلية معتقدات فهى من التهافت والسقوط بمكان امام الأدلة الشرعية والعقلية .

فالقول بعصمة الأئمة من معتقدات الشيعة التى انفردوا بها عن سائر الفرق الأخرى كما قال ابن تيمية : ان القول بعصمة الأئمة عقيدة خاصة بالرافضة الامامية لم يشركهم فيها أحد لا الزيدية الشيعة ولا سائر طوائف المسلمين الا من هو شر منهم كالاسماعيلية الذين يقولون بعصمة بنى عبيد المنتسبين الى محمد بن اسماعيل بن جعفر القائلين بأن الامامة بعد

---

(١) سورة ق : ٣٧
(٢) وهم على سبيل الاجمال ابليس لعنه الله ومن دعى الى عبادة نفسه ومن دعى للعبادة وهو راض عن ذلك ومن ادعى علم الغيب والحاكم الجائر المغير لحكم الله .
(٣) الرسالة السابعة من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٦٦ ضمن كتاب الجامع الفريد والآية القرآنية فى سورة البقرة رقم ٢٥٦ .

جعفر في محمد بن اسماعيل دون موسى بن جعفر وأولئك ملاحدة منافقون .[(١)]

ويقول في موضع آخر : ان الاسماعيلية أشر من الرافضة لأنهم يدعون الى امام معصوم ومنتهى دعوتهم الى أئمة ملاحدة منافقين فساق ومنهم من هو شر في الباطن من اليهود والنصارى ،[(٢)] واذا كانت هذه أوصاف أئمتهم وحكمهم فكيف يدعى لهم بالعصمة أو حق التأويل .

مع هذا فقد تصدى علماء السنة ضمن ردودهم وفضحهم للشيعة الى رد هذه العقيدة عندهم وبيان تهافتها وبطلانها وانها مما ابتدعته الشيعة في دينهم حيث لا أصل لها لانقلا ولاعقلا .

فالامام الغزالي أفرد لها فصلا خاصا وناقش الاسماعيلية فيه نقاشا عقليا الزمهم فيه بعدة الزامات لافرار لهم منها[(٣)] ومن الزاماته قوله لهم : بماذا عرفتم صحة كونه معصوما ووجود عصمته .[(٤)] أبضرورة العقل أو بنظره أو سماع خبر متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يورث العلم الضروري ؟ ولاسبيل الى دعوى الضرورة ولاالى دعوى الخبر المتواتر المفيد للعلم الضروري لأن كافة الخلق تشترك في دركه وكيف يدعى ذلك واصل وجود الامام لايعرف ضرورة بل نازع منازعون

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤٥٢/٢ .
(٢) المرجع السابق ٣٨٠/٣ .
(٣) فضائح الباطنية للغزالي ص ١٤٢-١٤٥ .
(٤) الملاحظ أن الغزالي عفا الله عنه لايعتبر أحاديث الاحاد تورث العلم الضروري وذلك هو منهج المتكلمين ، أما السلف رحمهم الله فانهم لايردون شيئا من السنة سواء كان متواترا أو احادا مع افادتها جميعا العلم الضروري .

فيه فكيف تعلم عصمته ضرورة ؟ وان ادعيتم ذلك بنظر العقل فنظر العقل عندكم باطل . وان سمعتم من قول امامكم ان العصمة واجبة للامام فلم صدقتموه قبل معرفة عصمته بدليل آخر ؟ وكيف يجوز أن تعرف امامته وعصمته بمجرد قوله .(١)

أما صاحب مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار فقد أبطل مازعموه أدلة على العصمة وأبطل اشتراطها في الامام أصلا واعتمد في بطلانها على أمور خمسة ضمنها بعض مانقلناه آنفا عن الامام الغزالي وزاد عليه وجوها أخرى فقال :

ومن أهم هذه الأمور المطالبة لهم بالأدلة وهو أن يقال لهم : بماذا عرفتم وجوب اشتراط العصمة للامام هل علمتموه بضرورة العقل أو بنظره أو بسماع خبر متواتر أو بقول امامكم هذا ؟ ولاسبيل الى دعوى الضرورة أو دعوى التواتر لعصمته لأن ذلك يوجب اشتراك الخلق في دركه وكيف يمكنكم دعوى الضرورة في وجوب اشتراط العصمة للامام وأصل وجوب وجود الامام لايعرف ضرورة بل قد نازع فيه منازعون . وان ادعيتم علم ذلك بنظر العقل فالنظر عندكم باطل ولامعتمد عليه . وان عرفتم ذلك بقول امامكم فلم صدقتموه قبل أن تعلموا عصمته بدليل آخر ؟ وعلى انكم اذا كنتم لاتعرفون عصمته الا من قوله وقوله لايكون حجة الا اذا كان معصوما فقد وقف كل واحد من الأمرين على الآخر فلايحصلان ولاواحد منهما .(٢)

وبمثل هذه الالزامات والافحامات ناقشهم أيضا محمد بن

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص ١٤٢ .
(٢) مشكاة الأنوار ليحيى العلوي ص ٨٣ .

الحسن الديلمى فى كتابه بيان مذهب الباطنية وبطلانه وابطل قولهم بالعصمة (١).

أما ابن تيمية رحمه الله فقد بين مكان العصمة ومن يوصف بها بقوله : لم لايجوز أن يكون فى الأمة الاسلامية من ينبه الامام اذا أخطأ بحيث لايحمل اتفاق الكل على الخطأ كما اذا أخطأ احد الرعية نبهه امامه او نائبه وتكون العصمة ثابتة للمجموع بحيث لايحمل اتفاقهم على الخطأ كما يقوله أهل السنة والجماعة . ونظيره أن كل واحد من أهل خبر التواتر يجوز عليه الخطأ والكذب ولايجب ذلك على المجموع فى العادة فاثبات العصمة للمجموع أولى من اثباتها للواحد وبذلك يحمل المقصود من العصمة ومن جهل الرافضة انهم يوجبون عصمة واحد من المسلمين ويجوزون على مجموع المسلمين – اذا لم يكن فيهم معصوم – الخطأ (٢).

ومن أقوى الشبه التى يعتبرونها أدلة قولهم ان الامام قائم مقام رسول الله فيما يتعلق به من أمر الدين كله فاذا كان النبى معصوما وجب أن يكون الامام أيضا معصوما وقد أجاب عن هذه الشبهة صاحب مشكاة الانوار بجوابين :

الأول : أن مماثلة الامام للنبى يعتبر من جهل الملاحدة الذين يجمعون بين الأمور المتباعدة ويوفقون بين الأشياء المتباينة فعصمة الأنبياء ثبتت بايحاء الله لهم أما الأئمة فليسوا كذلك .

الجواب الثانى : اننا نسألهم هل يوجبون فى الامام أن

---

(١) انظر كتابه بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٦٤-٦٥ .
(٢) انظر كتاب المنتقى للذهبى مختصر منهاج السنة لابن تيمية ص ٤١٠ .

يكون مثل النبي في جميع أحواله أو يقولون لابد من فصل بينهما ؟

فان قالوا بالأول لم يكن فرق بين النبي والامام وليس هذا مذهبا لهم . وان قالوا بالثاني قلنا لهم فلم لايكون الأمر الذي افترقا فيه هو السبب في وجوب عصمة النبي دون الامام ؟ (١)

كما أن الرازي أوقعهم في مأزق حرج لافرار منه حيث قال نقضا لدعواهم في العصمة : لو كان المعصوم في غير حاجة الى النبي لما كان علي بن أبي طالب - وأنتم تثبتون له العصمة مدى الحياة - في حاجة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا باطل لأنكم تسلمون انه كان اليه محتاجا وبه مؤتما فان زعمتم أن أمير المؤمنين لم يكن في حاجة الى النبي كان ذلك خروجا عن الدين وان زعمتم انه لم يكن معصوما كان خروجا من قاعدتكم ان الامام معصوم من أول عمره الى آخره . (٢)

ويوضح الدكتور أحمد صبحي أن قول الشيعة في العصمة حين يرتطم بالواقع الملموس تبدو نواحي التهافت فيه . فاذا كانت الأمة بحق في حاجة الى معصوم يحفظ لها الشرع ويفسر الوقائع المتجددة في غير اختلاف فان هذه تصورات عقلية للتمني ولكنها لاتغني عن الواقع شيئا وهكذا تبدو العقيدة الشيعية في الامامة يوتوبيا تتطلع اليه الأعناق ولكنها تغمض العين عن الحقائق الواقعية القائمة مادمنا لانجد لمثل هذا المعصوم الذي يجب وجوده وظهوره في كل عصر اثرا ولاخبرا . (٣)

---

(١) مشكاة الأنوار ليحيى العلوي ص ٨٦ .
(٢) نهاية العقول للرازي ص ٤٣٥ نقلا من نظرية الامامة لأحمد صبحي ص ١٢٤ .
(٣) نظرية الامامة لأحمد محمود صبحي ص ١٢٠ .

ومن ابلغ الرد عليهم مانقل عن الأئمة الستة من لدن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى جعفر الصادق من اقرار بخطأ واستغفار من ذنب وتحلل من مظلمة وسبق أن نقلنا نماذج واقعية من ذلك في القسم الأول من الرسالة (١). أما أئمة الاسماعيلية بعد أولئك ولاسيما أئمة الظهور فانهم - كما قال ابن تيمية - أخبارهم عند العلماء مشهورة بالالحاد والمحادة لله ورسوله والردة والنفاق ومثل هؤلاء (٢) لا امامة لهم ولاطاعة بل تجب محاربتهم ومقاتلتهم ومن فحش القول وهذيانه من زعم عصمتهم .

أما التأويل فهو من الخصائص التي نسبوها للأئمة حتى انهم زعموا أن للأنبياء التنزيل ولأئمتهم التأويل وبمعنى أدق للأنبياء علم الظاهر ولأئمتهم علم الباطن ومع بطلان هذا الادعاء فاننا ان شاء الله تعالى سنناقشه ونبين تهافته عند الحديث عن أصلهم الثاني التأويل الباطني .

(٤) أما المعتقد الرابع : وهو ادعاءهم أن الامامة منحصرة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبنائه على التعيين من بعده واحداً بعد آخر .

فهذا المعتقد مما اتفقت عليه الشيعة الامامية والباطنية . وقبل أن نتناوله بالنقد والابطال لابد من الاشارة الى أن هذا هو محور التشيع وقاعدته التي ارتكز عليها حيث تبنوا هذه الفكرة التي ترجع أصولها الى

---

(١) انظر القسم الأول ص ١٤٣-١٤٥ .
(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١٠١/٤ .

المجوسية[1] فاختاروا أسرة على بن أبى طالب وتترسوا بها بدعوى التشيع لهم وعلى أساس ذلك أقاموا المعتقدات الأخرى . وتشيع الاسماعيلية أو الامامية لآل البيت ليس تشيعا صادقا ومحبة واكراما لهم وانما هو فى حقيقة الأمر مؤامرة وذريعة لبلوغ أهداف خطيرة مبطنة . ولذا – كما قال ابن تيمية – ان من وصاياهم الدخول على عامة المسلمين وجهالهم من باب التشيع لآل البيت . ويعتبر ابن تيمية تظاهرهم بالتشيع وموالاة آل البيت مع ابطانهم خلافه يشكل خطرا وضررا على المسلمين أشد من ضرر اليهود والنصارى[2] . وقد سبق أن ذكرنا كذلك بالأدلة والنصوص صلة اليهود بالاعتقاد بقداسة أسرة معينة لها من الخصائص والميزات مايجعل الملك أو الامامة محصورة فيها[3] .

والادعاء بأن الامامة خاصة بعلى بن أبى طالب وأبنائه من بعده ادعاء كاذب وزعم مجرد من الدليل الصحيح واذا تتبعنا مازعموه أدلة على هذا المعتقد الخطير نجدها لاتدل على مايدعوه عقيدة لهم وبيان ذلك بالتفصيل كالآتى :

(١) أدلة صحيحة ثابتة ولكن الاستدلال بها خطأ حيث أولوها وحرفوها حسب رغباتهم وشهواتهم مستخدمين فى ذلك التأويلات الباطنية التى لاحدود لها ولاضوابط سواء فى ذلك القواعد الشرعية المتفق عليها بين المسلمين أو أصول ومدلولات اللغة العربية التى نزل بها القرآن

---

(١) سبق أن بينت هذه الفكرة وجذورها المجوسية فى القسم الأول من الرسالة ص ١١٢-١١٦ .

(٢) الفتاوى لابن تيمية ٣٥٦/٣ ، ٢٠٩/١٣ .

(٣) راجع القسم الأول من الرسالة ص ١٠٤ فما بعد ، ص ١٢٢ فما بعد .

وخاطبهم حسب ألفاظها ومعانيها .

فمن الآيات التى استدلوا بها على انحصار الامامة فى على وأبنائه قوله تعالى : {ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس} (١) فأولوا هذه الآية بأنها أمر من الله لنبيه بابلاغ الناس بوصاية على فكأن عليا هو المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) . ومن المعلوم بالضرورة لغة وشرعا بطلان هذا التأويل وذلك الاستدلال . وكاستدلالهم بقوله تعالى : {وجعلها كلمة باقية فى عقبه} (٣) على انتقال الامامة واستمرارها فى نسل على بن أبى طالب ولدا بعد والد (٤) . مع العلم أن المقصود بالكلمة فى الآية قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى الآية قبلها لأبيه وقومه : {اننى براء مما تعبدون} (٥) .

ومن الأحاديث التى استدلوا بها مع صحتها وبطلان استدلالهم بها ماثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله لعلى رضى الله عنه حينما أمره بالجلوس فى المدينة فى غزوة تبوك (ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبى بعدى) رواه البخارى ومسلم (٦) فأولوا هذا الحديث على وصاية على بل ونبوته عند البعض (٧) . مع العلم أن الحديث يدل على أن

---

(١) سورة المائدة : ٦٧
(٢) المجالس المؤيدية للشيرازى ١/٥ .
(٣) سورة الزخرف : ٢٨
(٤) المجالس والمسايرات لقاضى الاسماعيلية بن حيون ص ٧٦ .
(٥) سورة الزخرف : ٢٦
(٦) فتح البارى ١١٢/٨ كتاب المغازى ، باب غزوة تبوك ، صحيح مسلم بشرح النووى ١٧٤/١٥-١٧٥ .
(٧) انظر ديوان المؤيد الشيرازى لمحمد كامل حسين ص ٧٤ .

علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجد في خاطره شيئا في بقاءه في المدينة رغبة منه في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخوانه من الصحابة رضوان الله عليهم فطيب الرسول صلى الله عليه وسلم خاطره في البقاء في المدينة بهذه المنقبة . وأما تاويل هذا الحديث بأن علي في مقام النبوة فيرد على هذا التاويل آخر الحديث .

وهكذا نجد أن الاسماعيلية أولوا آيات قرآنية أو احاديث صحيحة تاويلا باطنيا يخرج بهذه الأدلة عن مدلولاتها ومراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم منها وببطلان تاويلاتهم هذه يبطل استدلالهم على مازعموه من اختصاص علي وآل بيته بالامامة ولكثرة تاويلاتهم للآيات والأحاديث وتعسفهم فيها انتقدهم المستشرق اليهودي جولد تسيهر وقال : ان من يقرا تفسيرات الشيعة يتصور أن القرآن كتاب حزبي لهم وضرب مثالا بارزا لذلك وهو تفسير القمي . (١)

ومن القضايا الجيدة التي استنبطها الدكتور صبحي في بحثه عن نظرية الامامة أن الشيعة واجهت مشكلة للدلالة على امامة علي بن أبي طالب من القرآن لأن اعتقادهم أن الامامة الهية ولابد من نص الهي عليها فحلوا هذه المشكلة بالتفسير المتعسف أو التأويل التحكمي للآيات من أجل عثور على آيات قرآنية تؤيد نظامهم المقرر . (٢)

وفي موضع آخر يقول : ان عقائد الشيعة قد اصطدمت بالعقل اكثر من مرة تارة حين يقدم مفسرو الشيعة تاويلات

---

(١) مذاهب التفسير الاسلامي لجولد تسيهر ص ٣١ .
(٢) نظرية الامامة لأحمد صبحي ص ٢٠٣ .

متكلفة للآيات تكلفا لايستسيغه العقل . وتارة حين قدموا عقائد مسرفة فى الغيبية لايجدى الاعتقاد بها اى نفع مادامت مغيبة على الناس وقد أوشكوا أكثر من مرة بعد أن حاموا حول الحمى - أى دائرة الاسلام - أن يترددوا فيه ولم يكن أمر ذلك خافيا عليهم او على الاقل خافيا على طائفة كبيرة منهم لم تجد حلا للتخلص من العقيدة الأساسية التى اضطرتهم الى هذا الحرج وهى عقيدة النص الجلى على امامة على .(١)

(٢) ومما استدل به الاسماعيلية على انحصار الامامة فى على وابنائه من بعده أحاديث مكذوبة على رسول له صلى الله عليه وسلم وعلى على بن أبى طالب رضى الله عنهوضعها المبتدعة والزنادقة من الشيعة سواء الرافضة أو الاسماعيلية . ومن ذلك ماروا ه المؤيد الشيرازى فى مجالسه من أن جعفر الصادق نقل عن الحسن البصرى أنه روى عن النبى انه قال :

ان الله أرسلنى برسالة فضاق بها صدرى وخشيت أن يكذبنى الناس فتوعدنى ان لم أبلغها أن يعذبنى ... الى أن قال الراوى فما هى هذه الرسالة قال انها فى شان ولاية على(٢) ومما كذبوا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم رووا أنه صلى الله عليه وسلم حينما قرا الآية {انما أنت منذر ولكل قوم هاد}(٣) قال : انا المنذر وعلى الهادى من بعدى وفى رواية ينسبونها لابن عباس انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا المنذر وعلى الهادى من

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٧ .
(٢) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ٧٢-٧٣ .
(٣) سورة الرعد : ٧

بعدى ياعلى بك يهتدى المهتدون .(١)

ومن رواياتهم المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم رووا عنه أنه قال لعلى : لولا أنى أتخوف عليك أن يقول الناس فيك ماقالت النصارى فى المسيح لقلت فيك قولا لاتمر بملأ منهم الا ويأخذون من تراب تحت قدميك ويشربون من فضل طهورك . رواه الشيرازى .(٢)

ومن أكاذيبهم على على - وماأكثرها - انهم رووا عنه انه قال : لايقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد ولايسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا هم أساس الدين وعماد اليقين اليهم يفىء الغالى وبهم يلحق التالى ولهم خصائص لولاته وفيهم الوصية . ورووا عنه أيضا قول شيعته : بنا اهتديتم فى الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن الاسرار نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة ان أمرنا صعب مستصعب لايحمله الا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ولايعى حديثنا الا صدور أمينة وأحلام رزينة نحن أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته العليا .(٣)

ورووا عن على أنه قال : أنا ومحمد من نور واحد من نور الله تعالى .

وانه قال أيضا : نحن نور من نور الله وشيعتنا منا .(٤)

وماأكثر رواياتهم المكذوبة على الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) ديوان المؤيد الشيرازى لمحمد كامل حسين ص ٧٤ .
(٢) المجالس المؤيدية للشيرازى ١٤٧/١ ، انظر ديوان المؤيد ص ٧٩ لمحمد كامل حسين .
(٣) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ١٦-١٧ .
(٤) ديوان داعى الدعاة الاسماعيلى المؤيد ص ٧٦ .

وعلى علي بن أبي طالب والأئمة من بعده وحسبهم عقوبة قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : "من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" رواه مسلم (١) .

ومن الجدير بالذكر أن علماء الشيعة المتقدمين أقروا واعترفوا بوضع الأحاديث ونسبتها الى الرسول صلى الله عليه وسلم أو الأئمة . يقول ابن أبي الحديد ـ وهو من علماء الشيعة المتقدمين المعتبرين ـ واعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فانهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم (٢) .

أما علماء السنة والجماعة فقد أطبقوا على وصفهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع الأحاديث وحينما سئل الامام مالك رحمه الله عن الرافضة ومروياتهم قال : لاتكلمهم ولاترو عنهم فانهم يكذبون .

وقال الشافعي رحمه الله : لم أر أحدا أشهر بالزور من الرافضة .

وقال الأعمش رحمه الله : أدركت الناس ومايسمونهم الا الكذابين .

وقال ابن تيمية رحمه الله : ان من تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفيها بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف . والخوارج مع مروقهم من الدين هم من أصدق الناس حتى قيل ان حديثهم من أصح الحديث ،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٧/١ .
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحدير ١٧/١١ .

والرافضة يقرون بالكذب حيث يقولون : ديننا التقية وهذا هو النفاق .[1]

ويقول ابن القيم رحمه الله : ان ماوضعه الرافضة فى فضائل على أكثر من أن تعد ونقل عن الحافظ أبى يعلى قوله : ان الرافضة وضعت فى فضائل على رضى الله عنه وأهل البيت نحو ثلاث مائة ألف حديث .

ويعلق ابن القيم على قول أبى يعلى : بأن ذلك لايستبعد حيث لو تتبعنا ماعندهم من ذلك لوجدنا الأمر كما قال أبو يعلى .[2]

ومعلوم أن الاسماعيلية أكثر غلوا وانحرافا من الرافضة المشهورين بوضع الأحاديث والكذب فى الرواية ومافى كتبهم ومؤلفاتهم اشر وأكذب مما كتب فى كتب الرافضة .

(٣) ومن أدلة الاسماعيلية على انحصار الامامة فى على وابنائه مايروون من الأحاديث فى فضائله ومناقبه ومناقب الأئمة من بعده ومع صحة القليل منها فقد أولوها تأويلا باطنيا وصرفوها عن معناها الصحيح الى معان باطنية مخالفة للأصول الشرعية والدلالات اللغوية وهى مع ذلك لاتدل على معتقدهم فى انحصار الامامة فى على ونسله من بعده وذلك كقول النبى صلى الله عليه وسلم : "الدنيا ملعونة وملعون كل مافيها الا ماأريد به وجه الله " .[3]

---

(١) انظر المنتقى للامام الذهبى ص ٢١-٢٣ .
(٢) المنار المنيف لابن القيم ص ١١٦ .
(٣) الحديث رواه الترمذى فى سننه ٦/٦١٣-٦١٤ انظر تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى وقال عن الحديث انه حديث حسن غريب مع اختلاف طفيف فى بعض ألفاظه .

حيث يؤولون وجه الله بانه هو الابداع الأول التام الكامل الذى من عداه مفتقر اليه وهالك كل من لم يكن له به علاقة وهذا فى العالم الروحانى "القلم" .

ويقابله فى العالم الجسمانى رسول الله وهذه الصفة أيضا لعلى بن أبى طالب الذى قال عن نفسه أنا وجه الله الذى ذكره بقوله : {فاينما تولوا فثم وجه الله} (١) .

ومما هو داخل فى هذا النوع من الاستدلال عند الاسماعيلية استدلالهم لحادثة وقعت لعلى بن ابى طالب مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع انها فى أصلها صحيحة فانهم زادوا عليها من الالفاظ والعبارات بل من القصص والروايات ماهو اضعاف الصحيح منها واستدلوا بها على امامة على ووصايته وان الأئمة من ذريته لهم نفس الخصائص والميزات وذلك كحادثة "غدير خم" (٢) فمع صحة أصلها وثبوته الا انهم اضافوا

---

(١) المجالس المؤيدية للشيرازى ٢١١/١ ، سرائر النطقاء لجعفر بن منصور اليمن ص ٥٧ ، وانظر ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ٨١ . والآية من سورة البقرة رقم ١١٥ .

(٢) حديث الغدير رواه مسلم ولفظه عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فقال : اما بعد أيها الناس انما أنا بشر يوشك ان يأتينى رسول ربى فأجيب ربى وانى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتى اذكركم الله فى أهل بيتى . رواه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل على ١٥/١٧٩-١٨٠ .
وأجاب ابن تيمية على هذا الحديث بانه صحيح بهذا اللفظ ودلالة لفظه الصحيح أن الذى أمرنا بالتمسك به وجعل المتمسك به لايضل هو كتاب الله . انظر منهاج السنة النبوية ٣٩٣/٧-٣٩٤ .
وأما أهل البيت فان دلالة الحديث لاتدل على امامة على ولاغيره من آل البيت والذى يدل عليه هو الوصية بهم من اعطائهم حقوقهم والامتناع من ظلمهم ولايدخل فى ذلك الامامة . انظر منهاج السنة ٣١٨/٧-٣١٩ . =

الكثير المكذوب عليها - كما ذكرنا - ليبنوا معتقدهم فى انحصار الامامة فى على على دليل أو أدلة مهما كان السند فرووا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى : لم أزل أنا وانت ياعلى من نور واحد ننتقل من الأصلاب الطاهرة الى الأرحام الزكية كلما ضمنا صلب ورحم ظهر لنا قدرة وعلم حتى انتهينا الى الجد الأفضل والأب الاكمل عبد المطلب فانقسم ذلك النور نصفين فى عبد الله وأبى طالب . فقال الله تعالى كن ياهذا محمدا . وياهذا كن عليا . ولكن عبد الله توفى فاستودع عبد المطلب مرتبة النبوة والرسالة لمحمد ثم استودع ابو طالب مرتبة الوصاية والامامة أيضا . وبعد وفاة أبى طالب اجتمعت لمحمد هذه المراتب فكان محمد مجمعا للرتب جميعها وهى النبوة والرسالة والامامة والوصاية فكان باجتماعها فيه أعلى من جميع المخلوقات حتى كان يوم "غدير خم" سلم فيه النبى مرتبة الاستقرار لعلى ومنه الى الأئمة من ولده حتى تجتمع هذه المراتب مرة أخرى فى قائم القيامة (١) .

فهذه الرواية المليئة بالأكاذيب ذكروا فيها حادثة

= وروى الحديث أيضا الترمذى بسنده بلفظ مقارب من الفاظ مسلم وفيه قوله صلى الله عليه وسلم "وعترتى أهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" . رواه الترمذى فى كتاب المناقب . باب مناقب أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ٢٨٩/١٠-٢٩٠ . وقال الترمذى عنه هذا حديث حسن غريب واجاب ابن تيمية عنه بأن هذا الحديث رواه الترمذى وقد سئل عنه الامام احمد بن حنبل فضعفه وضعفه غير واحد من أهل العلم وقالوا لايصح . منهاج السنة ٣٩٤/٧ .
والذين قالوا بصحة هذه الرواية قالوا : انما يدل على أن مجموع العترة الذين هم بنو هاشم لايتفقون على ضلالة وهذا قاله طائفة من أهل العلم وهو من أجوبة القاضى أبى يعلى . منهاج السنة ٣١٨/٧ .

(١) ديوان المؤيد الشيرازى ص ٨٠-٨١ لمحمد كامل حسين .

الغدير – مع صحة أصلها – وأضافوا اليها من الكلام الساقط الغث ماهو باطل معنى ومبنى .

هذا مع العلم بأن للصحابة الآخرين من المناقب والفضائل ماهو أكثر من على بن أبى طالب وذلك كأخوانه الخلفاء الراشدين قبله أبى بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم ، وثبت فى ذلك نص صحيح صريح عن على رضى الله عنه . ففى صحيح البخارى عن محمد بن الحنفية قال قلت لأبى : أى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أبو بكر . قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر وخشيت ان يقول عثمان قلت ثم انت قال : ما انا الا رجل من المسلمين . رواه البخارى وابو داود وابن ماجة وأحمد بن حنبل فى مسنده (١) . وغيرهم من علماء الملة الحنيفية .

ولذا يقول ابن تيمية : انه تواتر عن على رضى الله عنه من وجوه كثيرة انه قال على منبر الكوفة وقد أسمع من حضر : خير هذه الأمة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر . وحينما سأل سائل شريك بن عبد الله أيهما افضل ابو بكر أوعلى ؟ فقال له ابو بكر فقال له السائل : اتقول هذا وانت من الشيعة ؟ فقال نعم انما الشيعى من قال مثل هذا والله لقد رقى على هذه الأعواد فقال : الا ان خير هذه الأمة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر . افكنا نرد قوله ؟ أكنا نكذبه ؟ والله ماكان كذابا (٢) . بل انه روى عن على رضى الله عنه انه قال :

---

(١) فتح البارى ٢٠/٧ ، سنن أبى داود ٢٦/٥ باب فى التفضيل كتاب السنة ، سنن ابن ماجة ٣٩/١ فضل عمر رضى الله عنه حديث رقم ١٠٦ وفى المسند ورد الأثر ٢٤ مرة عن أبى جحيفة والهمدانى وغيرهما .

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق محمد رشاد ١١/١-١٤ .

لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر الا ضربته حد الفرية او المفترى ثمانين جلدة .(١)

وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن عمرو ابن العاص رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت يارسول الله اى الناس احب اليك ؟ قال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من ؟ قال عمر وسمى رجالا . رواه البخارى ومسلم والترمذى واحمد بن حنبل .(٢)

وكان السلف متفقين على تقديم ابى بكر وعمر رضى الله عنهما حتى شيعة على رضى الله عنه ومما روى من الاثار فى هذا ماروا ه ابن بطة بسنده عن عبد الله بن زياد قال قدم ابو اسحاق السبيعى الكوفة . قال لنا شمر بن عطية قوموا اليه فجلسنا اليه فتحدثوا فقال ابو اسحاق : خرجت من الكوفة وليس احد يشك فى فضل أبى بكر وعمر وتقديمهما وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون ولاوالله ما أدرى مايقولون .

وحدثنا النيسابورى بسنده الى سعيد بن حسن قال سمعت ليث بن ابى سليم يقول : أدركت الشيعة الأولى ومايفضلون على ابى بكر وعمر احدا .

وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا سفيان بن عيينة بسنده الى مسروق التابعى الكوفى قال : حب أبى بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة .

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١٣٨/٦ ، الحسام المسلول للحضرمى ص ٣٩-٤٠ .

(٢) فتح البارى ١٨/٧ ، صحيح مسلم ١٥٣/١٥ ، سنن الترمذى ٣٦٥/٥ ، المسند لأحمد بن حنبل ٢٠٣/٤ .

وروى مثل ذلك عن طاووس وقبلهما روى مثل ذلك ابن مسعود رضى الله عنه .(١)

ان هذه الأحاديث الصحيحة والآثار الثابتة تدل على أن عليا رضى الله عنه ليس بأفضل الصحابة وأكثرهم مناقب فأبو بكر وعمر افضل منه كما ثبت ذلك بروايته ورواية غيره فالامامة ثابتة لأفضل الصحابة رضوان الله عليهم وافضلهم أبو بكر ثم عمر ومن ثم فان فضائل على ومناقبه الثابتة ليست بأكثر ولا أفضل من أبى بكر وعمر الثابت لهما من الفضائل والمناقب احاديث كثيرة .(٢)

وأما الادعاء بأن أولاد على بن أبى طالب كالحسن والحسين رضى الله عنهما ائمة منصوص عليهم فادعاء باطل انكره وكذبه آل البيت انفسهم . يقول ابن تيمية : والذى علمناه من حال أهل البيت علما لاريب فيه انهم لم يكونوا يدعون انهم منصوص عليهم كجعفر الصادق وأبيه وجده زين العابدين على بن الحسين وأبيه .(٣)

والادلة على ماذكره ابن تيمية كثيرة ثابتة ومن ذلك ماروا ه البخارى عن ابى بكرة رضى الله عنه انه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه ينظر الى الناس مرة واليه مرة ويقول : ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين . وفى رواية

---

(١) منهاج السنة النبوية ٦/١٣٥-١٣٧ .
(٢) فى معظم كتب الحديث المعتبرة باب خاص بمناقب وفضائل كل منهما وفى الباب احاديث كثيرة .
(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبى ص ٥٣٣ .

للبخارى "بين فئتين عظيمتين من المسلمين"[(١)] .

وروى الامام أحمد فى مسنده نص هذا الحديث وفيه فقال الحسن - وهو أحد الرواة - فوالله بعد أن ولى لم يهرق فى خلافته ملء مجمحة من دم[(٢)] .

ويقول الخطابى : انه خرج مصداق هذا الحديث بما كان من اصلاح الحسن بين أهل العراق وأهل الشام وتخليه عن الأمر خوفا من الفتنة وكراهية لاراقة الدماء ويسمى ذلك العام عام الجماعة أو سنة الجماعة[(٣)] كما قال بذلك ابن بطال فيما نقل عنه ابن حجر فى شرحه لحديث أبى بكرة يقول : سلم الحسن لمعاوية الأمر وبايعه على اقامة كتاب الله وسنة نبيه ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس فسميت سنة الجماعة لاجتماع الناس وانقطاع الحرب . وبايع معاوية بعد ذلك كل من كان معتزلا للقتال كابن عمر وسعد بن أبى وقاص ومحمد بن مسلمة رضوان الله عليهم أجمعين[(٤)] .

فهذا الحديث النبوى - والذى يعتبر من معجزاته صلى الله عليه وسلم[(٥)] - يبطل دعاوى الشيعة حول نصية الامامة سواء

---

(١) رواه البخارى فى مواضع عدة من صحيحه انظر فتح البارى كتاب الصلح ٣٠٦/٥ ، كتاب المناقب ٦٣٨/٦ ، كتاب فضائل الصحابة ٩٤/٧ ، كتاب الفتن ٦١/١٣ .
كما رواه أبو داود ٤٨/٥-٤٩ ولفظه وانى أرجو أن يصلح الله به بين فئتين من أمتى . كما أخرجه الترمذى فى سننه ٦٥٨/٥ فى كتاب المناقب . كما أخرجه النسائى فى سننه ٨٧/٣-٨٨ فى كتاب الجمعة باب مخاطبة الأمير رعيته وهو على المنبر . كما أخرجه الامام أحمد فى مسنده ٣٧/٥-٣٨ .

(٢) انظر المنتقى للذهبى ص ٥٣٣ .

(٣) معالم السنن للخطابى حاشية سنن أبى داود ٤٨/٥-٤٩ .

(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى ٦٣/١٣ .

(٥) يقول ابن تيمية رحمه الله : ان هذا الحديث يعتبر من أعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث ذكر فى الحسن ماذكره وحمد منه ماحمده فكان ماذكره وماحمده مطابقا للحق الواقع بعد أكثر من ثلاثين سنة ، فان =

من الرافضة أو الاسماعيلية . فالحسن رضى الله عنه تنازل عن الامامة لمعاوية رضى الله عنه وأصبح معاوية هو الامام لجميع المسلمين وبعد تنازل الحسن بايعه بقية الصحابة رضى الله عنهم ثم بعد ذلك أهل الكوفة . وتنازل الحسن رضى الله عنه هذا يعتبر من فضائله ومناقبه التى مدحه الرسول بها واثنى بها عليه من أخباره صلى الله عليه وسلم بسيادته واصلاحه وحقنه دماء المسلمين . ومن المعلوم دينا ان الحسن رضى الله عنه لو كان يعلم أن الامامة ثابتة له نصا ولمن بعده ماتنازل عنها ولااعتبر ذلك من مناقبه وفضائله رضى الله عنه فدل ذلك على بطلان زعم الشيعة نصية الامامة فى على بن أبى طالب رضى الله عنه وأبنائه من بعده .

ومن الأدلة على بطلان نصية الامامة فى على وأبنائه مارواه الامام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن سبع قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول : لتخضبن هذه من هذا فما ينتظر بى الا شقى . قالوا ياأمير المؤمنين فاخبرنا به نبير عترته قال اذا تالله تقتلون بى غير قاتلى . قالوا : فاستخلف علينا قال : لا ولكن أترككم الى ماتركيكم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : فما تقول لربك اذا اتيته قال

= اصلاح الله بالحسن بين الفئتين كان سنة احدى وأربعين من الهجرة . وكان على رضى الله عنه استشهد فى رمضان سنة أربعين والحسن حين مات النبى صلى الله عليه وسلم كان عمره نحو سبع سنين فانه ولد عام ثلاث من الهجرة وأبو بكرة - راوى الحديث - أسلم عام الطائف ،والطائف كانت بعد فتح مكة فهذا الحديث الذى قاله النبى صلى الله عليه وسلم فى الحسن كان بعد مامضى ثمان من الهجرة وكان بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة التى هى خلافة النبوة فلابد أن يكون قد مضى له أكثر من ثلاثين سنة فانه صلى الله عليه وسلم قاله قبل موته . منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤/٥٣٢-٥٣٣

أقول اللهم تركتني فيهم مابدا لك ثم قبضتني اليك وأنت فيهم فان شئت أصلحتهم وان شئت أفسدتهم . وروى الامام أحمد أيضا مثله عن أسود بن عامر عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عبد الله بن سبع وذكر أنه سيقتل . ثم قال الناس : استخلف اذا قال لا ولكن أكلكم الى ماوكلكم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

ان هذه الأحاديث الصحيحة نصوص ثابتة وصريحة فى بطلان دعوى نصية الامامة فى على وأبنائه من بعده ولذا يقول ابن العربى : ان قول الرافضة ان على بن أبى طالب عهد الى ابنه الحسن قول باطل وانه ماعهد الى أحد (٢) .

ومع بطلان دعوى الشيعة نصية الامامة فى على وأبنائه بدلالة الأحاديث الصحيحة الصريحة ودلالة الواقع عليه فانهم بنوا على دعواهم هذه التهجم على الخلفاء الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم واعتبروهم مغتصبين للخلافة وان خلافتهم باطلة وتطاولوا بعد ذلك عليهم سبا وتجريحا وافتروا عليهم العظائم وجعلوا حسناتهم سيئات حتى ان المسلم اذا قرأ كتب الشيعة على تعدد فرقهم وتشعبها يربأ بنفسه عن قراءتها ومتابعة الفاظهم الشنيعة فضلا عن كتابتها وتسطيرها .

والحقيقة أن القدح فى جيل الصحابة - ولاسيما الخلفاء الثلاثة - يعتبر قدحا فى الله عز وجل وفى رسوله صلى الله عليه وسلم وفى دينه ، فان الصحابة نقلة هذا الدين وأثنى

---

(١) المسند للامام أحمد بن حنبل ١/١٣٠،١٥٦ .
(٢) العواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى ص ١٩٨ .

الله عز وجل عليهم في مواضع كثيرة من القرآن كما قال فيهم المصطفى صلى الله عليه وسلم : "لاتسبوا أصحابي فوالذى نفسى بيده لو أن احدكم انفق مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولانصيفه " (١) .

والخلاصة فان أصل الشيعة في موضوع الامامة سواء كانوا رافضة أو اسماعيلية ليس لديهم عليه أدلة صحيحة يعتد بها وماكان منها صحيحا - وهو قليل - فهي مؤولة تأويلا متعسفا أو تأويلا باطنيا يخرج بهذه الأدلة الصحيحة عن مدلولها الشرعى ومقتضاها اللغوى . يقول ابن خلدون : ان مااستدل به الشيعة من نصوص انما هي نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لايعرفها جهابذة السنة ولانقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة (٢) .

ويقول ابن حزم : ان سائر الأحاديث التى تتعلق بها الرافضة موضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها (٣) .

ومن أقوى الردود على الاسماعيلية بعد الأدلة الشرعية مايؤخذ من تاريخهم وواقعهم الملىء بالتناقض والاضطراب واذا مانظرنا في ذلك فسوف نصل الى النتائج الواقعية التالية :

(١) أن الاسماعيلية يعتقدون معتقدات نظرية غير قابلة للتطبيق فهم ينصون على أن الامامة نص على الابن بعد

---

(١) رواه البخارى . فتح البارى ٢١/٧ ، ورواه مسلم بشرح النووى ٩٢/١٦ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٤٧-١٤٨ .
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١٤٨/٤ .

أبيه والنص لايرجع القهقرى .

ففي هذه الحالة كيف يفسرون امامة الحسين بعد أخيه الحسن رضى الله عنهما وكيف يفسرون انقطاع النسل بعد محمد ابن اسماعيل وكيف يفسرون انقطاع النسل بعد نزار بن المستنصر أو انقطاع النسل بعد الآمر بن المستعلى ثم كيف يفسرون دعوى أبناء الحسن الصباح انهم أئمة وهم ليسوا من نسل الأئمة كما هو ثابت من مؤسس دولتهم الذى سمى نفسه حجة الامام المستور ثم كيف يفسرون انقطاع نسل الأئمة القضاء على آخر حاكم فى الألموت عام ٦٥٤هـ الى ظهور حسن على شاه الذى لقب بأغاخان عام ١٢١٩هـ وجاهر بامامته للاسماعيلية النزارية . هذا بالنسبة للنزاريين أما المستعليين فكيف يفسرون انقطاع نسل الطيب بن الآمر من القرن الخامس الهجرى حتى الآن فهل الستر يستمر تسعة قرون أم ماذا ...الخ التناقضات والاضطرابات التى تدل على حماقاتهم وقحتهم ومجاهرتهم بالكذب وان دل ذلك على شىء فانما يدل على أن القوم لاقواعد لهم ولاضوابط وان اثبتنا لهم شيئا من ذلك فهم يقولون مالايفعلون وجزاءهم ماذكره الله عز وجل فى كتابه بقوله تعالى : {كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون} (١) ولامناص لهم من لزوم أحد هذين الأمرين .

(٢) أن الاسماعيلية نظريا يقولون بأن النص لايرجع القهقرى وعمليا طبقوا رجوع النص القهقرى فهدموا مبدأهم الأساسى بواقعهم وتاريخهم فماذا عساهم يقولون أيضا عن

---

(١) سورة الصف : ٣

امامة الحسين بعد أخيه الحسن رضى الله عنهما .

وماذا يقولون عن امامة اسماعيل بن جعفر مع اجماع المؤرخين على وفاته فى عهد ابيه (١) فهل هو امام منصوص عليه أم أن والده طرده وتبرأ منه نتيجة فسوقه وصلته بأبى الخطاب ؟

ثم ماذا يقولون عن دور الاستتار وهل الامامة فى هذه الفترة تنتقل من أب لابنه أم غير ذلك ؟ هذا مالانعلمه والكثير من الاسماعيلية لايعلمه (٢) . ثم ماذا يقولون عن امامة القائم وهل هو ابن لعبيد الله المهدى أم غير ذلك ؟

ومن الغرائب والعجائب ان المعز - وهو الامام الاسماعيلى الرابع من أئمة الظهور - نص على ابنه عبد الله واعلن على الملأ انه الامام بعده ثم مات عبد الله فى حياة أبيه ثم نقل المعز النص الى أخيه الأصغر الملقب بالعزيز دون نقل النص الى أحد أبناء عبد الله بموجب قاعدة الشيعة وأصلها فى انتقال الامامة من الأب الى ابنه . وهكذا - وكما يقول احسان الهى - هدم المعز العبيدى ذلك المبدأ الأساسى الذى قام عليه المذهب الاسماعيلى والديانة الاسماعيلية ولاأدرى كيف يستسيغ الاسماعيلية بعد ذلك أن يردوا على

---

(١) سبق الحديث بالتفصيل عن ثبوت وفاة اسماعيل بن جعفر قبل والده واجماع المؤرخين على ذلك ، وذلك فى القسم الأول من الرسالة ص ٣١٣-٣١٤ .

(٢) سبق أن ذكرنا أن الاسماعيليين أنفسهم اختلفوا فى الأئمة المستورين عددهم وأسماءهم وألقابهم وذلك فى القسم الأول من الرسالة ص ٣٣٥-٣٣٦ ، وماداموا مختلفين فى هذه الأمور وهى ثانوية ولم يثبتوا أمرا مرجحا فيها فكيف يقطعون بأن الامامة كانت تسير فى المستورين مسلسلة من الآباء الى الأبناء مع أهمية ذلك فى عقيدتهم .

الشيعة الآخرين مادام انهدم دعامة مذهبهم الأصلية من نقل الامامة فى الأعقاب وعدم رجوع النص القهقرى ؟

وكيف يحق لهم اثبات امامة محمد بن اسماعيل دون الآخرين من أعمامه من ولد جعفر بن محمد الباقر ؟ وأحواله تتشابه تماما مع العزيز بن المعز .

وهذا التناقض والتعارض وحده كاف للقضاء على المذهب الاسماعيلى والحكم عليه بالبطلان . كيف لاوداعى الدعاة الاسماعيلى ادريس عماد الدين يرد على الفرق الشيعية الأخرى فى هذه المسألة بقوله : تشتت شيعة جعفر الصادق وتمزقت وقالت كل فرقة منها بامامة واحد من آله فزلت عن سفينة النجاة وفى طوفان جهلها غرقت سوى من اعتقد امامة اسماعيل ابن جعفر ومحمد بن اسماعيل وعلمت أن محمدا بعد أبيه وجده هو الامام (١) .

ومن الملاحظ أن الاسماعيلية وقعوا فى تناقض واضطراب ولابد لهم من تخطئة أحد الامامين المعصومين ! جعفر الصادق أو المعز العبيدى حيث أن تصرف أحدهما فى نقل الامامة نقض لتصرف الآخر ويستحيل الجمع بينهما لتضادهما . فاذا صح تصرف المعز فقد بطل تصرف جعفر وبطلان تصرف جعفر يهدم مذهب الاسماعيلية كلية حيث لاتثبت امامة محمد بن اسماعيل بعد وفاة والده اسماعيل واذا صح تصرف جعفر بطل تصرف المعز وسارت الامامة فىالواقع فى غير أهلها وبذا تكون الامامة باطلة من ذلك الوقت حتى آخر امام لهم ولامناص لهم من احدى

---

(١) انظر كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد لاحسان الهى ص ٦٥٧-٦٥٩ .

الحالتين . وهذا من أبين الردود عليهم فى نصية الامامة وتسلسلها من الآباء الى الأبناء .

هذا وقد نقض الاسماعيلية أصلهم النظرى مرة اخرى عندما عين المستنصر العبيدى ابنه الأصغر المستعلى وأبعد نزارا وهو ولده الأكبر الذى يستحق الامامة - كما يدعون - ومن جراء ذلك حصل الخلاف بين الاسماعيلية عندئذ وانقسموا الى طائفتين النزارية القائلين بامامة نزار والمستعلية القائلين بامامة المستعلى وسبق أن ذكرنا ذلك (١) .

والخلاصة أن الاسماعيلية بأصلهم هذا (الامامة والأئمة) ابتعدوا كثيرا عن الهدى والصواب حتى لم يبق عندهم من الاسلام سوى بعض النصوص القرآنية التى لعب بها أئمتهم ودعاتهم تأويلا وتحريفا بحجة أن الأئمة اختصوا بمعرفة الباطن وحق التأويل .

هذا وقد آثرت عدم مناقشة ألفاظهم الالحادية ومعتقداتهم الكفرية (٢) فحكايتها وتصورها كاف فى بيان ضلالها وبطلانها ومما له مدلول مهم أن هذه المعتقدات ثابتة بنصوصهم هم وليست مما نقله عنهم غيرهم وكأنى بعلماء الفرق والمقالات أعرضوا عن ذكرها ونقلها لانها من الكفر البواح الذى لايحتمل التأويل ولايستحق الرد والمناقشة . وعندما يشيرون الى شىء منها فانهم يكتفون بالقول بأنه لايتفوه

---

(١) انظر القسم الأول من الرسالة ص ٣٥٥ .
(٢) وذلك كتأليه الأئمة والسجود لهم والقول بأفضلية الأئمة على الأنبياء والرسل وتفوههم بأفضلية امامهم محمد بن اسماعيل على الرسول صلى الله عليه وسلم وزعمهم بأنه ناسخ لشريعته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

بمثل هذه الأمور الا الملاحدة والكفار وأهل الردة والنفاق .

يقول ابن تيمية رحمه الله : ان الغلاة من الرافضة كالاسماعيلية الذين يقولون بالهية الحاكم ونحوه من أئمتهم ويقولون : ان محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله وغير لك من المقالات التى هى من مقالات الغالية من الرافضة فهؤلاء شر من أكثر الكفار من اليهود والنصارى والمشركين وهم ينتسبون الى الشيعة ويتظاهرون بمذاهبهم (١) .

وفى ختام الحديث عن أصل الامامة عند الاسماعيلية أجمل بعض النتائج الخطيرة التى نتجت عن معتقدهم فى الامامة ومنها :

(١) اللعب بالأصول الشرعية عن طريق الأئمة واخضاع هذه الأصول للتأويلات والتفسيرات الباطنية ولذا أصبحت حقائق الدين وأحكامه عند الاسماعيلية مبنية على التأثر بالأهواء والأغراض الشخصية التى لاضوابط لها ولاقواعد .

(٢) استغلال نظرية الامامة حيث كانت مدخلا للكثير من البدع وتربة صالحة للآراء والمعتقدات الاسماعيلية الباطلة .

(٣) اعتبر الاسماعيلية الامامة جسرا يعبرون عليه لاستمرار نشاطهم وتحقق أهدافهم الهدامة حيث أحاطوا الأئمة بهالة من التقديس والتعظيم وادعت كل طائفة أن امامها هو الذى يفيض عليه نور المعرفة وتتكشف له الحقائق ويعرف أصل الشريعة الذى يعبرون عنه بالباطن الحقيقى

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية تحقيق محمد رشاد ٤٨٢/١ .

وعن ذلك يقول الحميرى :

وقـد أمسـكت كـل طائفـة برئيس وعدت حسنا منه كل بئيس
ولكل محاسن ومساو وقول ليس بمتساو .(١)

كمـا يقـول المستشـرق اليهـودى جولد تسيهر : ان فكرة الامامـة عنـد الاسـماعيلية لـم تكـن الا قناعـا ستروا وراءه برامجـهم الهدامـة ولم تكن الا تكأة اسلامية المظهر اعتمدوا عليها كأداة للتقويض والتدمير .(٢)

---

(١) الحور العين لنشوان الحميرى ص ٢٤٨ .
(٢) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص ٢٣٩ .

الأصل الثاني : التأويل الباطني .

تمهيد :

التأويل الباطني أصل من أصول الاسماعيلية . وسبق أن تحدثنا عن تعريف التأويل الباطني وبيان أصله ومنشأه ، ومن ثم تسربه الى المجتمع الاسلامي عن طريق السبأية وفرق الغلاة (١) حتى تبنته الاسماعيلية ونشرته أكثر من غيرها وبنت جميع معتقداتها عليه ولذلك أجمع كتاب الفرق والمقالات على انهم انما سموا بالباطنية لقولهم بالظاهر والباطن واتخاذهم التأويل الباطني أصلا من أصولهم .

يقول الامام الغزالي : انهم لقبوا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية وهي عند العقلاء والأذكياء صور واشارات الى حقائق معينة وان من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والاغوار وقنع بظواهرها مسارعا الى الاغترار كان تحت الأواصر والأغلال معنى بالأوزار والأثقال (٢) .

ويتفق ابن الجوزى مع الغزالي في سبب التسمية حتى انه ليخيل للقارىء أن الأول نقل من الثاني وذلك للتشابه بينهما في العبارات والمدلولات (٣) .

---

(١) وذلك في القسم الأول من الرسالة ص ٢٧٧-٢٨٨ .
(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص ١١-١٢ .
(٣) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٠٢ . ولتأكيد أن ابن الجوزى نقل من الغزالي فان سنة وفاة ابن الجوزى عام ٥٩٧هـ أما الغزالي فتوفى عام ٥٠٥هـ فالمتأخر نقل عن المتقدم .

أما الشهرستاني فيقول : انه لزمهم لقب الباطنية لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا[1] .

ويقول يحيى العلوى : انهم لقبوا بالباطنية لدعواهم أن لظواهر القرآن والاخبار بواطن تجرى فى الظواهر مجرى اللب من القشر واعتقدوا انه من ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح منه وان الجهال هم المنكرون للباطن[2] .

ويشارك الديلمى من سبقه من العلماء فى سبب التسمية فيقول : انهم لقبوا بالباطنية لأنهم ينسبون لكل ظاهر باطنا ويقولون ان الظاهر بمنزلة القشور والباطن بمنزلة اللب المطلوب[3] .

ويقول صاحب الفرق الاسلامية :انهم لقبوا بالباطنية لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره فقالوا : انللقرآن باطنا وظاهرا والمراد منه باطنه دون ظاهره ونسبة الباطن الى الظاهر كنسبة اللب الى القشر والمتمسك بظاهره معذب بالمشقة بالاكتساب وباطنه مؤد ترك العمل بظاهره[4] .

وينفرد ابن خلدون عمن سبق ذكرهم منالعلماء حول سبب تسميتهم بالباطنية حيث يقول : ان تسميتهم بذلك لقولهم بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق وانه الامام الباطن أى المستور[5] .

وماذكره ابن خلدون لايخرج فى حقيقة الأمر مع ماأجمع عليه علماء الفرق لأن باطنية الاسماعيلية تعم كل شىء فى

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٢/١ .
(٢) الافحام لأفئدة الباطنية الطغام للعلوى ص ٢٢ .
(٣) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٢١ .
(٤) مخطوطة الفرق الاسلامية لمؤلف مجهول ورقة ٦٨ .
(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠١ .

حياتهم من نصوص شرعية ومعتقدات وأعمال وبالطبع يدخل فى ذلك القول بباطنية ائمتهم وانهم مستورون عن عامة الناس .

(١) أهمية التأويل الباطنى عند الاسماعيلية :

اعتقد الاسماعيلية أن كل شىء ظاهر محسوس فى هذا الكون له معنى آخر خفي يعرف بالمعنى الباطن فألفاظ القرآن مثلا لها معنى باطنغير المعنى الحرفى الظاهر حتى انهم فى ذلك نسبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين موضوعين فروى قاضى الاسماعيلية بن حيون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "مانزلت على آية من القرآن الا ولها ظهر وبطن"(١).

وروى أبو حاتم الرازى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : مانزلت على آية الا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع(٢) .

ومن منطلق التأويل الباطنى قالوا : انه لابد لكل محسوس من ظاهر وباطن فظاهره ماتقع الحواس عليه وباطنه مايحويه ويحيط العلم به بأن فيه وظاهره مشتمل عليه(٣) .

ولأهمية التأويل الباطنى وتأصيله عندهم قالوا : ان الذى يقف على ظاهر القرآن ولايقف على تأويله الباطنى مثله مثل الحمار الذى يحمل أسفارا فقوله تعالى : {مثل الذين حملوا التوراة} يعنى ظاهرها {ثم لم يحملوها} يعنى باطنها {كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين}(٤) .

---

(١) أساس التأويل للقاضى ابن حيون ص ٢٩-٣٠ .
(٢) أعلام النبوة لأبى حاتم الرازى الاسماعيلى .
(٣) أساس التأويل لابن حيون ص ٢٨ .
(٤) سورة الجمعة : ٥

وفرقوا بين الظاهر والباطن بقولهم : ان الظاهر هو الشريعة والباطن هو الحقيقة وصاحب الشريعة هو الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحب الحقيقة هو الوصى على بن ابى طالب (١) ثم قسموا الظاهر والباطن بين الرسول صلى الله عليه وسلم والوصى فقالوا : كانت الدعوة الظاهرة قسط الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة الباطنة قسط وصيه الذى فاض منه عليه جزيل الانعام (٢) ورووا حديثا مكذوبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : انا صاحب التنزيل . وعلى صاحب التأويل (٣) .

فعلى عند الاسماعيلية مثل الرسول صلى الله عليه وسلم وتبليغ الدين مقسوم بينهما للرسول صلى الله عليه وسلم نصف ولعلى مثل ذلك يقول داع اسماعيلى : ان على بن أبى طالب هو مثل الليل لكونه صاحب التأويل . ومنزلة الرسول منزلة النهار لأنه صاحب التنزيل الظاهر . ولما كان الدين ظاهرا وباطنا قام النبى صلى الله عليه وسلم بتبليغ الظاهر وصرف الى وصيه نصف الدين وهو الباطن (٤) .

كذلك قسموا المعرفة الى ظاهر وباطن واعتبروا الاسلام ظاهرا والايمان باطنا وان المعرفة لاتقوم الا بهاتين الفكرتين . وضربوا أمثلة للظاهر والباطن بالانسان فان جسمه يشتمل على ظاهر وهو الجسد أو الجثة وباطن وهى النفس والروح ولذلك فان عالم المحسوسات ينقسم الى قسمين . عالم

---

(١) الافتخار للسجستانى ص ٧١ .
(٢) الذخيرة للداعى على بن الوليد ص ١١٣ .
(٣) السيرة المؤيدية لمحمد كامل حسين ص ١٧ .
(٤) مسائل مجموعة من الحقائق العالية بعنوان اربعة كتب اسماعيلية ص ٢٩-٣٠ .

الظاهر وعالم الباطن ويستتبع ذلك وجود نوعين من العلم هما علم الظاهر وعلم الباطن ومن خلال هذا النص لجعفر بن منصور اليمن يظهر لنا تركيبهم الفاسد حيث ركبوا الظاهر والباطن على المخلوق واشتماله على أمرين الجسد والروح . يقول جعفر : ان حجة محمد وهو على صاحب التأويل صلوات الله عليه ينفخ الروح فى الأجسام ومعناه فى الباطن انه يلقى العلم الباطن على العلم الظاهر فيثبت بذلك الدين القيم ويكمل باذن الله ويحيى بذلك العلم الأموات بالجهل . والروح مثل العلم والعمل مثل الجسم وكل جسم لاروح فيه فهو ميت وكل عمل لاعلم معه هو جسد لاروح فيه فالجاهل ميت حتى يجيبه صاحب الحق بعلم الحق (١).

وفى رسائل اخوان الصفا ـ والتى تعتبر قاموسا للباطنية ـ قولهم ان العلم والروح هو الباطن والعمل هو جسد بلاروح واعتقاد بلا علم (٢).

وعلى ذلك قال الكرمانى : ان أهل الظاهر العابدون بالعمل فقط وان أهل الباطن هم العالمون بالعلم (٣). وكذلك قال المؤيد الشيرازى : من اعتقد ان للباطن قواما دون الظاهر وللعلم قبولا من دون العمل كان كمن أوجب للروح قواما من دون الجسد (٤).

ولتثبيت هذا الأصل عند الاسماعيلية رموا غيرهم المخالفين لهم بالجهل لتمسكهم بالظاهر وعدم المامهم بعلم

---

(١) كتاب الكشف والقرانات لجعفر بن منصور اليمن ص ٦٨ .
(٢) رسائل اخوان الصفا ٧٨/١ .
(٣) انظر راحة العقل للكرمانى ص ٢٧٥ .
(٤) المجالس المؤيدية للشيرازى ١٩٢/١ .

الباطن وذهبوا الى أن توحيد أهل الظاهر هو الى الشرك أقرب [(١)] .

بل انهم كفروا من يعتقد بالظاهر دون الباطن ولطالما رددوا فى كتبهم عبارتهم المشهورة "من عمل بالظاهر دون الباطن فليس منا ومنعمل بالباطن والظاهر فهو منا ومافاز عند الله الا من عمل بالحالتين جميعا ظاهرا وباطنا" .

وفى عبارة أخرى "من عمل بالباطن والظاهر فهو منا . ومن عمل بالظاهر دون الباطن فالكلب خير منه وليس منا" [(٢)] .

وللوصول الى الباطن استخدموا نظرية فلسفية قديمة هى نظرية "المثل والممثول" والمقصود منها . تفسير الأمور العقلية غير المحسوسة . وهذه النظرية تلقفوها من الفلاسفة القدماء وقد ذكرها أفلاطون مرارا فى كتبه وهذامما يؤكد ماذكرناه من قبل [(٣)] من تاثر الاسماعيلية بالفلاسفة الاغريق واخذ كثير من معتقداتهم واعتبارها معتقدات اسماعيلية وبهذه النظرية استطاع الاسماعيليون أن يلعبوا بالنصوص الشرعية تاويلا لها بما يتفق ومعتقداتهم وأغراضهم .

ومما قال المؤيد فى مجالسه : ان الله تعالى أجرى نظام الحكمة على أن يكون جميع ماخلق من خلقه محسوسا ومعقولا ومثلا وممثولا . وأهل بيت رسول الله هم الذين يستنطقون السن عالم الطبيعة بأسرار الشريعة ويخرجون امثلة هذه من هذه وأمثلة هذه من هذه فيدلون به على كون صدور الدين من حيث صدر عنه خلق السموات والأرض مثلا بمثل كما قال

---

(١) تاويل دعائم الاسلام لابن حيون ٣/١ .
(٢) كتاب الفترات والقرانات لجعفر بن منصور اليمن ص ٦٦-٦٧ .
(٣) انظر ص من الرسالة فى أول القسم الثانى .

تعالى : {وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون} (١) .

(٢) نماذج من تأويل الاسماعيلية للآيات القرآنية :

أكثر الاسماعيلية من تأويل الآيات القرآنية تأويلا باطنيا حتى ان لهم كتبا خاصة مستقلة لتأويل الآيات القرآنية وذلك ككتاب الكشف للداعية الاسماعيلي جعفر بن منصور اليمن ومما أول به التسمية أنه قال : ان (بسم الله) سبعة أحرف يتفرع منها اثنا عشر ويتلوها اثنا عشر حروف (الرحمن الرحيم) والسورة سورة الحمد وهي سبع آيات فالسبع التي هي (بسم الله) تدل على النطقاء السبعة ويتفرع منها اثنا عشر تدل على أن لكل ناطق اثني عشر نقيبا ثم الاثنا عشر التي هي (الرحمن الرحيم) يتفرع منها تسعة عشر . فدل ذلك على أن النطقاء يتفرع منهم بعد كل ناطق سبعة أئمة واثنا عشر حجة فذلك تسعة عشر . والسبع آيات التي هي سورة الحمد أمثال لمراتب الدين السبع فسورة الحمد يستفتح بها كتاب الله كذلك مراتب الدين يستفتح بها أبواب علم دين الله (٢) .

وعن الحروف في أوائل السور قالوا في تأويل قوله تعالى : {الم} في سورة البقرة ان الألف فيها تدل على الناطق واللام على الوصي والميم على الامام المتم وبهذا

---

(١) الآية القرآنية من سورة الذاريات : ٢٠-٢١ ، ونص المؤيد الشيرازي من كتاب ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ١٠٧ .
(٢) كتاب الرشد والهداية لابن حوشب ص ١٩٠ .

الأسلوب أولوا جميع الحروف المقطعة فى أوائل السور . (١)

وفى تأويل آية الكرسى قال أحد دعاة الاسماعيلية : ان حروف المعجم لما كانت محدثة لم تدل الا على محدث مثلها وانما يضطرنا العجز الى أن نكنى (كذا) عنه بما يستحقه اسماؤه العليا لعدمنا مانصفه به . فكان المكنى عنه - حقيقة - بالحى القيوم وسائر النعوت المذكورة فى الآية هو أول مبدع أبدعه الله تعالى وهو اسمه الأعظم وقوله {لاتأخذه سنة ولانوم} هو تنزيه له تعالى عما يعترى أبناء الطبيعة من السنة التى هى الغفلة والنوم وقوله تعالى : {له مافى السموات ومافى الأرض} هو اخبار أن من لاتجاسره الخواطر ملكه لما خصه به وانعم عليه من المدة الأزلية التى كانت جزاء عن تنزيهه لمبدعه عن جميع مافى العوالم الروحانى والطبيعى والدينى وما احتوت عليه سمواتهم وأرضهم . والسموات الطبيعية هى الأفلاك ، والأرض هى المركز فى عالم الكون والفساد . والسموات فى عالم الروحانى والدينى هم المفيدون والأرض هم المستفيدون . فكل واحد منهم سماء لتاليه وأرض لعاليه . والمبدع الأول تعالى مبدعه مالك للجميع ممد للكل وبأمره السارى اليهم قاموا وبمادته الأزلية المتصلة بهم داموا واستقاموا .

وقوله تعالى : {من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه} معناه انه لايقدر على الشفاعة ويقبل منه الا من قام فى مرتبة من مراتب العالمين الروحانى والدينى باذنه وأفاد

---

(١) انظر نماذج كثيرة نقلها الشيخ احسان الهى عن كتبهم فى كتابه الاسماعيلية تاريخ وعقائد ص ٥٣٩ .

وهدى بأمره بوساطة من سبق عليه الحدود .

وقوله تعالى : {يعلم مابين أيديهم وماخلفهم} فالذى بين ايديهم هى الآخرة والذى خلفهم هى الدنيا وعلمه محيط بالكل .

وقوله تعالى : {ولايحيطون بشىء من علمه الا بما شاء} اخبار منه سبحانه ان احدا من هذه العوالم لايحيط بعلم الا بما افاضه عليه وشاء أن يهديه اليه .

وقوله تعالى : {وسع كرسيه السموات والأرض} فكرسيه فى العالم الروحانى هو تاليه الذى أقامه لهداية أهل عالم الابداع وسعهم رحمة وافادة . وكرسيه فى العالم الدينى هو كل مقام فى عمره من نبى ووصى وامام وهو الذى وسع من فى ضمنه من سموات الدين وأرضه هداية ورحمة وكرسيه فى العالم الحسى الطبيعى النفس الفلكية والحياة المحركة لها العناية الالهية التى وسعت كل مافى عالم الطبيعة تجربة ونقلا لكل شىء من جزئياتها الى مايليق به من كون أو فساد .

وقولهتعالى : {ولايؤده حفظهما وهو العلى العظيم} معناه لايثقله ولايشغله ماصرف اليه مبدعه تعالى عمن حفظ العوالم بأمر لكونه عاليا فى شريف منزلته عظيما فى تدبيره للخلائق بأمر موجده وقدرته فاعلم (١) .

وفى تأويل قوله تعالى : {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون} (٢) .

---

(١) أربعة كتب اسماعيلية جمع شتروطمان ضمن مسائل مجموعة من الحقائق العالية والأسرار السامية ص ٣٥-٣٦ .
(٢) سورة البقرة : ١٨٩

نجد أن المؤيد الشيرازى أحد دعاة الباطنية يتهكم بتفسير أهل السنة لهذه الآية ويؤولها تاويلا باطنيا حسب منهجهم فى تاويل النصوص يقول : فيالها من غشاوة تمتد على بصر من لايتدبر فحوى هذهالآية حق التدبر ولايتفكر فى معناها واجب التفكر من الذى جهل فيما مضى من الأزمنة وغابرها وغائب الأوقات وحاضرها أن الأبواب على البيوت من أجل الدخول فيها منصوبة واليه على علاته منسوبة فما وجه تاديب الله سبحانه لخلقه بشىء يتساوى فى علمه العالم والجاهل والغنى والفقير من البصيرة . ولولا انه سبحانه عنى بالبيت غير المبنى من الطين والحجارة وكنى عن سواه بهذه الكناية والاشارة ولم لايكون هذا البيت بيت الله الحى الناطق الذى اغاث به سبحانه الخلائق وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عصره باديا . وكل امام فى زمانه ثانيا بيوت الله المعمورة بالحكم ومعالم الدين التى هى منجاة الأمم .

ولم لايكون باب البيت أمير المؤمنين الذى هو باب النجاة وسبب دائم للحياة فعند ذلك يخلص من الآية المذكورة الزبدة وتسقط عنها فى النقص اذا حملت على جهة ظاهرها العهده ويكون كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها دليلا وبما تكفلت به كفيلا : انا مدينة العلم وعلى بابها فمن اراد العلم فليأت الباب .(١)

ولكون هذه التاويلات الباطنية للآيات القرآنية غير مبنية على حدود وضوابط أو قيود نجد انهم كثيرا مايتهجمون

---

(١) كتاب المجالس المؤيدية للشيرازى ص ٢٠٣ . أما الحديث الذى فى آخر النص فهو حديث مكذوب موضوع .

على علماء المسلمين ـ ولاسيما المفسرين منهم ـ فيصفونهم بالعامة حينا وبالجهال حينا آخر فهذا قاضى الاسماعيلية النعمان بن حيون يقول عند تأويله لاحدى الآيات القرآنية : ان العامة الجاهلين المسمون بالعلماء قد عمهم الجهل حيث فسروا قوله تعالى : {ومامن دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم}(١) وقوله تعالى : {واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون}(٢) بأنالمراد بالدواب ذوى الحوافر والأظلاف ...الخ ويتهكم بهذا التفسير ثم يقول والله منزه عما يقولون ومبرأ من افكهم وضلالهم (أى مفسرى المسلمين) ثم يفسر الآية حسب منهجهم فى التأويل الباطنى باللعب بألفاظ القرآن يقول : انالمراد بالدواب هم الدعاة . والأرض فى الآية الثانية مثل الحجة والدابة الجناح والطائر يدل على الداعى لأن هناك جناحا أيمن وجناحا أيسر . وهو ماتدل عليه الآية الأولى {ولاطائر يطير بجناحيه} ومما يؤيد ذلك ـ حسب زعمه ـ قوله تعالى حكاية عن عيسى {واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى}(٣) يعنى أقيم لكم داعيا من الامام(٤) .

وفى تأويل قوله تعالى : {انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وماأنا من المشركين}(٥) يقول داع باطنى

---

(١) سورة الأنعام : ٣٨
(٢) سورة النمل : ٨٢
(٣) سورة المائدة : ١١٠
(٤) مخطوطة الرسالة المذهبة للقاضى الاسماعيلى النعمان بن حيون ورقة ٩٢-٩٣ .
(٥) سورة الأنعام : ٧٥

معاصر أن معناها : انى وجهت وجهى للذى فطر الأنبياء العظام وأرسلهم بالظواهر فى الأنام وأرسل حججهم بتأويل ماأتو به وبحقائقه وأسراره ودقائقه وماأنا من القائلين انه يحل فى الأجسام بل هو يتجلى فى كل زمان ومكان بكل مقام وذلك هو العقل العاشر والمدبر الظاهر .[١]

وفى تأويل قصة ابنى آدم الواردة فى قوله تعالى : {واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا} ... الى قوله تعالى : {قال ياويلتى اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين}[٢] ذكر الداعى الباطنى الكرمانى تأويلات باطنية فجة لجميع الألفاظ والأعلام الواردة فى هذه الآيات الخمس فابنى آدم هما الضد الذى اعتقد ان العبادة ليست الا بالظاهر من الأعمال . والولى الذى اعتقد ان العبادة بالظاهر والباطن وان الخلاص بهما جميعا والقربان هو اعتقاد كل منهما فتقبل من أحدهما وهو الولى ولم يتقبل من الآخر وهو الضد والمتقين هم الذين يجمعون بين العلم والعمل أى الظاهر والباطن والقتل هو دفع من يستحق مرتبة من مراتب الدعوة عنها الى أقل منها ، والغراب عبارة عن رجل من أصحاب الناطق ليوضح للضد أمره ومنزلته وبعد ذلك لايستنكف هذا الباطن أن يطبق ذلك فى حق أبى بكر رضى الله عنه وابنه محمد حيث يعتبره من المختصين بالولى (أى محمد) وهو الغراب .

وهذا من جهة الدين أما من جهة النسب فيعبر عنه

---

(١) مخطوطة حياة الأحرار لعلى المكرمى ورقة ٢٤ .
(٢) سورة المائدة : ٢٧-٣١

بالضد ...الخ هذه التأويلات الغثة الركيكة مبنى ومعنى .[1]

(٣) تأويل الاسماعيلية للتكاليف الشرعية :

نظرا لأصالة التأويل الباطنى عند الاسماعيلية فانه يسرى فى جميع أمورهم الاعتقادية والعملية وسبق أن ذكرنا نماذج من تأويلاتهم الاعتقادية أما العبادات العملية عند المسلمين كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد فقد أولوها كذلك تأويلا باطنيا وحسيا فى ذلك موسوعتهم الباطنية "تأويل دعائم الاسلام" لقاضى الاسماعيلية بن حيون حيث أول جميع شرائع الاسلام من منطلق الظاهر والباطن فهو يقول عن الصلاة : ان مثلها مثل الدعوة والمؤذن الذى ينادى للصلاة هو الداعى الذى يدعو الى باطن الدعوة فظاهر الصلاة اتمام ركوعها وسجودها وفروضها ومسنونها وباطنها اقامة دعوة الحق فى كل عصر . ويقول ان مثل الصلوات الخمس فى عددها مثل الدعوات الخمس لأولى العزم من الرسل الذين صبروا على ما أمروا به ودعوا اليه فكل صلاة منها مثل لدعوة كل واحد من أولى العزم الخمسة فصلاة الظهر مثل لدعوة نوح والعصر مثل لدعوة ابراهيم والمغرب مثل لدعوة موسى والعشاء الآخرة مثل لدعوة عيسى والفجر وهى الصلاة الخامسة مثل للدعوة الخامسة وهى دعوة خامس أولى العزم من الرسل محمدا صلى الله عليه وسلم.[2]

---

(١) نص هذا الباطنى حول تأويله لهذه الآيات يصل الى خمس صفحات لكنى ذكرت النقاط التى تبين منهجهم فى التأويل من دون نقل للنص بتمامه مخافة تسويد البياض به . وانظر النص كاملا فى كتاب الرياض لأحمد حميد الدين الكرمانى ص ١٨٢-١٨٥ .

(٢) تأويل الدعائم لابن حيون الاسماعيلى ١/١٧٧-١٧٩ .

وعن تأويل الزكاة يقول : ان المراد منها فى الظاهر اخراج مايجب على الأغنياء فى أموالهم ودفع ذلك الى الأئمة الذين تعبد الله عز وجل الناس بدفع ذلك اليهم وأما فى الباطن فمثلها مثل الأسس والحجج الذين يطهرون الناس ويصلحون أحوالهم وينقلونهم فى درجات الفضل بما يوجبه أعمالهم فيكون على هذا قوله : لاصلاة الا بزكاة يعنى انه لاتقوم الدعوة الا بمعرفة الأسس الذين هم أوصياء النبيين والحجج الذين هم أوصياء الأئمة . وحينما تحدث عن وضع الزكاة فى غير موضعها قال وتأويل ذلك فى الباطن . ان طهارة أهل كل عصر وزمان انما يكون عند امام زمانهم أو عند من اقامهم ونصبهم لطهارتهم فما كان من أعمالهم التى توجب الطهارة لهم لم يجزهم دفعها الا الى من يلى طهارتهم وتزكيتهم (١) .

وعن تأويل الصوم قال ان له معنيين : المعنى الظاهر هو المتعارف عند عامة الناس الامساك عن الطعام والشراب والجماع ومايجرى مجرى ذلك ، وأما المعنى الباطن للصوم فهو كتمان علم باطن الشريعة عن أهل الظاهر والامساك عن المفاتحة به ممن لم يؤذن له فى ذلك . ومما قال : ان مثل أيام شهر رمضان التى أمر الله عز وجل بصومها مايقابلها من عشرة أئمة وعشرة حجج وعشرة أبواب وذلك فى التأويل كتمان أمرهم ومايلقونه من التأويل الى من عاملوه الى ان يأذنوا فى ذلك لمن يرونه .

---

(١) المرجع السابق ٣/٥٨-٥٩ .

وقال ان الأيام امثالها فى الباطن امثال النطقاء والليالى امثالها امثال الحجج فكما انه لابد لكل يوم من ليلة فكذلك لابد لكل ناطق من حجة فمثل ليلة القدر مثل حجة خاتم الائمة وحجته يقوم قبله لينذر الناس بقيامه ويبشرهم به ويحضهم على الأعمال الصالحة قبل ظهوره واغتنام لك لأنه اذا قام انقطع العمل ولم يقبل ولم ينفع (١).

وعن الركن الخامس من أركان الاسلام وهو الحج قال قاضى الاسماعيلية : ان للحج ظاهرا وباطنا فظاهره الاتيان الى البيت العتيق بمكة لقضاء المناسك عنده وباطنه الذى جعل الظاهر دليلا عليه . اتيان امام الزمان من نبى وامام لأن امام الزمان مثله فى الباطن مثل البيت الحرام . وقال عن الاستطاعة الواردة فى قوله تعالى : {ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا} (٢) بأن لها معنيين الظاهر وجود الزاد والراحلة وأمن السبيل . وأما المعنى الباطن المراد من الزاد فهو العلم والحكمة اللذين بهما حياة الأرواح الحياة الدائمة . والراحلة مثلها فى الباطن أولياء الله وأسبابهم الذين يحملون أثقال العباد دينا ودنيا .فاذا وجد من وقف لطلب معرفة امام زمانه من أسباب أولياء الله والدعاة اليهم من يدله عليه ويعرفه به ويفاتحه من العلم والحكمة بما يشهد لصحة قوله ويبين له مادعاه اليه فذلك فى الباطن وجود الزاد والراحلة . وأما أمن السبيل فمثله فى باطن التأويل أن يكون دليله على ذلك وحامله عليه وهاديه

---

(١) تاويل الدعائم لابن حيونن الاسماعيلى ١٠٧/٣ فما بعد .
(٢) سورة آل عمران : ٩٧

اليه ومفيده من العلم والحكمة مايثبت ذلك عنده مأمونا غير متهم بالكذب وسوء المذهب ولامعروفا بذلك .(١)

وعن تأويل الجهاد الذى يعتبرونه الدعامة السابعة من دعائم الاسلام أولوه تأويلا باطنيا لصالح مذهبهم والدعاية له(٢) ونشره بين الناس . فمما قال قاضى الاسماعيلية عن المعنى الباطن للجهاد : انه الاستجابة لدعوتهم ومجاهدة النفس على الايمان بها وردع من يمتنع من القيام بنشرها . وقال عن تأويل النفقة فى الجهاد ان معناها مايتلقاه المستفيدون من المفيدين من علم أولياء الله حيث انهم يفيدون نقباءهم من علم ظاهر الشريعة وعلم باطنها حسبما ينبغى لهم ويفيد النقباء من ذلك من يستفيد منهم بقدر قسطه وكذلك يفيد أهل كل طبقة من دونهم من المستفيدين فهم بقدر احتمالهم وماتوجبه حدودهم .(٣)

ان كل هذه التأويلات سواء للنصوص الشرعية أو للتكاليف العملية ليست مما نسبه أهل الفرق والمقالات الى الباطنيين ولكنه مما فى كتبهم الباطنية فحسب وهى أمثلة لما تفيض به كتبهم الباطنية الكثيرة والتى تبين لنا حقيقة الفرقة الباطنية عموما والتأويل الباطنى لديها خصوصا .

---

(١) تأويل الدعائم لابن حيون الاسماعيلى ١٤٣/٣-١٤٤ .

(٢) عند الاسماعيلية ان دعائم الاسلام سبع وهى الولاية ـ أى ولاية أئمتهم ـ والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وعليها بنى قاضى الاسماعيلية الباطنى كتابيه المشهورين فى مراجع الاسماعيلية وفقههم وهما دعائم الاسلام مجلدين وتأويل الدعائم ثلاثة مجلدات .

(٣) تأويل الدعائم للقاضى الاسماعيلى بن حيون ٢٧٠/٣-٢٧٢ .

(٤) تصوير علماء الفرق التأويل الباطني عند الاسماعيلية :

وأما أهل المقالات من علماء المسلمين فقد نقلوا نماذج كثيرة من مثل هذه التأويلات ـ التى قررها الباطنيون لأنفسهم مستخلمين بعد ذلك هدفا خطيرا يسعى اليه أهل هذا التأويل . فمما قال البغدادى : انهم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا فزعموا أن معنى الصلاة موالاة امامهم والحج زيارته وادمان خدمته والمراد بالصوم الامساك عن افشاء السر للامام دون الامساك عن الطعام . وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا فى ذلك قوله تعالى : {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} (١) واليقين معرفة التأويل ونقل البغدادى رسالة متبادلة بين باطنيين ومما جاء فيها : وهل الجنة الا هذه الدنيا ونعيمها . وهل النار وعذابها الا مافيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب فى الصلاة والصيام والجهاد والحج . (٢)

وقال الحمادى اليمانى ـ وهو ممن دخل مذهبهم واطلع على أسرارهم (٣) ـ انهم فى أول الدعوة يلبسون على المدعو فيحضونه على شرائع الاسلام لكنهم يخدعونه بروايات محرفة وأقوال مزخرفة ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ويحرفون الكلم عن مواضعه فاذا رأوا منه قبولا وانقيادا قالوا له لاتقنع لنفسك بما قنع به العوام من الظواهر وتدبر القرآن

---

(١) سورة الحجر : ٩٩

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٨٠،٢٨١ .

(٣) ذكر المؤلف ذلك عن نفسه فى أول كتابه ص ١١ من كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وفى آخر الكتاب كذلك ص ٤٤ .

ورموزه واعرف مثله وممثوله واعرف معانى الصلاة والطهارة والزكاة والصوم والحج فان لهذه ممثولات محجوبة وهو باطنها فالصلاة صلاتان والزكاة زكاتان وكذلك الحج والصوم . وماخلق الله سبحانه من ظاهر الأدلة باطن . فالظاهر ماتساوى به الناس وعرفه الخاص والعام وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به فلايعرفه الا القليل فلايزال الداعى ينقل مدعوه من درجة الى أخرى حتى يحط عنه جميع التكاليف الشرعية ويقع ذلك من المستجيب موقع الاتفاق والموافقة لأنه مذهب الراحة والاباحة يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ويبيح لهم ماحظر عليهم من محارم الله (١) .

ويقول الغزالى : ان من ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه وهم المرادون بقوله تعالى {ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم} (٢) .

وفى موضع آخر قال : ان معتقد الباطنية فى التكاليف الشرعية الاباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات واستحلالها وانكار الشرائع . وبناء على هذا المعتقد صنفوا الخلق الى صنفين :

الصنف الأول : المستجيبون لدعوتهم وهؤلاء فى نظرهم أحاطوا من جهة الامام بحقائق الأمور واطلعوا على بواطن الظواهر حتى وصلوا الى رتبة الكمال فى العلوم وعندئذ تنحط عنهم التكاليف العملية وتنحل عنهم قيودها لأن المقصود من أعمال الجوارح تنبيه القلب لينهض لطلب العلم فاذا ناله

---

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١١-١٢ .
(٢) سورة الأعراف : ١٥٧

استعد للسعادة القصوى وسقط عنه تكليف الجوارح .

المنف الثانى : الجهال والأغبياء - اى المسلمون فى زعمهم - الذين يجهلون بواطن الأمور وتأويلاتها فهؤلاء لايمكن رياضة نفوسهم الا بالأعمال الشاقة ولذا يكلفون بتأدية العبادات وأعمال الجوارح عقوبة ونكالا لهم ، ويضيف الغزالى الى ان هذا فن من الاغواء شديد على الأذكياء والغرض منه هدم قوانين الشرع (١) .

ويقول ابن تيمية رحمه الله فى معرض رده على مبتدعة أهل الكلام : انهم لما فتحوا باب القياس الفاسد فى العقليات والتأويل الفاسد فى السمعيات صار ذلك دهليزا للزنادقة الملحدين ... حتى انتهى الأمر بالقرامطة الباطنيين الى ابطال الشرائع المعلومة كلها مقلح وسائهم بالشام : قد أسقطنا عنكم العبادات فلاصوم ولاصلاة ولاحج ولازكاة (٢) .

وقال المرتضى : ان الباطنية يقولون ان فائدة الظاهر من الأعمال أن يتوصل بها الى فهم الباطن فمتى فهمه العبد سقطت عنه الأعمال اذ قد حصل المقصود بها (٣) .

ونقل الديلمى والمرتضى ماكتبه أبو القاسم القيروانى فى كتابه البلاغ الى وصيف المحمدى انه حلله من عقاله وأطلقه من وثاقه فلاصوم عليه ولاصلاة ولاحج ولاجهاد ولايحرم عليه شيء من طعام وشراب ونكاح (٤) .

---

(١) فضائح الباطنية للغزالى ص ٤٦،١٢-٤٧ .
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥٥٢/٥ .
(٣) مخطوطة المنية والأمل للمهدى لدين الله المرتضى ورقة ٣٨ .
(٤) المرجع السابق ورقة ٢٣٨ وبيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٨١ .

ويقول الشاطبى ان هدف الباطنيين من تأويلهم : انهم ارادوا باعتقادهم هذا ابطال الشريعة جملة وتفصيلا والقاء ذلك فيما بين الناس لينحل الدين فى أيديهم فلم يمكنهم القاء ذلك صراحا فيرد ذلك فى وجوههم وتمتد اليهم أيدى الحكام فصرفوا أعناقهم الى التحيل ومن جملتها صرف الهمم من الظواهر احالة على ان لها بواطن هى المقصودة [(١)] .

وهكذا ومن خلال مانقلناه سابقا عن الاسماعيلية من تأويلات باطنية ومانقلناه آنفا عن علماء الفرق وتصويرهم لهذه التأويلات يتضح لنا الاجماع على أن هدف الاسماعيليين الخطير التحلل من الشرائع واسقاط العمل بالظاهر الذى هو فى حقيقة الأمر جميع شرائع الاسلام وأركانه العملية . وليست هذه تهمة أو مجرد رد بدون تثبت وأدلة من جانب علماء المسلمين بل ان المتتبع لمثل هذه النتائج يجدها بكل دقة وأمانة فى كتب الباطنيين أنفسهم وهذا عدد من نصوصهم على هذه النتيجة أو ذلك الهدف الأساسى من التأويل مقارنة بما أسلفنا من نقول لعلماء المسلمين . فمن أدعية المعز العبيدى [(٢)] دعاء أسموه "دعاء يوم السبت" ومما جاء فيه قوله : وعلى القائم بالحق الناطق بالصدق التاسع من جده الثامن من أبيه الكوثر السابع من آبائه الأئمة سابع الرسل من آدم وسابع الأوصياء من شيث وسابع الأئمة من البررة ... الى قوله الذى شرفته وعظمته وكرمته وختمت به عالم الطبيعة وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كل ذلك بالقوة

---

(١) الاعتصام للشاطبى ٢٥٢/١ .
(٢) سبق أن ذكرنا ترجمة مفصلة للمعز فى القسم الأول من الرسالة ص ٣٤١ فما بعد .

لابالفعل .[1]

وفى بعض مصادر الاسماعيليين افصاح عن سقوط العمل بالظاهر لبعض الدعاة فى مرحلة من مراحل سلم الدعوة يقول أحد دعاتهم : من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر . وانما وضعت الأصفاد والأغلال على المقصرين .أما من بلغ وعرف هذه الدرجات التى قرأتها عليك فقد أعتقته من الرق ورفعت عنه الأغلال والأصفاد واقامة الظاهر .[2]

ويقول داعيهم الباطنى سنان راشد الدين : ان الانسان متى عرف الصورة الدينية فقد عرف حكم الكتاب ورفع عنه الحساب وسقط عنه التكليف وسائر الأسباب .[3]

وفى كتاب الحقائق الخفية : أن حجج الليل هم أهل الباطن المحض المرفوع عنهم فى أدوار الستر التكاليف الظاهرة لعلو درجاتهم .[4]

وعند المطارمة ـ وهم فرع من فروع الاسماعيلية ـ أن لكل امام اثنى عشر حججا فى حضرته السامية وهم أهل الحقائق السانية لايدخلون تحت التكاليف لأنهم قاموا بذلك قبل التماريف .[5]

هذه هى نصوص القوم ـ وكما نلاحظها ـ ناطقة بنفسها على الاقرار والاعتراف على غرضهم من التأويل الباطنى ـ وهو اسقاط الجانب العملى من دين الاسلام بتأويلات ساقطة وهذا هو أهم هدف يرنون اليه ولهم مع ذلك أغراض أخرى أجملها فى

---

(١) الحقائق الخفية للداعى طاهر الحارثى ص ١٢٩-١٣٠ .
(٢) الهفت الشريف ص ٦٥ .
(٣) كتاب شيخ الجبل الثالث لمصطفى غالب ص ١٤١ .
(٤) الحقائق الخفية للأعظمى ص ١٠٢ .
(٥) حياة الأحرار لمحمد على المكرمى مخطوطة ورقة ٦١ .

ثلاثة أمور :

الأمر الأول : التشكيك في المصادر الأصلية للمسلمين وهما كتاب الله عز وجل وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن وصايا أحد أئمتهم الى داع من دعاته قوله : وأوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والانجيل وبدعوتهم الى ابطال الشرائع وابطال المعاد[1] .

الأمر الثاني : ان الامامة أصل من أصولهم - كما سبق أن ذكرنا - فمن دعواها ومن طريقها يشرع أئمتهم حسبما يهوون ويريدون لأنهم هم أصحاب التأويل الذين يعرفون بواطن النصوص والأدلة ولذا فهم يؤولون حسب أغراضهم ومعتقداتهم .

الأمر الثالث : الدخول الى الناس من عدة وجوه للدعوة الى مذهبهم فمن كان مائلا الى التحلل من العبادات والتكاليف أولوا له النصوص على الوجه الذى يستطيعون به جذبه اليهم . ومن كان مائلا الى الشهوات فتحوا له باب الانغماس فيها . ومن كان مائلا الى الزهد حملوه على العبادات . وهكذا يعتبر التأويل الباطن أصلا من أصول الباطنية على تعدد فرقها وتشعب سبلها لأنه يؤدى الى هذه الأهداف والغايات التى يسعى اليها كل باطنى هدما وتخريبا . وفى استدلاله بالآيات القرآنية وماصح من الأحاديث القليلة جدا يحققون أمورا أربعة - كما ذكر كاتب معاصر - هى :

(١) عدم رفض القرآن - فى الظاهر - ككتاب دينى مقدس .

(٢) التخلى - فى الباطن - عن أحكامه وملزماته وفروضها من خلال تأويلها .

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٧٧ .

(٣) وفي نفس الوقت دعم حركتهم وعقائدهم - الباطنية - وتعزيزها بآيات قرآنية وأحاديث كثيرة جدا الصحيح منها أقل القليل .

(٤) وفي نفيهم - أو تجاوزهم - المعاني الظاهرية للقرآن يبرز الفراغ الفكري الذي كانت تملأه تلك المعاني ومن هنا يفتح المجال لنزعاتهم وتطلعاتهم كي تتحرك وتؤثر بحرية بعيدة المدى .(١)

هذه هي أهم أهداف الاسماعيليين من أصلهم هذا الذي لايقل خطورة عن أصلهم الأول (الامامة) وكلا الأصلين يمثلان تجاوزا خطيرا لكل العقائد والمفاهيم الاسلامية بل انهما في حقيقة الأمر محاولة جادة يائسة لنسف الاسلام بعظمته وشموله وواقعيته واحلال المفاهيم الباطنية الالحادية - بقزامتها وضآلتها - محله . ورحم الله الامام الغزالي الذي عرف أهدافهم وفضحهم بكتابه "فضائح الباطنية" ومما قال عنهم : ان هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب الى ملة ولامعتقد لنحلة معتضد بنبوة فان مساقها ينقاد الى الانسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين .(٢)

(٥) ابطال أصل التأويل الباطني عند الاسماعيلية :

تصدى علماء المسلمين لأصل الاسماعيلية هذا بالرد والابطال على الرغم من رداءة آراءهم وخلوها من الحجة والدليل . يقول ابن حزم : ان القائلين بالظاهر والباطن

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الاسلامي ص ١٣٣ لمحمد أحمد الخطيب .
(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص ١٨ .

لاتعلق لهم بحجة أصلا وليس بأيديهم الا دعوى الالهام والقحة والمجاهرة بالكذب ... الخ ثم قال : اعلموا أن دين الله تعالى ظاهر لاباطن فيه وجهر لاسر تحته كله برهان لامسامحة فيه وكل من ادعى للديانة سرا وباطنا فهى دعاوى ومخارق . واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها ولااطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة أو عم أو ابن عم أو صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ولاكان عنده عليه السلام سر ولارمز ولاباطن غير مادعى الناس كلهم اليه ولو كتمهم شيئا لما بلغ كما أمر (١) .

أما ابن تيمية فقول : ان تأويلات الباطنية وتفسيراتها مما يعلم بطلانها فكل مؤمن بل كل يهودى ونصرانى يعلم علما ضروريا انها مخالفة لما جاءت به الرسل كموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين .

فكلام هؤلاء عن الباطن ومعانيه مخالف لأصول الدين حيث ان المعانى الباطنية التى تفوهوا بها باطلة وماكان فى نفسه باطلا فلايكون الدليل عليه الا باطلا لأن الباطل لايكون عليه دليل يقتضى انه حق (٢) .

ثم بعد ذلك بين ابن تيمية حكمه على من أول الكتاب والسنة سواء بالرموز الباطنية كما هو مذهب القرامطة والفلاسفة أو بالأذواق والمواجيد كما هو مذهب الصوفية .يقول عن هؤلاء ومن سلك سبيلهم : ان من فسر القرآن والحديث

(١) الفصل لابن حزم ٤/١١٤-١١٦ .
(٢) رسالة الظاهر والباطن لابن تيمية ص ٢٣٥ .

وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد فى آيات الله محرف للكلم عن مواضعه وهذا فتح لباب الزندقة والالحاد وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الاسلام[1] .

تتبع ابن تيمية دعوى الباطنية هذه وفندها وأبطلها بأسلوب علمى قائلا : ان مذهبهم فى الباطن يهدم بعضه بعضا وذلك من وجوه :

الأول : انهم حينما ابطنوا خلاف ما أظهروه للناس وسعوا فى ذلك بكل طريق وتواطؤ عليه التبس أمرهم على كثير من اتباعهم وحينما ظهرت حقيقة امرهم لبعض موافقيهم ومخالفيهم - حيث صنفت الكتب فى كشفهم - أصبح لاحرمة لهم ولاثقة بما يخبرون به ولاالتزام طاعة فيما يأمرون حيث عرف باطنهم بكشف اسرارهم ورفع أستارهم .

الثانى : ان مخالفة الباطن للظاهر ليس له حد محدود بل اذا علمه هذا وعلمه هذا فيشيع هذا ويظهر حتى يصبح ظاهرا يعرفه كل أحد وهذا يخالف مبدأهم من أن علم الباطن خاص بالائمة ومع انتشار ذلك ينتقض على مذهبهم جميع ماخاطبوا الناس به .

الثالث : انه مامن خطاب يخاطب به الباطنى اتباعه الا ويجوزون عليه أن يكون أراد غير ما أظهره لهم فلايثقون باخباره وأوامره فيختل عليه الأمر كله فيكون مقصوده ملاحهم فيعود ذلك بالفساد عليه بل كل من وافقه لابد ان يظهر خلاف

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٦ .

مـــا أبطن ولـــذا لانجـــد أحدا من موافقيهم الا ولابد أن يبين أن ظـــاهره خلاف باطنه ويحمل للباطنية بذلك من كشف الأسرار وهتك الأستار مايميرون به من شرار الكفار (١) .

أما الغزالي ـ في نقده لأصلهم التأويل الباطني ـ فسلك معهم ثلاثة مسالك وهي : الابطال ، والمعارضة ، والتحقيق .

أما الابطال فهو أن يقال لهم :

بم عرفتم أن المراد من هذه الألفاظ ماذكرتم ؟ فان أخذتموه من نظر العقل فهو عندكم باطل وان سمعتموه من لفظ الامـــام المعصوم فلفظه ليس باشد تصريحا من هذه الألفاظ التي أولتموهـــا فلعـــل مـــراده أمر آخر أشد بطونا من الباطن الذي ذكرتمـــوه حـــتى يتسلسل البـــاطن الـــى حـــد يبطـــل التفـــاهم والتفهيم .

أمـــا المعارضـــة فيعارض الفاسد بالفاسد وهو أن يتناول جـميع الأخبار على نقيض مذهبهم فيقال مثلا ان قوله صلى الله عليـــه وسلم "لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة" (٢) أي لايدخل العقل دماغا فيه التصديق بالمعصوم . وقوله صلى الله عليه وسلم : "اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعا" (٣) .

أي اذا نكـــح البـــاطني بنـــت أحـــدكم فليغسلهـــا عـــن درن المحبـــة بمـــاء العلـــم وصفـــاء العمـــل بعـــد أن يعفرها بتراب الاذلال .

---

(١) انظر رسالة الظاهر والباطن لابن تيمية ص ٢٤٠-٢٤١ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية .

(٢) متفـــق عليـــه مـــن حديث أبي طلحة رياض الصالحين للامام النووي ص ٥٩٤-٥٩٥ .

(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة صحيح مسلم بشرح النووي ١٨٢/٣ .

والمقصود من ذكر هذا معارضة الفاسد بالفاسد وتعريف الطريق فى فتح هذا الباب حتى اذا اهتديت اليه لم تعجز عن تنزيل كل لفظة من كتاب أوسنة على نقيض معتقدهم .

وهكذا نأخذ كل لفظ ذكروه ونأخذ مانريده من هذا اللفظ ونطلب منهم المشاركة بوجه ما . ونؤوله على هذا الوجه فيكون دليلا بموجب قولهم ومن هذا الباب نطلع على وجه حيلهم فى التلبيس لنزع موجبات الألفاظ للتوصل الى ابطال الشرع .

أما التحقيق فهو أن يقال لهم هذه البواطن والتأويلات التى ذكرتموها أيجب اخفاؤها أم افشاؤها ؟ فان قلتم يجب افشاؤها الى كل أحد قلنا :

فلم كتمها محمد صلى الله عليه وسلم فلم يذكر شيئا من ذلك للصحابة ولعامة الخلق وكيف استجاز كتمان دين الله وقد قال تعالى : {لتبيننه للناس ولاتكتمونه} (١) .

وان زعموا انهم يجب اخفاؤه فنقول :

ما أوجب على الرسول صلى الله عليه وسلم اخفاؤه كيف حل لكم افشاؤه ؟

مع العلم أن الجناية فى السر بالافشاء ممن اطلع عليه من أعظم الجنايات فلم أفشيتم هذا السر وخرقتم هذا الحجاب ؟

وهل هذا الا خروج عن الدين ومخالفة لصاحب الشرع وهدم لجميع ماأسسه ؟

وهذا لامخرج لهم عنه (٢) .

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٧

(٢) انظر كتاب فضائح الباطنية للغزالى ص ٥٨-٦٢ .

وعلى سبيل التهكم والاستخفاف بتأويلات الباطنية التى ليس لها أصل من شرع أو لغة ذكر العلوى بعضا من تفسيراتهم لبعض الآيات وذكر ماينا قض مذهبهم وسمى ذلك "معارضة الفاسد بالفاسد" .

ومن ذلك قوله : ان المراد من قوله تعالى {سيقول السفهاء من الناس}(1) أن السفهاء هم الباطنية لأنهم تركوا الظاهر وسألوا عن أمر الباطن . والمراد من قوله تعالى : {كمثل الشيطان اذا قال للانسان اكفر}(2) أن الشيطان هو الامام المعصوم ومعناه كمثل الناطق وهو الامام وسوسه وهو الصامت . والمراد من قوله تعالى : {حافظوا على الصلوات}(3) معناه واظبوا على التكذيب بالأصول الخمسة التى هى السابق والتالى والناطق والأساس والامام .

وأن المراد بقوله عليه الصلاة والسلام "أيما اهاب دبغ فقد طهر"(4) معناه اذا باطنى تاب عن ردته فقد طهر بالاسلام وهلم جرا الى سائر التأويلات المستهجنة والتهويسات المستقبحة اللائقة بعقولهم المستخفة بأحلامهم ، وهكذا نأخذ كل لفظ ذكروه ونأخذ نقيضه ونطلب المشاركة بينهما بوجه ماتأولته عليه فيكون دليلا عليه بموجب مذهبهم ومن هذا الباب نطلع على سبب تلبسهم بمعانى الألفاظ توصلا منهم الى ابطال الشرع وهدم مناره(5) .

---

(1) سورة البقرة : ١٤٤

(2) سورة الحشر : ١٦

(3) سورة البقرة : ٢٣٨

(4) حديث صحيح رواه مسلم وأهل السنن من حديث ابن عباس سبل السلام ٤٠/١ .

(5) انظر كتاب الافحام لأفئدة الباطنية الطغام للعلوى ص ٧٦-٧٨ .

قال ابن عقيل : هلك الاسلام بين طائفتين الباطنية والظاهرية .

فأما أهل البواطن فانهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التي لابرهان لهم عليها حتى لم يبق شيء من الشرع الا وضعوا وراءه معنى حتى أسقطوا ايجاب الواجب والنهي عن المنهي .

وأما أهل الظاهر فانهم أخذوا بكل ماظهر مما لابد من تأويله فحملوا الأسماء والصفات على ماعقلوه (١) والحق بين المنزلتين وهو أن نأخذ بالظاهر مالايصرفنا عنه دليل ونرفض كل باطن لايشهد به دليل من أدلة الشرع (٢) .

ان حقيقة مذهب الاسماعيلية عن الظاهر والباطن يعتبر قدحا في الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والقرون المفضلة كما انه قدح في كتاب الله عز وجل وبيان ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسله الله عز وجل مبينا كما قال تعالى : {وماأرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم} (٣) وكما قال تعالى : {فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما} (٤) .

وكما قال تعالى : {ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته} (٥) .

---

(١) ليس هذا الحكم من ابن عقيل عفا الله عنه على اطلاقه فان السلف رحمهم الله يأخذون النصوص الشرعية على ظاهرها من غير تأويل لاسيما نصوص الأسماء والصفات .
(٢) كتاب تلبيس ابليس لابن الجوزي ص ١٠٩ .
(٣) سورة ابراهيم : ٤
(٤) سورة مريم : ٩٧
(٥) سورة المائدة : ٦٧

ان هذه الآيات توضح وتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسله الله مبينا ومعلما فبين للناس البيان الناصع والبلاغ الواضح فما مات صلى الله عليه وسلم الا وقد ترك امته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها الا هالك .

ومع هذه الآيات الواضحة الدلالة يزعم الاسماعيليون أن جميع تعاليم الاسلام باطنية وانه لايجب افشاء واظهار هذه التعاليم الا لطبقة خاصة من الناس وهم الأئمة وحججهم .

أما القدح فى كتاب الله عز وجل فانهم يقولون ان جميع آيات القرآن لها باطن لايعرفه الا الأئمة والله عز وجل يقول عن كتابه : {انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون}(1) ، وقال تعالى : {لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين}(2) ، وقال تعالى : {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر}(3) .

ان هذه الآيات صريحة الدلالة على أن كتاب الله عز وجل ميسر لكافة الخلق حيث يقرأه العالم وطالب العلم والعامى فيفقه مراد الله عز وجل من الآيات ، ولذا نجد أن المسلمين يتأثرون به فى قرائتهم على اختلاف طبقاتهم ومفاهيمهم وهذا يرد على من يزعم ان للآيات القرآنية ظاهر وباطن .

أما القدح فى جيل الصحابة والأجيال من بعدهم من المسلمين فانهم "أى الباطنية" يقول عن هؤلاء انهم تمسكوا بالقشور "الظاهر" وتركوا اللباب "الباطن" فهم يصلون

---

(١) سورة الزخرف : ٣
(٢) سورة النحل : ١٠٣
(٣) سورة القمر ، والآية ذكرت فى أربعة مواضع من السورة .

ويزكون ويصومون ويحجون ويجاهدون كما أمرهم الله عز وجل وأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه ماتسمى عند الباطنية بالقشور وبالتالى فهى تكاليف ساقطة عند الاسماعيلية ومن نحا نحوهم من الفلاسفة وغلاة الصوفية لأن المقصود عندهم من الأوامر والنواهى هو الباطن الذى يعبرون عنه باللباب .

ومن نسب الأنبياء الى الكذب أو الكتمان أو تعرض لكتاب الله عز وجل بالتحريف والتاويل الباطل فلاشك انه شر من المنافقين واليهود والنصارى .

يقول ابن تيمية رحمه الله : ان الباطنية شر من المنافقين لأن المنافقين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر ومع هذا لايدعون ان الباطن الذى أبطنوا ، هو الايمان . أما الباطنية فهم يدعون ان الباطن هو حقيقة الايمان فهم يجمعون بين ابطان الكفر وبين دعواهم ان ذلك الباطن هو الايمان فلايظهرون للمستجيب لهم ان الايمان بالباطن الذى يقولون به وينادون عليه ان ذلك يعتبر طعنا فى الرسول وتكذيبا له بل انهم يجعلون ذلك من كمال الرسول وتمام حاله (١) .

وأخيرا ان أصل الاسماعيلية الظاهر والباطن تجاهل كل مقتضيات اللغة العربية وقواعدها وأصولها المعتبرة ولم يعد لديهم فى تأويلاتهم الباطنية أى صلة أو تحاكم الى هذه الأصول والقواعد اللغوية فأولوا كما يريدون واحتالوا على النصوص الشرعية وسخروها لمبادئهم تحت غطاء الظاهر والباطن

---

(١) انظر رسالة الظاهر والباطن لابن تيمية ص ٢٤٨ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية .

لاسيما مع طرح جميع القواعد والضوابط فى مثل هذا المبدأ وغيره من المبادىء .

يقول الامام الغزالى - مشيرا الى هذا المبدأ - وينبغى أن يعرف الانسان أن رتبة هذه الفرقة هى أخس من رتبة كل فرقة من فرق الضلال .

اذ لاتجد فرقة تنقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه التى هى الباطنية . اذ مذهبها ابطال النظر وتغيير الألفاظ عن موضوعها بدعوى الرمز . وكل مايتصور أن تنطق به السنتهم فاما نظر أو نقل أما النظر فقد أبطلوه وأما النقل فقد جوزوا أن يراد باللفظ غير موضوعه فلايبقى لهم معتصم (١) .

وأخيرا فهذه بعض نصوص أهل العلم فى حكم الاسماعيلية بالنسبة لهذا الأصل :

يقول ابن تيمية : ان معتقد مثل هذه التأويلات الباطنية مما لاشك فى زندقته وكفره والحاده ومن سلك مثل هذا المسلك فهو سالك لطريق الشيطان مع بعده عن طريق الرحمن (٢) .

ويقول الديلمى : ان تاويلات الباطنية الاسماعيلية كلها تاويلات فاسدة رديئة لايدل عليها سنة ولاكتاب وهى باطلة عند أولى الألباب خارجة عن الحق والصواب ... ثم يضيف قائلا : ان تأويلاتهم نهاية الاختلاف لأنها على غير أصل معلوم بل هى عوارض خواطر رديئة وسوانح أفكار فاسدة (٣) .

---

(١) كتاب فضائح الباطنية للغزالى ص ٥٢، ٥٣ .
(٢) انظر كتاب الامام ابن تيمية وموقفه من التأويل للجليند ص ٢٩٩ .
(٣) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٤٣ .

ويقول النسفى فى عقائده : النصوص على ظاهرها والعدول عنها الى معان يدعيها أهل الباطن الحاد .

وفى شرح العقائد النسفية للتفتازانى قال : سميت الملاحدة باطنية لادعائهم ان النصوص ليست على ظاهرها بل معان باطنية لايعرفها الا المعلم وقصدهم فى ذلك نفى الشريعة بالكلية (١) .

وفى موضع آخر لابن تيمية قال : ان الظاهر لابد له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق ومن ادعى باطنا يخالف ظاهرا فهو كافر منافق بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافقه وظاهره يوافق باطنه ويصدقه ويحققه (٢) .

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢/٢٣٦ .
(٢) رسالة الظاهر والباطن لابن تيمية ص ٢٥١ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج١ .

الفصل الثانى

معتقد الاسماعيلية عن الله سبحانه وتعالى

تمهيد :

للاسماعيلية منهج فى اعتقادهم فى الله عز وجل لاثبات وجوده ونعته - يختلف عن مناهج الفرق كلها حيث أن لهم تصورا للوجود بنوا عليه معتقدهم هذا .

يتلخص تصورهم هذا بأن الموجودات صادرة عن عقول فاعلة فى هذا الكون سموها بالعقول العشرة وزعموا انها هى المحركة لجميع المخلوقات من العالم السفلى حتى العالم العلوى وهما ماسموهما بعالم الابداع وعالم الكون والفساد . ومن هنا نرى أن فلسفة الاسماعيلية فيما يتعلق بالذات الالهية مؤسسة على الايمان بهذه العقول المدبرة - كما زعموا - ووصل الأمر بهم الى اسباغ أوصاف وافعال على هذه العقول هى من خواص البارى عز وجل ولاسيما على العقلين الأول والثانى منها اللذان نسبوا اليهما جميع مافى الكون من خلق وايجاد وتدبير وتحريك لجميع الموجودات والكائنات .

فالعقل الأول - والذى أطلقوا عليه لفظ المبدع - قالوا عنه انه جوهر محض صادر عن الله عز وجل ولايدرك شيئا عن صدوره وعمن ابدعه سوى حرفين هما (كن) وهذا العقل هو المحرك الأول لجميع المتحركات . ومن هذا العقل صدرت النفس الكلية (العقل الثانى) ابداعا وانبعاثا وهى جوهرية محضة

بالنسبة لمصدرها واتصالها به ولها مع ذلك جانب آخر هو جانب صورى تتصل به مع من تحتها من عالم الكون والموجودات ففيها منبعثان منبعث أول ومنبعث ثان اعتبر المنبعث الثانى عقلا ثالثا وعن طريق هذه العقول الثلاثة وجدت الموجودات وانفطرت المخلوقات واستحقت جميع الأوصاف والأسماء الثابتة لله عز وجل عند المسلمين .

وكما هو واضح من فلسفتهم وتصورهم لوجود هذه العقول وأثرها فى المخلوقات الأخرى فانها - أى العقول الثلاثة - تحل محل الرب الخالق الرازق المعبود المألوه الموصوف بصفات الكمال .

ومن هنا فالحاجة ماسة وضرورية للحديث مفصلا عن هذه العقول الثلاثة ومابعدها لأنه من خلال ذلك يتضح معتقدهم فى الله عز وجل .

وترتيب الحديث عن معتقدهم فى هذا الفصل كالآتى :

(أ) المبدع - بكسر الدال - ويشمل ذلك أمرين .

الأول : وجود المبدع واطلاق ذلك عليه نفيا أو اثباتا .

الثاني :أسماء المبدع وصفاته نفيا أو اثباتا .

(ب) العقل الأول (السابق) وطبيعته ومهماته .

(ج) العقل الثانى (التالى) وطبيعته ومهماته .

(د) بقية العقول العشرة وطبيعتها .

وأخيرا استخلاص معتقدهم عن الله عز وجل من خلال تصويرهم لهذه العقول وصدور الكائنات عنها .

(هـ) ثم بعد ذلك تصوير علماء الفرق والمقالات معتقدهم هذا من خلال مصادر ومؤلفات هؤلاء العلماء .

(و) وأخيرا نقد وابطال معتقداتهم فى هذا الأصل بالأدلة الشرعية والعقلية .

(أ) المبدع :

يعبر الاسماعيلية - كما قدمنا - بالمبدع عن قمة الوجود ومبداه الأول وهو الله عز وجل . كما يعبرون عنه أحيانا بقولهم . من لاتتجاسر نحوه الخواطر . ذلك أن ذات المبدع - كما يقول الكرمانى - لاتسم ولاتكنى فحروف المعجم غير قادرة على التعبير عنه وهى محدثة لاتقع الا على محدث مثلها .

وهنا نتساءل هل يطلق الاسماعيلية على المبدع لفظ الوجود أو ينفونه عنه ؟ وهل يطلقون عليه ألفاظا أخرى أو حتى مجرد عبارات تدل على ايمانهم باسماء وأوصاف له عزوجل وللاجابة على السؤال الأول نعرض فيما يلى لبيان عقيدتهم فى وجود الله عز وجل ومدى صحة اطلاق هذا اللفظ عليه وذلك من مصدرين أساسيين لديهم وهما كتاب الينابيع للسجستانى وراحة العقل للكرمانى .

(١) لفظ الوجود وصحة اطلاقه على المبدع سبحانه وتعالى .

نفى الاسماعيلية اطلاق لفظ الوجود عن الله عز وجل نفيا قاطعا مع تظاهرهم بنفى ضده كذلك واستخدموا بديلا لذلك مصطلحات غريبة ابتدعوها وروجوها وهى لاتدل على شىء معين . فالسجستانى عبر فى ينبوعه الثانى عن الله عز وجل (بالمبدع) بكسر الدال ووضع عنوانا للحديث عنه وعن وجوده قائلا : "فى هوية المبدع المحضة" .

وفى ينبوعه هذا انتهى الى تقرير الحقيقتين التاليتين عن المبدع سبحانه وتعالى وهما :

الأولى : نفى الهوية عن المبدع .

الثانية : نفى اللاهوية عنه كذلك .

وقد استدل على الحقيقة الأولى بأمرين هما :

(١) انه لو كانت له هوية قائمة به لأدركها المبدع بحقيقته العقلية ولو كان ذلك لكان المبدع عقلا فيكون المبدع هو المبدع وهذا باطل بداهة ومأادى الى الباطل فهو باطل فالمبدع اذا ليست له هوية .

(٢) ان هذه المعرفة هى - فقط - ادراك السابق انه صادر عن المبدع بابداعه اياه لاأن للمبدع هوية موجودة .

اما الحقيقة الثانية وهى نفى اللاهوية عنه فيستدل عليها بأن نفى الشىء فرع عن قبوله ومادام المبدع لايقتضى هوية فلاتنفى عنه فكما لايقال المبدع له هوية فكذلك لايقال المبدع لاهوية له .

والخلاصة ان مايثبته السجستانى فى هذا المقام هو : أن المبدع انما يدرك من المبدع مجرد صدوره عنه وهذه هى غاية معرفته به فهو يدرك أنه مصدره فقط وهذا هو غاية مايضاف الى المبدع من الهوية المحضة واذا كان هذا هو مدى معرفته بالمبدع فكيف معرفة غيره به . وهذا هو نص السجستانى الدال على مااستخلمناه آنفا عن اطلاق لفظ الوجود وعدمه يقول فى كتابه الينابيع : الينبوع الثانى تحت عنوان "فى هوية المبدع المحضة " :

ان الهوية المحضة التى تضاف الى المبدع سبحانه عن هو ولاهو انما هى ايسية السابق من ايسية الابداع المجود به عليه يعنى ان المبدع هو الذى عرفه السابق بأيسيته فصارت معرفته لمن ابدعه بأيسيته هوية المبدع لان هناك هوية موجودة ولاهوية معدومة سوى ماأظهر للسابق من ايسيته بأن المبدع لاهو هو كهويات المبدعات ولاهو لاهو كلا هوية الايسيات بل هويته اظهار نفى الهويات واللاهويات عن المبدع سبحانه ولو كانت للمبدع سبحانه هوية مثبتة عند المبدع سوى نفى الهويات واللاهويات فبأى شىء أثبتها المبدع بأيسيته التى هى العقل أم بأيسيته التى هى الابداع ؟ فان كان بأيسيته اثبت هوية المبدع وايسيته العقل كأن المبدع اذا عقلا والعقل هو المبدع فنتيجته اذا ان المبدع هو المبدع وهذا محال ظاهر .

فاياك أن تطلب وراء السابق هوية بعد ظهور السابق فان الكلمة علته واذا كانت هى العلة الأولى لظهور السابق فمتى ظهر السابق اتحدت به فصارت كهوية السابق وهى التى تفرد بها السابق ولم يفضها على معلوله – الذى هو التالى – ومادون الهوية المحضة المتحدة لهويته فقد أفاضها الى معلوله سبحان الله عن جميع المعلولات – الهويات واللاهويات وتعالى عنها علوا كبيرا .

وانما نفينا الهويات عن المبدع الحق لأن كل هوية تقتضى علة كما وجدنا أشرف ذوات الهويات العقل فقد اقتضى هويته علة وهى أمر الله جل جلاله وهو المبدع الحق غير ذى علة تعالى عن ذلك فلم يقتض هوية واذا لم يقتض هوية لم

يقتض نفيها ـ وهو لاهو ـ اذ ليس وراء اللاهويات اثبات شيء لهو .

وقد عظمناه عن ذلك تعالى وتقدس عما أضاف اليه الملحدون (١) .

أما المصدر الثاني لمعتقد الاسماعيلية في وجود المبدع نفيا أو اثباتا فهو كتاب راحة العقل للكرماني حيث تناول ذلك بلفظ يختلف عن شيخه السجستاني (٢) . وذلك باستخدام عبارتي الأيس والليس : ففي السور الثاني الذي تحته سبعة مشارع ذكر المشرع الأول بعنوان : "في الله الذي لا اله الا هو وبطلان كونه ليسا" أي معدوما . ثم ابتدأ بقانون من قوانين الموجودات وهو قانون العلية فكل معلول له علة يستند اليها في وجوب الوجود والالما وجد . أي ان هذا القانون مبني على أمرين :

<u>أولهما</u> : وجود العلة .

<u>وثانيهما</u> : اقتضاء العلة لوجود المعلول وضرب لجريان هذا القانون خمسة أمثلة يجري فيها وهي : الحرارة والحركة والمركبات الجسمية والاستقصات والمادة والصورة فهذه كلها لها علة ومعلول . فعلة الحرارة الحركة ولولا وجودها ماوجدت الحرارة وهكذا جميع الأمثلة التي بني بعضها على بعض ثم استخلص النتيجة من هذا القانون وأمثلته بقوله : فلما ثبت

---

(١) الينابيع للسجستاني ص ٧١-٧٢ . والعبارة الأخيرة من نصه يقصد بها ـ قبحه الله ـ المثبتين لأسمائه وصفاته من أهل السنة والجماعة .

(٢) أبو يعقوب السجستاني أستاذ وشيخ للكرماني حيث توفي السجستاني عام ٣٣١هـ ، أما الكرماني فقد توفي عام ٤١٢هـ .

انه لاوجود لهذا الا بذاك كان منه العلم بأن الذى تنتهى اليه الموجودات التى به توجد واليه تستند وعنه توجد هو الله الذى لا اله الا هو محال عدميته باطل نفى الهوية عنه اذ لو كان ليسا لكانت الموجودات أيضا ليسا فلما كانت الموجودات موجودة كانت ليسيته باطلة .

والخلاصة فى هذا المشرع ابطال كونه تعالى ليسا – أى معدوما – وهذا هو نص الكرمانى فى تقرير هذه الحقيقة . يقول فى مشرعه الأول من السور الثانى تحت عنوان : "فى الله الذى لا اله الا هو وبطلان كونه ليسا" :

ان من القوانين انه لاوجود لمعلول الا بما يوجب وجوده من علته التى وجوده بها يتعلق واليها فى وجوده يستند ولولاها لما وجد . كالحرارة مثلا التى لاوجود لها الا بما يوجد وجودها من علتها التى وجودها بها يتعلق واليها فى وجودها تستند وهى الحركة التى لولاها لما وجدت . وكالحركة التى لاوجود لها الا بما يوجب وجودها من علتها التى بها يتعلق وجودها واليها فى الوجود تستند وهى المحرك الذى لولاه لما وجدت .

وكالمركبات من الجسمانيات من المواليد التى لاوجود لها الا بوجود الاستقصات التى بها يتعلق وجودها واليها تستند فى وجودها ولولاها لما وجدت . وكالاستقصات التى لولا وجود ماتستند اليه فى وجودها من المادة والصورة اللتين لولاهما لما كانت ولاوجدت .

وكالمادة والصورة اللتين لولا وجود ماتستندان اليه فى وجودهما من الأسباب التى من شانها أن يوجد عنها ذلك من

الأجسام العالية السماوية والصور المتعالية الخارجة لما وجدتا . ولما كانت الموجودات بعضها في وجوده مستند الى بعض . وكان لو كان ذلك البعض الذى يستند هذا البعض فى وجوده اليه وبه يتعلق وجوده غير ثابت فى الوجود ولاموجودا لكان وجود هذا البعض محالا . فلما ثبت انه لاوجود لهذا الا بذاك كان منه العلم بأن الذى تنتهى اليه الموجودات التى به توجد واليه تستند ومنه توجد هو الله الذى لااله الا هو محال ليسيته باطل لاهويته اذ لو كان ليسا لكانت الموجودات ايضا ليسا . فلما كانت الموجودات موجودة كانت ليسيته باطلة . ثم لما كان من شأن الأضداد أن لايكون لها وجود الا بفقد أضدادها وكانت الموجودات متضادة وأعيانها مختلفة متنافرة وهى على ماهى عليه من تضادها موجودة لايفقد شىء منها بوجود ضده وكلها تحت الوجود محفوظة كان من ذلك العلم بأن الذى به بطلت طبيعة الضد فى الخروج من حيز الوجود بوجود ضده وانحفظ الضد عن ضده الذى هو الله الذى لااله الا هو الذى ليسيته محال اذ لو كان ليسا لكان وجود المتضادات ليسا ولما كانت المتضادات موجودة أعيانها كانت ليسيته باستناد وجودها الى سياسة باطلة .

فسبحان الذى به انحفظ وجود الأشياء على تضاد أعيانها واختلاف صورها به ولااله الا الله اله خرست الألسن عند نهوض الأنفس لتتناوله بصفة النطق فوقفت متيقنة بالعجز متحيرة ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم .(١)

---

(١) راحة العقل للكرمانى ص ١٢٩-١٣٠ .

انه بعد هذا النص للكرماني والذى يثبت فيه بطلان ليسية الله (أى وجوده) هل هذه النتيجة ستدفعه الى اثبات نقيض ذلك لله تعالى وهو الوجود واثبات انه تعالى موجود لاسيما وانه أبطل كونه تعالى معدوما أو على أقل تقدير أبطل اطلاق لفظ العدم عليه ؟

ان الاجابة على ذلك نستخلصها مما ذكره فى مشرعه الثاني والذى عنون له بقوله : "بطلان كونه أيسا" أى موجودا .

وقد استدل على ذلك بثلاثة أدلة عقلية خلاصتها :

الأول : ان الايس محتاج الى مايستند اليه فى الوجود والله يتعالى عن الاحتياج فيستحيل كونه أيسا .

الثاني : بناه على فرضين وهما انه لو كان الله أيسا لكان اما جوهرا أو عرضا . فان كان جوهرا فلايخلو من أحد أمرين :

اما أن يكون فاعلا فى ذاته بحيث لايحتاج فى فعله الى غير يظهر فيه فعله أو فاعلا فى غيره بحيث يحتاج الى ذلك الغير فى ظهور فعله . فان كان الثاني كان محتاجا فى فعله الى غيره والاحتياج محال فى حق الله تعالى . وان كان الأول لزم التركيب فى ذاته بكونه فاعلا ومفعولا وكل مركب يرجع فى وجوده الى البسيط الذى لاكثرة فيه ولاقلة بوجه من الوجوه . والتركيب محال فى حق الله تعالى واذن بطل أن يكون جوهرا لما لزم عن ذلك من الاحتياج والتركيب والانقسام وهذه كلها محالة فى حق الباري .

وان كان عرضا : فكل عرض مستند الى وجود مايتقدم عليه

من الجوهر الذى يقوم به وهذا باطل فى حقه تعالى لأن فيه احتياج وفيه تقدم عليه وهما باطلان فى حقه تعالى فبطل ببطلانهما كونه عرضا وببطلان كونه جوهرا أو عرضا - الذى لايخلو الايس من احدهما - بطل أن يطلق عليه لفظ الأيس .

ويفترض الكرمانى بعد ذلك صورة ثالثة تعتبر متممة لأنواع الايس وهى : افتراض أن يكون من الأيس ماهو لاجوهر ولاعرض ويكون ذلك هو الله تعالى وأبطل ذلك الافتراض بأنه لابد أن يكون مشاركا للجوهر والعرض فيما تشاركا فيه كمشاركة احدهما الآخر فتكون ذاته جزأين أحدهما مشارك للجوهر والعرض والآخر مخالف لهما وبالتالى يكون متكثرا لتعدد أجزائه وهذه الأجزاء أقسام ويسبق بعضها بعضا . واذا جاز أن يكون فى الممكن تعدد وانقسام وسبق من بعض أجزائه للبعض الآخر فذلك فى حقه تعالى باطل وببطلان هذه الصور الثلاث يكون الأيس باطل فى حقه تعالى بأى وجه من الوجوه .

وفى نهاية حديثه ذكر الدليل الثالث وخلاصته : أن الله تعالى لايوصف بالأيس لأنه لايخلو ان يكون اما هو أيس ذاته أو غيره أيسه وباطل أن يكون مؤيسا لذاته اذ يقتضى ذلك التغير والحدوث وانه كان معدوما ثم وجد وذلك يستحيل فى حقه تعالى .

وباطل أن يكون غيره أيسه لما يلزم ذلك من حاجته الى غيره وسبق العدم عليه واذا بطل الوجهان - أن يكون مؤيسا لذاته أو غيره أيسه - فالنتيجة بطلان كونه أيسا ومفترفة هويته وراء الايسيات فلايكون مثلها أو واحدا منها لأن وجودها جميعا متعلق باختراعه .

وهـذا نـص الكرمـانـى علـى تلك الخلاصة الموجزة لاستدلاله يقـول فـى مشرعه الثانى تحت عنوان : "فى بطلان كونه تعالى أيسا " :

لمـا كان الأيس فى كونه أيسا محتاجا الى مايستند اليه فى الوجود على ماسبق الكلام عليه . وكان هو – عز كبرياؤه – متعاليا عن الحاجة فيما هو هو . الى غير به يتعلق مابه هو هـو . كـان من ذلك الحكم بأنه تعالى خارج عن أن يكون أيسا لتعلـق كـون الأيس أيسـا بـالذى يتأول عليه الذى جعله أيسا واسـتحالة الأمـر فـى أن يكـون هو تعالى أيسا . ولاهو يحتاج فيمـا هـو هـو الـى غير به هو هو فيستند اليه تكبر عن ذلك وتعـزز وتعـالى علـوا كبيرا واذا كان هو عز وعلا غير محتاج فيمـا هـو هـو الـى غـير بـه يتعلق مابه هو هو فمحال كونه أيسا .

ثـم أن اللـه تعـالى ان كان أيسا فلايخلو أن يكون اما جـوهرا وامـا عرضا فان كان جوهرا فلايخلو أن يكون اما جسما أو لاجسـما . فـان كـان جسما فانقسام ذاته الى مابه وجودها يقتضى وجود مايتقدم عليه يكون كل متكثر مسبوقا متأولا عليه وهو يتعالى بسبحانيته عن أن يتأول عليه غيره .

وان كـان لاجسما فلايخلو ان يكون اما قائما بـالقوة مثل الأنفس . أو قائما بـالفعل مثل العقول .

فـان كـان قائمـا بـالقوة فحاجتـه الى مابه يخرج الى الفعل تقتضى مايتقدم عليه وهو يتعالى عن ذلك .

وان كان قائما بـالفعل فلايخلو من أن يكون :

اما فاعلا فى ذاته من غير حاجة الى غير به يتم فعله .

او فاعلا فى غير به يتم فعله . فان كان فاعلا فى غير به يتم فعله فلنقصانه فى فعله . وحاجته الى مايتم به فعله تقتضى مايتأول عليه وهو يتعالى عن ذلك .

وان كان فاعلا فى ذاته من غير حاجة الى غير به يتم فعله فلاستيعاب ذاته النسب المختلفة بكثرة المعانى المتغايرة بكونه فى ذاته فاعلا ومفعولا بذاته يقتضى ماعنه وجوده الذى لاتكون فيه كثرة ولاقلة بهذه النسب وهو يتعالى عن ذلك . ولما كان اذا كان جوهرا لايخلو من هذه الأقسام وبرئت ساحته من انحاء الحاجة والتكثر اللازمة للجوهر فقد بطل أن يكون جوهرا وان كان عرضا وكان وجود العرض مستندا الى وجود مايتقدم عليه من الجوهر الذى به وجوده وهو يتعالى ويتكبر عن أن تتعلق هويته بما يتأول عليه بطل أن يكون عرضا .

واذا كان لايخلو الأيس من أن يكون اما جوهرا أو عرضا وبطل كونه تعالى جوهرا وعرضا بطل ببطلان كونه جوهرا أو عرضا أن يكون أيسا فباطل اذن كونه أيسا .

ثم لايجوز أن يكون من الأيس ماهو لاجوهر ولاعرض فيكون ذلك الأيس هو تعالى . فانه يجب بذلك مما يتأول عليه تعالى ماوجوده محال . وذلك انه ان كان من الايس ماهو لاجوهر ولاعرض كما كان الجوهر أيسا وهو لاعرض . والعرض أيسا وهو لاجوهر . وهو هو لاجوهر ولاعرض فانه نوع من أنواع جنس الايس وواقع تحته .

ويستحق كل ذلك من الجوهر وهو يتعالى والعرض منه أعنى الايس مايستحقه الآخر ويكون مباينا عن الجوهر والعرض بما

يختص به كمباينة الجوهر العرض والعرض الجوهر بما اختص به كل واحد منهما ومشاركا لهما فيما تشاركا فيه كمشاركة الجوهر العرض والعرض الجوهر فيما تشاركا فيه فتكون ذاته بما باينت به غيرها وشاركت فيه غيرها جزأين بهما وجودها . ومايكون بهذه المثابة من انقسام ذاته الى مابه وجودها فهو متكثر وله مايتقدم عليه ويستند فى وجوده اليه . فان من جهة تكثره يفترض تقدم مالايكون متكثرا بكون الذى ليس بمتكثر متقدما على المتكثر .

ومن جهة كونه نوعا من أنواع الأيس الذى اذا رفع فى الوهم بطل وجود الأنواع يقتضى مابه هو هو . وهو تعالى متكبر عن التكثر الموجب مايتقدم عليه متعال عن النوعية الموجبة مابه هويته هو . واذا كان متعاليا عن ذلك فباطل كونه أيسا . ثم انه تعالى ان كان ايسا فلايخلو ان يكون اما هو أيس ذاته او غيره ايسه وباطل أن يكون هو مؤيسا لذاته اذ يقتضى ذلك انه لم يكن أيسا وذلك آية الاستحالة والحدوث بانه لم يكن فكان . هذا على امتناع الأمر فى هذه القضية . فان مالاعين له فى الوجود على قسميه ممتنع أن يصير ذا وجود ولما يكون وراءه فاعل يرتبط به وجوده .

وباطل أن يكون غيره أيسه فيتأول عليه واذا بطل الوجهان فباطل كونه أيسا ومفترضة هويته وراء الايسيات المتعلق وجودها باختراعه اياها (١) .

فالخلاصة فى هذين المشرعين عند الكرمانى ابطال اطلاق

---

(١) راحة العقل للكرمانى ص ١٣١-١٣٣ .

لفظ الايس والليس - أى الوجود والعدم - على المبدع (الله) فلايطلقان عليه واذا لم يطلقا عليه فغيرهما من الالفاظ والعبارات من باب أولى وبالتالى لايعبر عن المبدع أو يطلق عليه أى لفظ أو عبارة سلبا كان أو ايجابا وهذا ماسنفصل القول فيه فى الفقرة التالية والتى تعتبر اجابة على السؤال الثانى .

(٢) أسماء المبدع وصفاته نفيا أو اثباتا .

ان توقف الاسماعيلية أو تحريمهم اطلاق لفظ الوجود على المبدع سرى على معتقد لايقل عن الاعتقاد بربوبية الله والهيته وهو الاعتقاد بأسمائه الحسنى وصفاته العليا حيث جردوا المبدع من كل اسم أو صفة أو حتى مجرد اطلاق لفظ أو عبارة عليه بل واعتبروا من وصفه بشىء من ذلك ملحدا وكافرا .

وعند التأمل فى كتب القوم ومصطلحاتهم نجد أن الأسماء والصفات الثابتة لله عز وجل فى القرآن والسنة نقلوها من الذات الالهية الى الموجودات عندهم فى العالم العلوى وهى ماأطلقوا عليها (بالعقول العشرة) وخصوا منها العقلين الأول والثانى المعبر عنهما بالسابق والتالى أما مافوقهما فى سلسلة الوجود ويعنون به المبدع (الله) فان البشر لايدركون شيئا عنه البته ولايستطيعون التعبير عنه أو حتى مجرد توهمه ولذا جزم معظم كتاب الفرق والمقالات بناء على فلسفة الاسماعيلية هذه بأن العقل الأول والثانى هما اله الاسماعيلية ومن ثم فانهم قائلون بالاثنينة ومعتقدون لها

كالمجوس .[1]

وهذه نصوص الاسماعيلية الدالة على نفيهم جميع الأسماء والصفات عن المبدع والحاقها بمن دونه من الموجودات . يقول الكرماني في مشرعه الثالث تحت عنوان (انه تعالى لاينال بصفة من الصفات وانه لابجسم ولافي جسم ولايعقل ذاته عاقل ولايحس به محس) انه تعالى محتجب بسبحانيته عن الأشياء الى ادراك الموجودات والتي لاقدرة لذواتها على النهوض لتناوله بصفة حيث لاتعتوره احاطة العقل والحس بما هو عليه من القدرة الباهرة التي تعجز فيها قدرة ماسواه فهو من حيث هو يختم على الأفواه أن تتحرك وعلى اللسان أن ينطق وعلى العقل أن يحيط وعلى النفس أن تتوهم ولايوسم بشيء يقال عليه .

ثم يقرر الكرماني بعد ذلك نقل كل صفة كمال وجلال بعد نفيها عن المبدع الى من دونه من الموجودات بقوله :

وان كان من الكمال على الغاية ومن الجلال على النهاية الا وذلك يليق بما هو دونه مما لايخلو أن يكون اما جوهرا أو عرضا وهو سبحانه متعال عن ذلك بريء من انحاء النقصان والتمام وان ينال بصفة أو يقال عليه شيء من الصفات لأنها مأخوذة مستعارة من الموجودات التي هي واقعة تحت الوجود المخترع ومختصة بها الذوات التي لاتنفك من آية الكون المبدع ... ثم ينتهي الى القول : بأن مايقال على الله تعالى من صفات هو صفة لغيره منقولة عنه اليه تعالى . فقد تبين أن من وصفه فقد كذب عليه بكون ماوصفه به صفة لغيره

---

(١) انظر عن ذلك ردود العلماء عليهم في باب الالهيات وذلك كالغزالي والبغدادي وابن تيمية والديلمي والعلوي وغيرهم .

وظهر أن الاستطاعة تعدم فيها القدرة التي تأتي بما يستحقه تعالى .(١)

ومعنى ذلك - كما هو واضح من فلسفة الكرماني ولفظه - ان الأسماء والصفات هي في أصلها للعقل الأول (السابق) ومن نقلها الى من فوقه ويقصدون به المبدع سبحانه فقد كذب عليه - وهذا غاية السلب والتعطيل عندهم - وعلة ذلك ان قدرة الانسان واستطاعته تعجز عن التعبير عن المبدع بما يستحقه بل ان الكرماني في مشرعه السابع اعتبر قمة التوحيد للمبدع هو في نفي الأسماء والصفات عنه - وليس مجرد عدم اطلاقها عليه - لأنها عنده صفات لمن دونه من الموجودات وعن ذلك يقول بوضوح سافر في مشرعه السابع تحت عنوان (أصدق قول في التوحيد والتسبيح والتمجيد والاثبات مايكون من قبيل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالى) :

وخلاصة ماذكره في هذا المشرع قوله : ان معاشر الدعاة الموحدين المتبعين للأئمة الطاهرين (ويقصد بذلك الاسماعيليين) طريقهم في التوحيد والتسبيح نفي الصفات عن الله بكونه حقا وصدقا . (وفسر الصدق بأنه نفي الصفات عن الله والكذب هو اثبات الصفات له) يقول : اننا اذا اثبتنا له تعالى صفة وكانت الصفة لاله بل لغيره بكونها مختصة بالموجودات عنه التي هي غيره تعالى الله كنا فيه كاذبين اذ الكذب هو اثبات شيء لما هو ليس له أو نفي شيء عما هو له .

---

(١) انظر راحة العقل للكرماني ص ١٣٥-١٣٦ .

وانـنـا ان نفينا عنه صفة وكانت تلك الصفة ليست له بل لغيره كنا في ذلك صادقين فلزمنا هذه الطريقة على مارسمت الأدلة المنصوبون للهداية الى طريق الحق فى التوحيد (ويقصد بذلك الأئمة) .

وفي آخر مشرعه هذا يصف المثبتين لله تعالى الأسماء والصفات بالعناد تارة وبالأبالسة تارة أخرى وبالتلبيس والتمويه والتضليل . وأخيرا يحكم على منهج المثبتين بالالحاد يقول : وليس لمعاند أن يعكس فيجرى الذات فى ايجاب ثبوتها مجرى الصفات التى تكلمنا عليها توصلا الى التلبيس وسلوكا طريق الأبالسة فى التمويه والتضليل بناء للمحال والكلام عليه لما عليه الأمر الضرورى فى ثبوت الذات المتعالية عن الصفات سبحان الله وتعالى وقيام الحاجة فى وجود الموجودات الى مابه تتثبت من الله تعالى الذى اليه تستند الموجودات فى وجودها . وتنسد معه أبواب الالحاد .(١)

وكأن الكرمانى أدرك أن هناك حكما واقعا عليه . وعلى الاسماعيلية وهو (التعطيل لصفات الله بنفيها عنه) فأراد أن يبرىء نفسه واتباع مذهبه بقوله زاعما : أن التعطيل انما تنقدح تارة ويعتلى فى الالحاد مفاده اذا اعتمد حرف (لا) فى القول قصدا بفعله الذى هو النفى نحو الهوية المتعالية لتعطيلها ونفيها بان يقال : لاهو أو لا اله فقط الذى يدل على التعطيل الصريح الذى يكسب النفس بوارا ويضرم عليها فى سواد الجحيم نارا . فأما حرف لا فيتوجه فعله نحو الصفات

---

(١) انظر المرجع السابق ص ١٤٧-١٤٨، ١٥٣ .

لنفيها من دون الهوية سبحانها فالصفات هي المعطلة المنفية لا الهوية سبحانها وذلك مثل قولنا في الله سبحانه أولا بأنه ال لاموصوف الذي صار فعل حرف (لا) موجها نحو الصفات والموصوفات من الأجسام لنفيها عنه سبحانه المشار اليه بقولنا : انه . والمشار اليه ثابت والصفات هي المعطلة المنفية فهو سبحانه لاموصوف ولالاموصوف ... وينتهي الكرماني بعد ذلك الى القول بأن هذا (أي سلب الصفات ونفيها عن الله) هو أصل مذهبنا وعليه قاعدة دعوتنا وهو المعتمد في توحيد معبودنا والمقصود في انحاء كلامنا وايرادنا (١) .

ويقرر الداعي الاسماعيلي ابن الوليد معتقد الاسماعيلية بنفي الأسماء والصفات عن المبدع سبحانه بقوله : ويعتقد الاسماعيلي أن نفي الصفات عن الله معتقد صحيح لايسوغ تركه لأن الصفات تلحق الجوهر اما في الأجسام واما في النفوس وتكون في الأجسام كيفيات من خارجها كالأقدار والألوان (٢) ومايجري مجراها .

وفي النفوس كيفيات من داخلها كالعلم والجهل ومايجري هذا المجرى وهو يتعالى عن أن يكون له داخل أو خارج ... وينتهي بعد ذلك الى الزعم بأن التوحيد نفي الصفات عن المتعالي سبحانه فاذا اثبتها فلاتوحيد ... فمنع الصفات الموجودة في الخلقة عن أن تكون تضاف اليه معتقد صحيح (٣) .

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٨-١٤٩ .
(٢) يعني بذلك الأحجام ذات القدر المعين .
(٣) تاج العقائد ومعدن الفوائد لعلي بن محمد الوليد ص ٢٧-٢٨ .

ولخص المؤيد داعى دعاة الاسماعيلية عقيدتهم هذه. بقوله ان توحيد الله هو أن ينفى عنه جميع مايليق بمبدعاته التى هى الأعيان الروحانية ومخلوقاته التى هى الصور الجسمانية من الأسماء والصفات والحدود ويتصور انه ماكاد ينقدح لأحد فكر فيه جل جلاله الا وذلك الفكر مثل المفكر مصنوع ومحدث وأن الله سبحانه صانعهما ومحدثهما ولايناسب شيئا منهما وأن نفى المعرفة هو حقيقة المعرفة وسلب الصفة هو نهاية الصفة .

ونتيجة لهذا المعتقد فى النفى وصل الحال بهم الى الحكم على أن الذى يدين بصفات الله مشرك شركا خفيا وأن قوله صلى الله عليه وسلم "الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل على صخرة صماء فى ليلة ظلماء" بأن اثبات الصفات لله عز وجل هو هذا الشرك الخفى .

ورووا عن على بن أبى طالب ـ كذبا ـ قوله عن ربه : وصفه تشبيه ونعته تمويه والاشارة اليه تمثيل والسكوت عنه تعطيل والتوهم له تقرير والاخبار عنه تحديد . وقوله أيضا : أولى الديانة لله تعالى معرفته وكمال معرفته توحيده ونظام توحيده نفى الصفات عنه واقامة حدوده (١) .

وفى مقدمة كتاب كنز الولد للحامدى تصريح بعقيدة النفى والسلب المطلق حيث افتتح كتابه بقوله : الحمد لله لايدركه من لاتدركه الأبصار ولايحصره من لاتحصره الأفكار الذى دون تناوله للأفكار استار أو لاقدام الأوهام زلل وعثار (٢) ، فهو

---

(١) انظر ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ٨٩-٩٠ .

(٢) هكذا نص الكتاب والصواب ـ فيما يظهر ـ على النحو الآتى : "الحمد لله لاتدركه الأبصار ولاتحصره الأفكار الذى دون تناوله بالأفكار استار ولاقدام الاوهام زلل وعثار) .

سبحانه لايدخل تحت اسم ولاصفة ولايومأ اليه بالاشارة مكيفة ولاتعال عليه حيا ولاقادرا ولاعالما ولاعاقلا ولاكاملا ولاتاما ولافاعلا لأنه مبدع الحى القادر العالم العاقل التام الكامل الفاعل ولايقال له ذات ولانه جوهر أو عرض أو انه علة ... الخ (١)

وفسروا معرفة المبدع سبحانه بانها نفى الصفات عنه وهذه هى رسالة العقل الأول الى من دونه . يقول السجستانى : ان العقل انما قام أولا بابداع المبدع ليعرف من دونه أولا سبحانيته عن صفات كل موصوف وسمات كل منعوت فكان نفى الصفات والاضافات عن المبدع جوهرية العقل التى حدثت عن الابداع واثباته لمن ابدعه وتعريفه لمن دونه من التالى والحدود العلوية والسفلية بأن جوهريته التى هى النفى لم تكن لتعطيل الالهية عن المبدع بل تثبيته مجردا عن صفات المبدعات والمخلوقات فلم يسبق هذا التعريف فى العقل شىء بل هو اول رسالة يؤديها عن المبدع الى الخلق ليعبدوه حق عبادته وينزهوه عن سمات بريته ولايشركوا به من دونه فى ربوبيته . (٢)

واستدل الحامدى على مبدأ النفى الذى يعتبر أساس عقيدة الاسماعيلية فى أسماء المبدع وصفاته بأكذوبة نسبها الى علي بن ابى طالب وانه قال لكميل بن زياد وقد سأله عن توحيد مجرد بلسان صدق مفرد : ويحك ياكميل من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ومن أشار اليه فهو ثنوى ومن نطق به فهو جاهل ومن سكت عنه فهو غافل ومن ظن انه واصل

---

(١) كنز الولد للحامدى ص ١٣-١٤ .
(٢) اثبات النبوات للسجستانى ص ١٢٣ .

فليس له حاصل وكل ماميزتموه فى أوهامكم فى أصدق معانيه فهو مصروف عنه مردود اليكم ممنوع محدث وقال شعرا :

العجز عن درك الادراك ادراك
والبحث عن سر كنه الذات اشراك
والكشف عن مستجنات الغيوب عمت
عليه من ظلمات العجز أفلاك (١)

وحينما ينفون عن المبدع أسماءه الحسنى يقولون عنها انها اشارة الى حدوده الروحانية العلوية والجسمانية السفلية ففى تأويل قوله تعالى {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها} (٢) أى هؤلاء الحدود ادعوه بها واطلبوا الوصول الى توحيد الله تعالى من جهتهم وتدرعوا من مدارع النجاة برسالتهم .

ومما ذكر صاحب كنز الولد : أن توحيد الله معرفة أسمائه فمن عرفهم ووحده من قبلهم نجا ومن جهلهم ولم يتصل بهم ضل وغوى (٣) .

ويلخص اسماعيلى معاصر عقيدتهم فى أسماء الله وصفاته بقوله : ان الاسماعيلية يقولون ليس له أسماء لأن الأسماء من موجوداته ولاصفات لأن الصفات من ايسياته . وان حروف اللغة لايمكن أن تؤدى الى لفظ اسمه أو أن يطلق عليه شىء منها لأنها جميعها من مخترعاته وان كافة الأسماء التى أبدعها جعلها أسماء لمبدعاته (٤) .

واختم نصوصهم عن هذا المعتقد بحكم الحامدى على من

---

(١) كنز الولد للحامدى ص ١٠ .
(٢) سورة الأعراف : ١٨٠
(٣) ديوان المؤيد الشيرازى ص ٩٠-٩١ .
(٤) الامامة لعارف تامر ص ٦٦ .

يصف الله عز وجل أو يسميه بأسمائه الحسنى يقول : من وصف الله فقد كفر ولحد ومن نعته فقد شبه وعند غاية المعرفة به الاقرار بالعجز عن وصفه والحصر وتساوى البصيرة عن ادراكه والبصر .(١)

فالخلاصة فى معتقدهم عن الله عز وجل التوقف والسلبية ومن ثم التصور الذهنى الممتنع ومع استحالة هذا فان مؤلفاتهم الفلسفية ونظرياتهم الاعتقادية تدور على هذا الفكر وتقوم عليه . وبالتالى فان ترتيبهم للموجودات متفرع من ذلك حيث بعد المبدع - بكسر الدال - يأتى المبدع - بفتح الدال - وهو ما اسموه بالعقل الأول والسابق ووصفوه بصفات الله واسمائه بعد نفيها عن الله عز وجل وذلك حرصا منهم على التنزيه !!

ان هذا يستلزم استقصاء مالدى الاسماعيلية من تصورات ومعتقدات عن العقل الأول واسمائه وأوصافه وطبيعته ومهماته فى العالمين العلوى والسفلى .

(ب) العقل الأول أو السابق :

يطلق على العقل الأول - عند الاسماعيلية - أسماء وأوصاف وتسند اليه أفعال وأحكام على نحو مانرى ذلك عند السجستانى والكرمانى :

(١) أسماء العقل الأول وصفاته .

خصص السجستانى ثمانية ينابيع من كتابه لبيان مايطلق

---

(١) رسالة زهر بذر الحقائق للحامدى ص ١٥٧ ضمن منتخبات اسماعيلية .

على العقل ولطولها نستخلص منها[1] الجوانب التسعة التالية والتى تعتبر خلاصة موجزة لأسماء العقل وأوصافه وأفعاله وأحكامه :

(١) أن الله أمر العقل بقوله "كن" فلايفاف لأمر الله سوى هذين الحرفين وهما الكاف والنون ولايدرك العقل شيئا عمن قبله وهو المبدع سوى ذلك .

(٢) انه لايعبر عن العقل بأنه داخل العالم الطبيعى أو خارجا منه وله جوهرية خاصة لايزيلها شىء من الأشياء كما انه يخالف العالم الطبيعى فى باب القوة والفعل .

(٣) أن العقل الأول أول مبدع حيث لم يسبقه فى الابداع شىء حيث انه جوهر محيط بالاشياء كلها ومن هنا حكم عليه بالسبق فى الوجود قبل كل محاط به .

(٤) ليس قبل العقل الأول شىء اذ هو شيئية الأشياء كلها ولو جاز توهم شيئية قبل العقل - والعقل شيئية الأشياء كلها - كان العقل اذن قبل ذاته والشىء لايكون قبل ذاته فاذن توهم شيئية قبل العقل ممتنع .

---

(١) ابتدا السجستانى بحديثه عن العقل الأول من الينبوع الثالث حتى الينبوع الحادى عشر ومقدار ذلك ثلاثا وعشرين صفحة يصعب نقلها حرفيا ، ولذا وجب التلخيص . انظر كتاب الينابيع ص ٧٣-٩٦ . ومن الجدير بالذكر أن الدكتور عبد الرحمن بدوى لخص هذه الينابيع التى توضح خصائص العقل الأول فى كتابه مذاهب الاسلاميين ٢/٢٤٤-٢٤٧ مبتدئا بالينبوع الثالث ثم السادس والسابع بالترتيب حتى الحادى عشر تاركا ينبوعين هما الرابع وعنوانه "بيان عالم العقل وعالم النفس وكيفيتهما" والخامس وعنوانه "العقل الأول أول مبدع" . ومن الملاحظ - كما أسلفنا - ان الينبوع الثانى يتعلق بالحديث عن الله عز وجل والذى أطلق عليه "هوية المبدع المحضة" ، أما الينبوع الأول فخصصه لمعنى الينبوع فهما خارجان عن العقل الأول أو السابق . انظر كتاب الينابيع ص ٦٢-٧٢.

(٥) ان العقل لايبيد فكل شيء يبيد يدخل الفساد عليه اما من ذاته واما من غيره ولبطلانهما فى العقل يستحيل فساد العقل الذى لم يتلق أمرا ممن فوقه سوى "كن" .

(٦) أن العقل ساكن لأنه لم يسبقه شيء والحركة - التى هى ضد السكون - انما تكون لطلب موضع أو لطلب حاجة وليس للعقل حاجة لأنه غير محتاج الى احد وليس له الزوال عن موضعه لأن المواضع كلها بالنسبة لجوهرية العقل موضع واحد .

ويفترض أيضا أنه تحرك لطلب مبدعه لادراكه والاحاطة به ولكن جوهريته تخالف ذلك فان العقل لايتوهم ادراك من أبدعه ولو توهم ذلك لم يكن عقلا .

(٧) والعقل تام بالفعل والقوة معا اذ العقل يشبه الواحد من الاعداد . والواحد عدد تام بالقوة والفعل معا . لم يكن فى عدد آخر ككون جميع الأعداد بعضها من بعض فانه لايمكن أن يسبق الواحد عدد يكون ذلك العدد سببا لظهور الواحد كما يكون سببا لظهور الاثنين وكما امتنع أن يسبق الواحد عدد يكون ظهور الواحد منه امتنع أن يكون العقل من شيء بالقوة حتى ظهر بالفعل . كما امتنع أن يسبق الواحد عدد يكون فيه الواحد بالقوة فاذا ظهور العقل تام بالقوة والفعل معا .

(٨) والعقل يوجد مجردا عن المادة ولايحتاج الى الجسدانية لأن العقل جوهر روحانى غير مركب بينما الجسد مركب من الطبائع الأربع .

(٩) ان العقل يخاطب النفس خطابين خطابا علويا وخطابا سفليا .

فالخطاب العلوى خطاب العقل للنفس من جهة الروحانيات وأوله الشوق الدائم الذى أفاض عليها فتراها أبدا مشتاقة متحننة الى علتها . والخطاب السفلى هو المتوجه الى الأشياء الجسمية للتخلص من الجسمانيات واللحاق بعالمها فتطلب الفوائد العقلية المحضه التى بها خلاصها وفوزها وراحتها (١) .

أما الكرمانى فانه يسمى العقل ويصفه بأنه : هو الحق وهو الحقيقة وهو الوجود الأول والموجود الأول وهو المعقول الأول وهو العلم وهو العالم الاول وهو القدرة وهو القادر الأول وهو الحياة وهو الحى الأول ذات واحدة تلحقها هذه الصفات يستحق بعضها لذاته وبعضها باضافته الى غيره من غير أن تكون هناك كثرة بالذات (٢) .

ومما يطلق الكرمانى على العقل الأول : انه النهاية فى الكمال والزينة والجمال بكونه هو اولا فى الوجود وعلة تنتهى اليها الموجودات ولم يكن فى الكمال والجمال مثل ذاته ولاشىء أوفق له من ذاته وكان مدركا لذاته بذاته (٣) .

(٢) اعمال العقل الأول :

أما ماينسب للعقل من أعمال فيوضحه بقوله : انه هو المحرك الأول لجميع المتحركات وانه العلة فى وجود ماسواه وانه لايحتاج فى الفعل الى غير ذاته وانه عقل فى ذاته وعاقل لذاته ومعقول بذاته (٤) .

---

(١) انظر كتاب الينابيع للسجستانى ص ٧٣-٩٦ .
(٢) راحة العقل للكرمانى ص ١٨٩ .
(٣) المرجع السابق ص ١٩٣ .
(٤) المرجع السابق ص ١٩٧ .

ولتوضيح هذه المزية للعقل الأول وبدايتها عندهم يقول الحامدى : ان الله أبدع عالمالأمر دفعة واحدة بلازمان بل أوجدهم دفعة واحدة لاشرف لأيهم على غيره عند الابداع بل الكل فى الكمال واحد متساوون فكان من واحد منهم انه فكر فى ذاته بذاته لامن معلم ولامن ملهم بل جعل له من ذاته تصورا وعلم ان له ولجميع مامعه من أبناء جنسه مبدعا وخالقا ليس هو كهم فنفى حينئذ عن نفسه الالوهية واقر لمبدعه بالوحدانية وهو قوله تعالى : {شهد الله انه لااله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لااله الاهو} (١) فكان هو الشاهد بالغيب سبحانه فلم يسم ولم يكنى بل قال : {الا هو} لقلة احاطته بمبدعه وقصوره عن ذلك . (٢)

ولهذه المزية الخاصة بالعقل الأول - وهى انه أول من اكتشف المبدع دون غيره من الموجودات - استحق جميع الأوصاف والأسماء التى تطلق على البارى عز وجل عند غيرهم .

وعند الاسماعيلية أن العقل الأول هو الذى رمز اليه تعالى بالقلم فى قوله : {ن والقلم ومايسطرون} (٣) وعلى هذا فالقلم هو الخالق المصور وهو الذى أبدع النفس الكلية التى رمز اليها القرآن باللوحالمحفوظ ووصفت بجميع الصفات التى للعقل الكلى الا ان العقل كان أسبق الى توحيد الله وافضل فسمى بالسابق وسميت النفس بالتالى وبواسطة العقل والنفس وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية من

---

(١) سورة آل عمران : ١٨
(٢) رسالة زهر بذر الحقائق للحامدى ضمن منتخبات اسماعيلية لعادل العوا ص ١٦١ .
(٣) سورة القلم : ١

جماد وحيوان ونبات وانسان ومافى السموات من نجوم وكواكب .(١)

لذلك نجد شهاب الدين الاسماعيلى يبدأ رسالته بقوله :

الحمد لله الذى ظهر لخلقه واحتجب عن خلقه بخلقه وأبدع بأمره الكريم وسره العظيم السابق الأول ثم اخترع منه التالى الثانى فصبغ جوهرهما بنور وحدته وجعلهما أصلين للخلق والدين ببديع قدرته .(٢)

(٣) احكام العقل الأول :

أما ماينسبه الاسماعيلية للعقل من احكام فكثيرة جدا وحسبنا ان نعلم أن جميع الأسماء والصفات والأفعال الالهية مصروفة عندهم الى العقل الأول أو السابق ولذا فقد خصص الكرمانى له سورا كاملا فى سبعة مشارع استغرقت أربعين صفحة من كتابه راحة العقل . وخلاصة هذه المشارع السبعة مايأتى :

(١) ان الموجود الأول وجوده لامن ذاته وانه علة تنتهى اليها الموجودات وانه لاجسم ولاقوة فى جسم وانه خارج عن الجسم .

(٢) ان وجوده عن طريق الابداع ـ وهى الكلمة كن كما مر معنا فى نص السجستانى ـ لاعن طريق الفيض كما يقول الفلاسفة .(٣) وأن طلب الاحاطة بكيفية هذا الوجود محال .

---

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٥٨ .

(٢) رسالة مطالع الشموس لشهاب الدين ضمن أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر ص ١١ .

(٣) هذه المسألة من المسائل التى اختلف بها الاسماعيلية مع الفلاسفة ولاينبنى على ذلك اعتبار اخوان الصفا لهم مذهب مستقل عن الاسماعيلية لقولهم بالفيض كما قرر الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه مذاهب الاسلاميين ٢/٢٣٤-٢٣٥ لأن من المسلم به ان حركة اخوان الصفا حركة مزامنة لظهور الاسماعيليين وان مؤلفى رسائلهم =

(٣) ان الموجود الأول الذى لايتقدمه شيء ولايسبقه فى الوجود سواه .

(٤) انه كامل وازلى الآخر لاازلى الأول وانه واحد لامثيل له ولايعقل الا ذاته فقط .

(٥) انه حامل للصفات ومتوحد من جهة كونه ابداعا وشيئا واحدا ومتكثر من جهة الموجود فيه من الصفات الاضافية .

(٦) ان الموجود الأول مع كونه موصوفا بأوصاف كثيرة فان من دونه لايدرك جماله ومجده وبهاءه ومسرته لأن هذه الأمور أعظم من أن تنال بوصف كما انه هو يمتنع أن يحيط بما هو خارج عنه ممن فوقه كما انه الاسم الأعظم والمسمى الأعظم .

(٧) انه المحرك الأول لجميع المتحركات وانه العلة فى وجود ماسواه وانه لايحتاج فى الفعل الى غير ذاته كما انه عقل فى ذاته وعاقل لذاته ومعقول بذاته (١) .

هذه هى أوصاف العقل الأول وأحكامه عند السجستانى والكرمانى وبمثل ذلك تحدث سائر دعاة الاسماعيلية وعلمائها .

يقول الحارثى عن العقل الأول : ان جميع صفات الشرف والجلالة ومايعبر به فى جميع اللغات من الاشارات بنعوت

= اسماعيليون قلبا وقالبا ولايمنع مع ذلك تأثر الاسماعيلية بالفلاسفة فى كثير من المسائل الاعتقادية مع اختلافهم معهم فى مسألة كالابداع أو الفيض .
وقد ذكر الأستاذ احمد جلى جملة أدلة ونصوص تدل على أن اخوان الصفا ورسائلهم اسماعيليون ونتاجهم نتاج اسماعيلى وماذكره بحق يعتبر ردا قويا وجامعا لأدلة تدحض رأى من ينفى رسائل اخوان الصفا عن الاسماعيلية . انظر دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ٢٧٣-٢٧٤ من الهامش ، طبعة جديدة .

(١) انظر راحة العقل للكرمانى ص ١٥٥-١٩٧ .

الالهية فانها واقعة على العقل الأول[1] وعلة ذلك كما قال الحارثى : انه لما كانت حروف المعجم محدثة لم تكن تدل الا على محدث مثلها واذا كان القول كذلك كانت هذه الأسماء والصفات منفية عنه - أى المبدع - تعالى وتكبر وكانت واقعة على ابداعه الذى هو العقل الأول والموجود الأول والسابق وهو سبحانه متنزه متعال عما يقول الظالمون علوا كبيرا[2] .

ولخص أحد شعراء الاسماعيلية هذه الفكرة تحت عنوان القول فى التوحيد ومما قال :

فكل مايجرى على اللسان   من سائر الأفكار والأديان
وسائر الأسماء والصفات   للمبدع الأول لا للذات[3]

وحينما وجه سؤال الى الحامدى - الداعى الاسماعيلى - عن سورة الاخلاص ومعناها أجاب بقوله :

ان الأوصاف الواردة فى هذه السورة انما هى لبيان خصائص العقل الأول والموجود الأول وأضاف قائلا : انه قد سبق القول فى الأجوبة المقدمة انه لما كان من لاتجاسر نحوه الخواطر فى حجاب من الجلالة والعظمة ممتنعا أن يعبر عنه بلفظ قول أو عقد ضمير كانت الصفات المتعالية والسمات المتناهية فى الشرف واقعة على أشرف مبدعاته وأفضل مخترعاته فلذلك أوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (قل) يامحمد (هو الله أحد) عنى به الاقرار للمبدع الأول برتبة الوحدة التى امتاز بها عمن سواه وتفرد بها عن جميع

---

(١) رسالة المبدأ والمعاد ضمن الحقائق الخفية للأعظمى ص ١٠١ .
(٢) الأنوار اللطيفة للحارثى ص ٧٩-٨٠ .
(٣) القصيدة الصورية للصورى ص ٢٤ .

من تلاه ثم قال (الله الصمد) فى اللغة هو السند المصمود اليه فى قضاء الحوائج فأمره بالاعتراف بكون الابداع مقصد أهل العوالم واليه تمتد رغباتهم ومنه تطلب حاجاتهم وهو الغنى عنهم وهم الفقراء اليه ثم قال (لم يلد ولم يولد) تعليما لنبيه صلى الله عليه وسلم بتنزيه هذا الحد الشريف - العقل الأول - وتجريده عن أن يكون له سبب أو علة من جنسه بها وجد كما يكون الوالد علة لولده (ولم يولد) أن يكون هو علة لظهور مولد عنه اضطر الى ايجاده لغرض يدعوه اليه فيقوم مشابها له كما يكون الولد من عالم الطبيعة مشابها لوالده وحائزا لمرتبته من بعده اذ ليس أحد من العقول ينال مرتبة العقل الأول .(1)

وفى رسالة مطالع الشموس تتضح ماهية العقل الأول وأثره فى الوجود وانه هو مبدأ الكائنات وأصلها ، يقول شهاب الدين :

واعلم ان هذا العالم انسان كبير أصله ومبدأه السابق المشرق من أنوار الوحدة وهو العقل فمنه تأسست الموجودات وتأثرت وظهرت بعجائبها وانجبت بعضها من بعض وهو أصل مبدئها ومنشئها واليه معادها وهو سبب اظهار الوجود بأسره وانه أصل له نسبتان عليا وسفلى وهما الكاف والنون فالكاف درجة العليا وتسمى الجود والنون درجة السفلى وتسمى الدين ومن هاتين النسبتين ظهر عالمان الخلق والدين فالخلق من نسبة العليا وبه يمد والدين من نسبة الدنيا وبها يستمد .(2)

---

(1) كنز الولد للحامدى ص ١٥٧ .
(2) رسالة مطالع الشموس لشهاب الدين ص ١٩-٢٠ ضمن أربع رسائل اسماعيلية .

زاد الاسماعيلية على ذلك حتى أطلقوا لفظ الله على العقل الأول . يقول الكرماني : ثم ان العقل الأول هو الاسم الأعظم والمسمى الأعظم وذلك ان كانت الأسماء التى تقدس بها المتعالى سبحانه ويدعى بها كثيرة فى عالم الجسم الذى هو دار الطبيعة وكان أعظمها الذى لايستحقه وينفرد به عن الغير (الله) وكان أحق الأسماء بما تسمى به مايطابق معناه الذى يؤديه الموجود منه فى المسمى به وينطق عنه بما عليه طبيعته ويدل عليه بما عليه حاله وكان هذا الاسم مؤديا من معناه الالهانية التى هى الشوق والوله الذى هو الحيرة على مايقال اله فلان يأله الهانية اذا اشتاق ووله فلايأله اذا تحير . كان هذا الاسم بهذين المعنيين اللذين اداهما حقا للمبدع الذى هو الموجود الأول لوجود المعنيين فيه من الاشتياق الى ماعنه وجوده والحيرة فيه ولما كان هذا الاسم له بمعناه الموجود فيه حقا وكان هذا الاسم أعظم اسم والمسمى به أعظم مسمى كان الاشتياق والحيرة ثابتين فيه .(١)

وفى رسائل وصفوها بأنها حقائق عالية ودقائق وأسرار سامية ومما جاء فيها دعاء ومناجاة للاسماعيلية يقولون : ياخالق يارازق يامن فى قبضته قلوب الانس والجن . والاشارة فى هذه المناجاة الى العقل الأول اذ هو مستحق لاضافة أسماء العظمة والجلالة اليه وهى واقعة عليه .(٢)

ويقول الداعى ابن الوليد : ان الله فى قوله تعالى : {شهد الله انه لااله الا هو والملائكة وأولوا العلم}(٣) اسم

---

(١) راحة العقل للكرمانى ص ١٩٥-١٩٦ .
(٢) أربعة كتب اسماعيلية جمع شتروطمان ص ٧١ .
(٣) سورة آل عمران : ١٨

واقع على العقل الأول السابق فى عالم الابداع . والملائكة تلك العقول المجردة المبادرة الى الاجابة لدعوته الشاهدة بما شهد به وأولوا العلم هو هذا الشخص الفاضل صاحب الجثة الابداعية آدم وحدوده السبعة والعشرون المجيبون لدعوته (١) .

ان نصوص الاسماعيلية هذه عن الله عز وجل أو كما يقولون عن أول مبدع نستطيع أن نستخلص منها أن التوحد والتمجيد والتقديس عندهم بأن ينفى عن الله سبحانه جميع مايليق بمبدعاته التى هى الأعيان الروحانية ومخلوقاته التى هى الصور الجسمانية فلايطلق عليه أى عبارة أو لفظ أو حتى اشارة ومما قالوا ذريعة لهذا الالحاد فى أسماء الله وصفاته أن حروف المعجم لما كانت محدثة لم تدل الا على محدث مثلها وانما يفطرنا العجز الى أن يكنى عنه بما يستحقه أسماؤه العليا لعدمنا مانصفه به . واستخلص الدكتور محمد كامل حسين عقيدة الاسماعيلية عن الله وعن نفى الأسماء والصفات عنه والحاقها بما سموه السابق بقوله : ان الاسماعيلية جردوا الله سبحانه وتعالى من كل صفة حتى أصبح توحيد الله عندهم نفى جميع الأسماء والصفات عنه والحاقها بمبدعاته ومخلوقاته واصبح عندهم نفى المعرفة هو حقيقة المعرفة وسلب الصفة هو نهاية الصفة . فأسماء الله الحسنى التى نسبها الله تعالى لنفسه فى القرآن الكريم لاتقال لله تعالى بل جعلوها للعقل الكلى الذى تحدث عنه الفلاسفة ووصفوا العقل الكلى بكل صفات الكمال على نحو ماذكره الفلاسفة الأقدمون

---

(١) رسالة المبدأ والمعاد ص ١١٣ .

تماما وصبغوا هذه الآراء والأقاويل بالصبغة الاسلامية فنسبوا أسماء الله الحسنى الى العقل الكلى واطلقوا على العقل الكلى أيضا اسم "المبدع الأول" وان هذا المبدع الأول أو العقل الكلى هو الذى رمز اليه تعالى (بالقلم) فى الآية القرآنية {ن والقلم ومايسطرون} (١) . وعلى هذا فالقلم أو المبدع الأول أو العقل الكلى هو الخالق المصور الواحد القهار الجبار العزيز المذل العلى القدير ... الخ وانه هو الذى أبدع النفس الكلية أو المبدع الثانى الذى رمز اليه فى القرآن الكريم (باللوح المحفوظ) وجعلوا للنفس الكلية جميع الصفات التى للعقل الكلى الا أن العقل الكلى كان أسبق فى الوجود والى توحيد الله وتنزيهه فبذلك كان العقل الكلى أسبق من النفس الكلية وأفضل فسمى (بالسابق) وسميت النفس الكلية (بالتالى) وبواسطة العقل الكلى والنفس الكلية وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية ، بل كل ماتشاهده فى هذه الدنيا من جماد ونبات وحيوان وانسان ومافى السموات من نجوم وكواكب ، فالخالق عند الاسماعيلية اذن هو العقل الكلى والنفس الكلية وبمعنى آخر ان مايقوله المسلمون عن الله سبحانه وتعالى خلعه الاسماعيلية على العقل الكلى فهو الاله عند الاسماعيلية . واذا ذكر الله عند الاسماعيلية فالمقصود هو العقل الكلى (٢) .

---

(١) سورة القلم : ١
(٢) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٥٧-١٥٨ .

(ج) العقل الثانى (التالى) أو النفس الكلية :

يعتبر هذا العقل عند الاسماعيلية أصلا ثانيا مع العقل الأول ويأتى فى الوجود والرتبة بعد السابق ولذلك أطلقوا عليه التالى لأنه تلى العقل الأول فى الأفضلية والوجود والاهمية وكثيرا ماأطلق الاسماعيلية على هذا العقل (النفس الكلية) وطبيعتها عقلية محضة وهى اقرب الموجودات من العقول العشرة الى عالم الكون والمخلوقات وهذه صورة مفصلة عنها :

(١) أسماء النفس وصفاتها .

للنفس الكلية أسماء متعددة فى مصادر الاسماعيليين منها العقل الثانى والتالى والمنبعث الأول والعقل القائم بالفعل وأول العقول المنبعثة فى عالم القدس عن العقل الأول ومن اجمع نصوص الاسماعيلية عن أسمائها وعلة تسميتها بها ماذكره الداعى الاسماعيلى السجزى فى كتابه تحفة المستجيبين بقوله :

ثم أوجد الموجود الأول من العقل أثرا منفعلا هى النفس الكلية وانما سميت نفسا لأنها تتنفس دائما للاستعاذة ليكون بتواتر تنفسها قوام الخلقة وتسمى أيضا باللوح لأن الذى انفطر من العقل من أنوار الكلمة يتسطر فى النفس ومن النفس يتحمل جريانها المنبعث منها على مقدار صفاتها ولطافتها .

وتسمى النفس بالملك ومعنى ذلكان النفس هى ملك العقل وعبدته لأن بالنفس ظهرت فضيلة العقل كما أن بالملك تظهر فضيلة الملك .

وتسمى بالنفس الكلية لأنها الحال الثانى لجميع المخلوقين . ويقال لها التالى أى انها تتلو العقل فى قبول اثار الحكمة . ويقال للنفس القدر ومعنى هذه التسمية أن الذى يتحد بالنفس من فوائد العقل فان التقدير والتحديد محاطان به . وتسمى النفس الصورة ومعنى هذا انها تصورت من جوهر العقل الذى به تقف على فوائد العقل وهى القمر فتستفيد من أنوار العقل وضيائه وانها متى همت أن تلحق به لتنزل منزلته محق نورها كما أن القمر يستفيد نوره من نور الشمس واذا اجتمع مع الشمس فى المنزلة محقت نوره (١) .

اما تسمية النفس بالمنبعث الأول والعقل القائم بالقوة فيوضحه الكرمانى بقوله : ولما كان الأمر فى كون العقل الأول على نسبتين احداهما اشرف من الأخرى . كان الموجود عن النسبة الأشرف قائما بالفعل عقلا فردا محضا فى نوعيته صورة مجردة وهو مع كونه ثانيا فى الوجود عند الترتيب أول بالانبعاث . كما أن المبدع الأول أول بالابداع . وكان الموجود عن النسبة الأخرى دون ذلك منزلة عقلا قائما بالقوة يسمى الهيولى والصورة مزدوجا فى ذاته كالنسبة التى عنها وجد (٢) .

واما صفات النفس الكلية فيوضحها الكرمانى أيضا بقوله وهو - أى العقل الثانى - كالأول فى باب كونه جامعا للكمالين وذلك ان جميع مايختص المبدع - الذى هو العقل الأول - به من الأمور العشرة التى بها هو ماهو من كونه حقا

---

(١) تحفة المستجيبين للسجزى ص ١٤٦-١٥٥ .
(٢) راحة العقل للكرمانى ص ٢١٣ .

وموجودا أولا وواحدا تاما وكاملا أزليا وعاقلا وعالما وقادرا وحيا بالاضافات والذات واحدة فان المنبعث منه يستحقه بالمعانى الموجودة فيه .

ثم يبين الكرمانى بعد ذلك علة كل صفة للعقل الثانى بقوله :

فاما كونه حقا فلكونه نهاية المنبعثات من طريق الابداع .

وكونه موجودا أولا فلكونه موجودا أولا من الانبعاث .

وكونه واحدا فلكونه عقلا محضا واحدا من نوع الانبعاث الأول .

وكونه تاما فلوجوده عن التمام .

وكونه كاملا فلوجوده عن الكمال .

وكونه ازليا فلكونه متعلقا بما يحفظ عليه وجوده .

وكونه عاقلا فلعقله ذاته بذاته .

وكونه عالما فلعلمه بذاته وذات ماتقدمه .

وكونه قادرا فلوجود الاحاطة منه بذاته .

وكونه حيا فلوجود الفعل منه . فهو تام كامل ووجوده عن السابق عليه لابقصد منه أول .(١)

(٢) النسبة بين النفس الكلية وبين العقل الأول وبينها وبين الهيولى والصورة من العقل الأول انبعثت النفس الكلية ذلك ان ماللعقل من خصائص ومقدرة فائقة جعلته يغتبط ويسر ويبتهج حتى سطع نور عنه وانبعث وذلكم هو

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٧-٢١٨ وانظر أيضا ديوان المؤيد الشيرازى ص ٩٦ .

العقل الثانى أو المنبعث الأول الذى صدر عن العقل الأول ذلكم ان العقل يخاطب النفس خطابين :

خطابا علويا من جهة الروحانيات وصورته الشوق الدائم الذى أفاض عليها فتراها أبدا مشتاقة متخننة الى علتها فتكتسب من فوائد العقل مايمكنها .

والخطاب الآخر خطابا سفليا من جهة الجسمانيات لتعلق النفس بها ورحمة العقل عليها فالعقل خاطب النفس أولا عند كون الهيولى والصورة منها (١) .

فالنفس الكلية لها اعتباران ونسبتان فهى عقل قائم بالفعل بالنظر الى مافوقها وهو العقل الأول وهى بجانب ذلك عقل قائم بالقوة وذلك بالنظر الى الجسمانيات التى بعدها والمسماة بالهيولى والصورة . ومن الاعتبار الأول تسمى النفس قلما كالعقل الأول الذى يعبر عنه بالقلم ، ومن الاعتبار الثانى تسمى لوحا لأنها موضع تاثير العقل الأول فيها كما يكون اللوح موضع تاثير القلم .

وأما الهيولى والصورة فهى النسبة الدنيا للنفس الكلية وهى عقل قائم بالقوة ولذلك تسمى بالمنبعث الثانى لأن الأول عقل قائم بالفعل وهو يمثل النسبة العليا للنفس والتى تتصل بالعقل الأول مباشرة فمسمى القلم يشمل العقل الأول والعقل الثانى بنسبته العليا والتى تسمى بالمنبعث الأول .

ومسمى اللوح يشمل العقل الثانى بنسبته الدنيا وهى مايسمى بالمنبعث الثانى والذى يطلق عليه أحيانا الهيولى

---

(١) انظر الينابيع للسجستانى ص ٩٣-٩٥ .

والصورة . فكل عقل قائم بالفعل فهو قلم وكل عقل قائم بالقوة فهو يسمى لوحا .

ومن نصوص الاسماعيلية التى تدل على ماقدمنا قول الكرمانى : انه لما كان الموجود الأول الذى هو العقل الأول مختصا باسم الابداع لكونه فى وجوده لامن شىء وكان فى الوجود موجودا اختص الموجود الثانى التالى له فى الوجود الذى هو العقل الثانى باسم الانبعاث الأول ولزم من هذا الانبعاث وجود شيئين عنه بحسب ماعليه ذاته من النسبتين احداهما أشرف من الأخرى . ولما كان الأمر فى كون العقل الأول على نسبتين احداهما أشرف من الأخرى كان الموجود عن النسبة الأشرف قائما بالفعل عقلا فردا محضا فى نوعيته صورة مجردة وهو مع كونه ثانيا فى الوجود عند الترتيب أول بالانبعاث . كما أن المبدع الأول أول بالابداع وكان الموجود عن النسبة الأخرى دون ذلك منزلة عقلا قائما بالقوة يسمى الهيولى والصورة مزدوجا فى ذاته كالنسبة التى عنها وجد (١) .

ويقول الكرمانى أيضا فى توضيح النسبة بين العقل والنفس : انه هو أول العقول المنبعثة فى عالم القدس وهو عقل قائم بالفعل مثل ماعنه وجد كالاشعاع الموجود عن الشمس وكماله أقل مرتبة من كمال العقل لأنه ثان فى الوجود . كما أن المنبعث الأول كامل الاغتباط من جهة السابق عليه فى الوجود وهو قائم بالتسبيح والتهليل مشتاق وله حيران كالأول مقدس ذلك الملك المقرب المعرب عنه فى السنة الالهية بالقلم وانما سمى ذلك بالقلم لكونه والأول من جنس واحد (٢) .

---

(١) راحة العقل للكرمانى ص ٢١٢-٢١٣ .
(٢) راحة العقل للكرمانى ص ٢١٩ .

(٣) التأثير المشترك فى الكون بين العقل والنفس .

من الملاحظ كما سبق فى نصوص الاسماعيلية ان هناك تأثيرا مشتركا فى الكون بين العقل والنفس حيث انهما - حسب معتقدات الاسماعيلية ومنطوق نصوصهم - الأصلان فى وجود الموجودات وخلق الكائنات واليهما جميعا مرجع الأشياء روحيا وجسميا . فالنفس تستمد قدرتها من العقل الأول ثم تتصل بحكم اعتبارها الثانى بالموجودات والكائنات ، ثم بعد ذلك وجد العالمين العلوى والسفلى بتأثيرهما المشترك . ونجد هذا المعتقد واضحا جليا فى رسالة أفردها الداعى الاسماعيلى أبو فراس وسماها "حدوث العالم ومبتدأ العوالم" يقول فيها : وان موجد العالم اوجده - أى العقل الأول - ابداعا لامن شىء وانه سبحانه وتعالى قال له كن فكان فيضا واحدا فهو العقل الفعال الأول والموجود الاكمل والحجاب المفضل وظهر عنه التالى مخترعا من نوره ثم ظهرت جميع الموجودات منهما وبهما . فالفيض الأول هو أصل الايجاد وهو المبدأ واليه المعاد وهو السابق صاحب التمام والكمال واشعته جواهر افراد ابداعية عقلية وأشعة التالى جواهر أزواج تركيبية منها الهيولى الأولى والجسم المطلق الكوكبى والفلكى وهم الأمهات الأربع والمتولدات الثلاث . واعلم أيها الأخ البار أن جميع المركبات الجرمانية ثنائية من اشعة الأمر بوساطة السابق وجميع المركبات الجسمانية المتوالدة جواهر رباعية تركبت من تلك الجواهر الثنائية بوساطة الأمهات الأربع وروحانيتها المحركة لها وهى جواهر افراد من اشعة السابق بوساطة التالى وان مواد التالى من الأمر بوساطة السابق

ومـواد السـابق الهيـة بوساطة الأمر . واعلم أن العالم كله بسيط ومركب ظهر من العدم الى الوجود بوساطة الأصلين العقل والنفس فوجـود حركاتـه مـن التـالى بواسـطة الهيولى ووجود روحانيتهـا المحركـة لـه مـن السـابق بواسطة التالى وعلته الموجـودة أصل هذا العالم ـ وهما الكاف والنون ـ أما الأمر فهـو السـر الالهى المكنون بين هذين الحرفين فالكاف السابق المحدود المكمل بفيض الجود وهو علة النون .

والتالى أصل تركيب الوجود بمواد السابق والخلق ينقسم الـى ثلاثـة اقسـام عـالم روحـانى ، وعـالم جرمانى ، وعـالم جسمانى (١) .

ويرتب أحد الاسماعيلية تكوين الخلق ومراتبه مبينا أثر العقـل والنفس فـى وجودهـا يقـول : ان الله أبدع أول الأمر العقل الأول وهو تام بالفعل ثم بتوسط هذا العقل أبدع النفس والنفس غـير تامـة ونسبة العقل الى النفس نسبة النطفة الى تمـام الخلقـة . ولما اشتاقت النفس الى كمال العقل احتاجت الـى حركـة مـن النقص الى الكمال والحركة تحتاج الى وسيلة فوجـدت وسـيلة أو حـدثت وهـى الأفلاك السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس فحدثت الطبائع البسيطة بعد حدوث الأفلاك وتحـركت هـذه الطبـائع بفعـل النفس فـتركبت عن تلك الحركة المركبـات مـن المعـادن والنبات والحيوان والانسان والحركة فيمـا نعلـم كـثرة وتعدد وفاضت من النفس نفوس جزئية سرعان مـا اتصلت بـالأبدان ، وهنـا كـان نـوع الانسـان وحده متميزا

---

(١) رسـالة مطـالع الشـموس ص ١٩-٢٠ ضمـن كتاب أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر .

بالاستعداد لفيض تلك الأنوار العليا عليه لأن مادته من مادة النفس العاشقة التي تتجه نحو المعشوق بحركات مختلفة تتفاوت كمالا ونقصا (١).

وقال أيضا : ولما ابتدأ الأمر فاض على عالم العقل بأمر الله وفاض العقل على عالم النفس بأنواره وفاضت النفس على من دونها فامتلأ عالمها من فيض العقل الممتلىء من فيض الله فأفاضت أقطار السموات بالسموات وبدأت الحركات من الحركات والمدبرات من الأوامر فقبلت فيض الأمر بما دونه من عالم الكون والفساد حتى ظهر الانسان (٢).

وبناء على ماتقدم من خاصية للنفس الكلية وتأثيرها المشترك مع العقل الأول فان حركات العالم بزعمهم تأتي من الأول بواسطة الثاني وروحانيته تكون من السابق بواسطة التالي .

وختاما للحديث عن الأصلين السابق والتالي أو العقل الأول والثاني كما صورهما الاسماعيلية نتحدث بايجاز عن ترتيب العقول بعدهما حيث أن الفكر الاسماعيلي قائم على الايمان بعقول عشرة وأن الموجودات تسلسلت عن طريقها .

(د) بقية العقول العشرة وطبيعتها :

تقدم لنا آنفا الحديث عن العقل الأول وطبيعته وأفعاله وأحكامه . وكذلك العقل الثاني وبيان مابينهما من اتصال

---

(١) رسالة في الأصول والأحكام لحاتم بن عمران بن زهرة ص ١٠٣ ، انظر نشأة الفكر الفلسفي لعلي سامي النشار ص ٤١٢-٤١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧ ، وانظر نشأة الفكر الفلسفي ص ٤١٨-٤١٩ .

مشترك ويأتى بعدهما فى الرتبة والوجود بقية العقول الفاعلة وهى ثمانية عقول مرتبة ترتيبا عدديا حتى العقل العاشر ولها مايقابلها من الأفلاك .

(١) العقل الثالث ويقابله من الأفلاك فلك زحل .
(٢) العقل الرابع ويقابله من الأفلاك فلك المشترى .
(٣) العقل الخامس ويقابله من الأفلاك فلك المريخ .
(٤) العقل السادس ويقابله من الأفلاك فلك الشمس .
(٥) العقل السابع ويقابله من الأفلاك فلك الزهرة .
(٦) العقل الثامن ويقابله من الأفلاك فلك عطارد .
(٧) العقل التاسع ويقابله من الأفلاك فلك القمر .
(٨) العقل العاشر ويقابله من الأفلاك مادون فلك القمر .

ويتحدث الكرمانى عن كيفية وجودها بقوله : وبالابداع والانبعاث يوجد من العقول الفاعلة فى ذواتها بذواتها عشرة عقول يتم بها عالم الابداع والانبعاث الذى هو المبادىء الشريفة . وقام العاشر منها لعالم الجسم مقام المبدع الأول فى عالم الابداع الأول والانبعاث الأول كما أن الموجود فى الدور من الحدود العشرة . أولها الناطق والوصى وسبعة من الأتماء الذين يتمون الأدوار الصغار . والعاشر هوالذى يقوم مقام الناطق فى دوره ثم يظهر بأمر جديد فى دور جديد . ولما كان وجود مابعد العشرة على صيغة الاحاد الى المئين . كان ذلك موجبا أن يكون الموجود فى عالم الجسم من المؤثرات بعدد الأعداد الموجودة فى عالم الابداع من العقول وعلى تلك الصيغة على ماذكرناه من فلك الأفلاك وفلك الكواكب والأفلاك السبعة ومادون فلك القمر الموازن للموجود فى عالم الوضع .(١)

---

(١) راحة العقل للكرمانى ص ٢٤٢ ، وانظر مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى ٢٦٥/٢ .

كمـا يقول أيضا عن هذه العقول : ان الموجود عن العقل الأول والمنبعث الأول سبعة عقول ووجود كل منها عن الآخر صاعدا الى المنبعث الأول وان كلا منها ساطع سار فيما وجد عن الأول من الهيولى والصورة التى منها وجود السموات والأرض وحركاتها ومراتب هذه العقول السبعة شىء واحد فى كونها برية من الأجسام والمواد (١) .

ان هذه العقول السبعة - التى تدبر أمر الكواكب السبعة السيارة - يسميها الاسماعيليون بالكروبيين السبعة (٢) ، وهذا الاسم حسب المصطلحات الشرعية عند أهل السنة لمجموعة من الملائكة الذين يعملون فى السماء .

يقول أحد دعاة الباطنية عن مهمات هؤلاء : ان كل واحد منهم ناظر الى فلك من الأفلاك الجرمانية متول لتدبيره وادارته لاحظ لكل ذى مرتبة من رتب الدين مقبل عليه بامداده وافادته فهذا هو فعلهم فى العوالم الروحانى والجسمانى والدينى . واما أسماؤهم فهم الموسومون بالكروبية وبالعقول المجردة بلسان الدعوة وبالملائكة فى لسان الشريعة (٣) .

أما العقل العاشر - وهو عقل مادون فلك القمر - فانه يقوم منها من عالم الأجسام مقام المبدع الأول فى عالم الابداع الأول والانبعاث الأول كما قال الكرمانى : والعقل الأول مركز لعالم العقول الى العقل الفعال ، والعقل الفعال عاقل للكل وهو مركز لعالم الجسم من الأجسام العالية

---

(١) راحة العقل للكرمانى ص ٢٤٠ .
(٢) انظر مسائل مجموعة من الحقائق جمع شتروطمان بعنوان أربعة كتب اسماعيلية ص ١٣٢،٦٢ .
(٣) المرجع السابق ص ١٣٢-١٣٣ .

الثابتة الى الأجسام المستحيلة المسماة عالم الكون والفساد وعالم الجسم جامع لفيض العقول وهو مركز لوجود الأنفس الطاهرة التى هى أنفس النطقاء الى القائم والقائم جامع للكل الذى انتهى اليه ماسرى من بركة الابداع .(١)

ويقول أحد الباطنيين : بعد أن ذكر تكون الانسان وخلقه - قال ان ذلك التدبير والعناية بالانسان من قدرة مدبر عالم الطبيعية - العقل العاشر - التى تسير بها فى كل لحظة الى عالم الكون والفساد والنفس مجبورة على ذلك الفعل بتلك القدرة لاتختار أن تفعل ذلك ولاتشعر به بل هى مثل الفضة التى يصورها الصائغ أى صورة أراد بالآلات صياغته كذلك مدبر عالم الطبيعة يصور كل مادة من المتكونات من معدن ونبات أو حيوان أى صورة شاء بحسب مايستحقه بآلاته التى هى القوة الفلكية والأمهات الطبيعية ...الخ .(٢)

وفى تأويل أحد الباطنية لقوله تعالى : {انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين}(٣) قوله : انى وجهت وجهى للذى فطر الأنبياء العظام وأرسلهم بالظواهر فى الأنام وأرسل حججهم بتأويل ماأتوا به وبحقائقه وأسراره ودقائقه وما انا من القائلين انه يحل فى الأجسام بل هو يتجلى فى كل زمان ومكان بكل مقام ولك هو العقل العاشر والمدبر الظاهر .(٤)

واذا كان هذا هو عمل العقل العاشر أو المدبر الظاهر

---

(١) راحة العقل للكرمانى ص ٢٤٥ .
(٢) مسائل مجموعة من الحقائق لمجهول ص ٢٣-٢٤ .
(٣) سورة الأنعام : ٧٥
(٤) حياة الأحرار لعلى المكرمى ورقة ٢٤ .

فلاشك أن من فوقه من العقول الى العقل الأول أعظم منزلة وأكبر قدرا وبالتالى لها من الخلق والانشاء والتدبير فى الكون ماهو أكثر مما نسب الى العقل العاشر . تعالى الله عما يقول الكافرون والمشركون والظالمون علوا كبيرا .

وهذه العقول العشرة أو الحدود العلوية - كما يسمونها - لها مايقابلها ويناظرها فى عالم الكون من الحدود السفلية مثلا بمثل ، فالعقل العاشر من الموجودات فى عالم العقل هو نهاية العقول كالعاشر من الحدود السفلية يعتبر نهايتها ، فالموجود من العقول العلوية فى عالم الابداع مثل الموجود من الحدود فى عالم الدين لم يغادر منه شيئا . وهذا جدول رسمه الكرمانى لبيان التناظر والمقابلة[1] بين هذين العالمين أو هذين الحدين :

---

(١) انظر راحة العقل للكرمانى ص ٢٥٥-٢٥٧ .

(١)

	الحدود العلوية	الحدود السفلية
(١)	الموجود الأول (الفلك الأعلى)	الموجود الأول (رتبة التنزيل)
	هو المبدع الأول	هو الناطق
(٢)	الموجود الثانى(الفلك الثانى)	الموجود الثانى(رتبة التأويل)
	هو المنبعث الأول	هو الأساس
(٣)	الموجود الثالث	الثالث هو الامام
	الفلك الثالث (زحل)	رتبة الأمر
(٤)	الموجود الرابع	الرابع الباب
	الفلك الرابع (المشترى)	رتبة فصل الخطاب
(٥)	الموجود الخامس	الخامس الحجة
	الفلك الخامس (المريخ)	رتبة الحكم
(٦)	الموجود السادس	السادس داعى البلاغ
	الفلك السادس (الشمس)	رتبة الاحتجاج
(٧)	الموجود السابع	السابع الداعى المطلق
	الفلك السابع (الزهرة)	الحدود العلوية
(٨)	الموجود الثامن	الثامن الداعى المحدود
	الفلك الثامن (عطارد)	تعريف الحدود السفلية
(٩)	الموجود التاسع	التاسع المأذون المطلق
	الفلك التاسع (القمر)	رتبة أخذ العهد
(١٠)	الموجود العاشر ـ مادون	العاشر المأذون المحدود
	الفلك من الطبائع	رتبة جذب الأنفس المستجيبة

(١) راحة العقل للكرمانى ص ٢٥٦ .

واخيرا وحينما نتأمل فى نصوص الاسماعيلية السابقة عن المبدع سبحانه وتعالى ثم عن العقلين الأول والثانى وبقية العقول المدبرة بعدهما نستخلص المعتقدات الآتية كما تنطق بها مصادرهم ومؤلفاتهم :

(١) أن الاسماعيلية - نظريا - يؤمنون بالله مع حصرهم ذلك الايمان فى تسميته بالمبدع وقولهم بابداعه للعقل الأول فقط وماسوى ذلك من خلق الخلق وايجاد الكائنات وتدبير الكون ... الخ فهو ينسب الى العقل الأول وخلاصة فكرهم واعتقادهم عن الله عز وجل أنه اله سلبى لاينسب اليه شيء .

(٢) ان الكائنات والمخلوقات وجميع مافى الكون خالقها ومدبرها وموجدها هو ماأسموه بالعقلين الأول والثانى أو السابق والتالى .

(٣) سلب جميع الأسماء والصفات والألفاظ والعبارات عن الله عز وجل وتحريم اطلاق أى لفظ أو عبارة عليه بل ولامجرد التوهم والتفكير .

(٤) نقل جميع ماثبت لله عز وجل من الأسماء الحسنى والصفات العليا الى ماأسموهما بالسابق والتالى حيث ينسب اليهما جميع مانفوه عن الله عز وجل بحجة التنزيه ؟

(٥) الايمان بعقول عشرة لها من التدبير والتأثير والقوة ماليس لغيرها وهى بحسب ماينسب اليها تحل محل الرب الخالق القادر المعبود المألوه .

(٦) الايمان بتعدد الآلهة المدبرين لهذا الكون وهذه نتيجة حتمية لتصويرهم الموجودات وماينسب لها من أعمال مع

سلبهم عن الله عز وجل أى عمل أو تاثير مباشر فى الكون والمخلوقات ونسبة ذلك الى العقول المدبرة .

(٧) تحريف وتبديل المصطلحات الشرعية وذلك كالقلم واللوح والملائكة واطلاقها على العقول العشرة .

(٨) واخيرا وكما يستخلص الدكتور النشار فان مذهب الاسماعيلية فى الالهيات مزيج من المجوسية والثنوية والفلسفة اليونانية والعقائد اليهودية والنصرانية (١) .

(هـ) تصوير علماء الفرق والمقالات معتقد الاسماعيلية فى الالهيات :

تقدمت نصوص الاسماعيلية الدالة على معتقدهم عن الله عز وجل وهى كافية فى بيان خطورة معتقداتهم فى هذا الأصل العظيم وناطقة بنفسها على غلو الاسماعيلية وانحرافهم عن المعتقد المستقيم وتاكيدا لهذه الحقيقة وبيان دور علماء الفرق والمقالات فى كشف هذا المعتقد وأمانتهم فى نقله نستعرض ماسطره أولئك العلماء الأفذاذ .

يقول العلامة ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر منهج السلف فى الايمان بالله وأسمائه وصفاته : وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب ومن دخل فى هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة والجهمية والقرامطة والباطنية ونحوهم فانهم على ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولايثبتون الا وجودا مطلقا لاحقيقة له عند التحصيل وانما يرجع الى وجود فى الأذهان يمتنع

(١) انظر نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام للنشار ٢/٤٢٠-٤٢١ .

تحققه في الأعيان . فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل فانهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفى الذات فغلاتهم يسلبون عنه النقيضين فيقولون : لاموجود ولامعدوم ولاحى ولاميت ولاعالم ولاجاهل لأنهم يزعمون أنهم اذا وصفوه بالاثبات شبهوه بالموجودات واذا وصفوه بالنفى شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين وهذا ممتنع فى بداهة العقول وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب وماجاء به الرسول فوقعوا فى شر مما فروا منه فانهم شبهوه بالممتنعات اذ سلب النقيضين كجمع النقيضين كلاهما من الممتنعات .(١)

وفى موضع آخر يقول : وانما ينكر أن تكون هذه الأسماء حقيقة النفاة من القرامطة الاسماعيلية الباطنية ونحوهم من المتفلسفة الذين ينفون عن الله الأسماء الحسنى ويقولون : ليس بحى ولاميت ولاعالم ولاجاهل ولاقادر ولاعاجز ولاموجود ولامعدوم فهؤلاء ومن ضاهاهم ينفون أن تكون له حقيقة ثم يقول بعضهم : ان هذه الأسماء لبعض المخلوقات وانها ليست له حقيقة ولامجازا . وهؤلاء الذين يسميهم المسلمون الملاحدة لأنهم الحدوا فى أسماء الله وآياته وكانوا عند المسلمين اكفر من اليهود والنصارى .(٢)

ويقول أيضا : ان الاسماعيلية وضعوا لأنفسهم اصطلاحات روجوها على المسلمين ومقصودهم بها مقصود الفلاسفة الصابئون والمجوس الثنوية كقولهم السابق والتالى ويعنون به العقل

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/٧-٨ .
(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٧/٥ .

والنفس ويقولون هو اللوح والقلم وأصل دينهم مأخوذ من دين المجوس والصابئين .

ويضيف ابن تيمية الى أن هذه المعتقدات مما وجدها في كتبهم وذكرها أيضا الكاشفون لاسرارهم والهاتكون لأستارهم كالقاضي ابي بكر بن الطيب والقاضي ابي يعلى .(١)

ونقل الشهرستاني صورة شاملة لمعتقدهم في الالهيات ومما قال عنهم انهم قالوا في الباري عز وجل : انا لانقول عنه موجود ولاموجود ولاعالم ولاجاهل ولاقادر ولاعاجز . وكذلك في جميع الصفات فان الاثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليه وذلك تشبيه فلم يكن الحكم بالاثبات المطلق والنفي المطلق . بل هو اله المتقابلين وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين ونقلوا في هذا نصا عن محمد الباقر انه قال : (لما وهب العلم للعالمين قيل هو عالم ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر فهو عالم قادر بمعنى انه وهب العلم والقدرة لابمعنى انه قام به العلم والقدرة أو وصف بالعلم والقدرة).

فقيل فيهم انهم نفاة الصفات حقيقة معطلة الذات عن جميع الصفات قالوا : وكذلك نقول في القدم . انه ليس بقديم ولامحدث بل القديم أمره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته .

ابدع بالأمر العقل الأول الذي هو تام بالفعل ثم بتوسطه ابدع النفس التالي الذي هو غير تام . ونسبة النفس الى العقل اما نسبة النطفة الى تمام الخلقة والبيض الى الطير واما نسبة الولد الى الوالد والنتيجة الى المنتج واما

---

(١) مخطوطة بغية المرتاد لابن تيمية ورقة ٦ .

نسبة الأنثى الى الذكر والزوج الى الزوج .

قالوا : ولما اشتاقت النفس الى كمال العقل احتاجت الى حركة من النقص الى الكمال واحتاجت الحركة الى آلة الحركة فحدثت الأفلاك السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس وحدث الطبائع البسيطة بعدها وتحركت حركة استقامة بتدبير النفس ايضا فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان وكان نوع الانسان متميزا عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار وكان عالمه فى مقابلة العالم كله . وفى العالم العلوى عقل ونفس كلى فوجب أن يكون فى هذا العالم عقل مشخص هو كل وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق وهو النبى . ونفس مشخصة وهو كل أيضا وحكمه حكم الطفل الناقص المتوجه الى الكمال . أو حكم النطفة المتوجهة الى التمام أو حكم الأنثى المزدوجة بالذكر ويسمونه الأساس وهو الوصى .

قالوا : وكما تحركت الأفلاك والبائع بتحريك النفس والعقل كذلك تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبى والوصى فى كل زمان دائرا على سبعة سبعة حتى ينتهى الى الدور الأخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمحل السنن والشرائع . وانما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية لتبلغ النفس الى حال كمالها ، وكمالها بلوغها الى درجة العقل واتحادها به ووصولها الى مرتبته فعلا وذلك هو القيامة الكبرى .(١)

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٣/١-١٩٤ .

ويقارن البغدادى بين معتقد الاسماعيلية فى الالهيات ومعتقد المجوس الثنوية القائلين بالنور والظلمة وانهما صانعان قديمان وهما الأصلان فى تدبير العالم ويصل بعد ذلك الى ان هذا المعتقد هو أساس دين الباطنية ومنه استمدوا معتقدهم فى الله عز وجل ونقل بعد ذلك عن زعماء الباطنية هذه الخلاصة الموجزة عن معتقدهم فى الالهيات بقوله : وذكر زعماء الباطنية فى كتبهم ان الاله خلق النفس فالاله هو الأول والنفس هو الثانى وهما مدبرا هذا العالم وسموهما الأول والثانى وربما سموهما العقل والنفس ثم قالوا انهما يدبران هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأولى .

ثم يضيف البغدادى الى ان قولهم ان الأول والثانى يدبران العالم هو بعينه قول المجوس باضافة الحوادث لصانعين أحدهما قديم والآخر محدث الا أن الباطنية عبرت عن الصانعين بالأول والثانى وعبر المجوس عنهما بيزدان واهرمن .

ويستدل أيضا بأن هذا المعتقد هو بعينه معتقد المجوس أن داعيهم النسفى قال فى كتابه المعروف بالمحصول : ان المبدع الأول ابدع النفس ثم ان الأول والثانى مدبرا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأربع وهذا فى التحقيق معنى قول المجوس أن اليزدان خلق اهرمن وانه مع اهرمن مدبران للعالم .

ويخلص البغدادى بعد ذلك الى أن معتقد الاسماعيلية هذا نتيجته جحد الصانع والاعتقاد بقدم العالم وانهم دهرية زنادقة ويستدل على ذلك بما قرأه واطلع عليه فى كتابهم

المترجم بالسياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأعظم وفيه قولهم ونحن مجمعون مع الفلاسفة على القول بقدم العالم لوما مايخالفنا فيه بعضهم من ان للعالم مدبرا لايعرفونه (١) .

ويفصل الغزالى الحديث عن معتقد الاسماعيلية فى الالهيات - وكانى به وقد اطلع على جل كتبهم فى هذا الباب - بصورة أكثر تفصيلا وبصيغة الاجماع كذلك يقول عنهم : وقد اتفقت أقاويل نقلة المقالات من غير تردد انهم قائلون بالهين قديمين لاأول لوجودهما من حيث الزمان الا أن أحدهما علة لوجود الثانى واسم العلة السابق واسم المعلول التالى وان السابق خلق العالم بواسطة التالى لابنفسه وقد يسمى الأول عقلا والثانى نفسا ويزعمون ان الأول هو التام بالفعل والثانى بالاضافة اليه ناقص لأنه معلوله وربما لبسوا على العوام مستدلين بآيات من القرآن عليه كقوله تعالى : {إنا نحن نزلنا الذكر} (٢) ، {ونحن قسمنا} (٣) وزعموا أن هذه اشارة الى جمع لايصدر عن واحد ولذلك قال : {سبح اسم ربك الأعلى} (٤) اشارة الى السابق من الالهين فانه الأعلى ولولا ان معه الها آخر له العلو أيضا لما انتظم اطلاق الاعلى وربما قالوا : الشرع سماهما باسم القلم واللوح والأول هو القلم فان القلم مفيد واللوح مستفيد متأثر والمفيد فوق المستفيد . وربما قالوا

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٦٩-٢٧٠، ٢٧٧-٢٧٨ .
(٢) سورة الحجر : ٩
(٣) سورة الزخرف : ٣٢
(٤) سورة الأعلى : ١

اسم التالي القدر في لسان الشرع وهو الذي خلق الله به العالم حيث قال : {انا كل شيء خلقناه بقدر} (١) .

ثم قالوا : السابق لايوصف بوجود ولاعدم فان العدم نفي والوجود سببه فلاهو موجود ولاهو معدوم ولاهو معلوم ولاهو مجهول ولاهو موصوف ولاغير موصوف وزعموا أن جميع الأسامي منتفية عنه . وكانهم يتطلعون في الجملة لنفي الصانع فانهم لو قالوا انه معدوم لم يقبل منهم بل منعوا الناس من تسميته موجودا وهو عين النفي مع تغيير العبارة لكنهم تحذقوا فسموا هذا النفي تنزيها وسموا مناقضة تشبيها حتى تميل القلوب الى قبوله ثم قالوا : العالم قديم أي وجوده ليس مسبوقا بعدم زماني بل حدث من السابق : التالي وهو أول مبدع (٢) . وحدث من المبدع الأول النفس الكلية الفاشية جزئياتها في هذه الأبدان المركبة وتولد من حركة النفس الحرارة ومن سكونها البرودة ثم تولد منهما الرطوبة واليبوسة ثم تولدت من هذه الكيفيات الاستقصات الأربع وهي النار والهواء والماء والأرض ثم اذا امتزجت على اعتدال ناقص حدثت منها المعادن ... الخ ثم قال : ان هذا ماحكي من مذهبهم الى امور اخرى هي أفحش مما ذكرناه لم نر تسويد البياض بنقلها ولاتبيان وجه الرد عليها لأنه هذيان ظاهر البطلان . ويخلص الغزالي بعد ذلك الى أن معتقدهم هذا كفر مسترق من الثنوية والمجوس في القول بالالهين مع تبديل

---

(١) سورة القمر : ٤٩

(٢) التالي لايعتبر أول مبدع بل يقال عنه أول منبعث ويسمى المنبعث الأول وأول مبدع هو العقل ولعل الغزالي قصد أول مبدع بعد العقل الأول وذلك مايدل عليه نص عباراته بعد هذه العبارة .

عبارة (النور والظلمة) ب (السابق والتالى) الى ضلال منتزع من كلام الفلاسفة فى قولهم ان المبدأ الأول علة لوجود العقل على سبيل اللزوم عنه لاعلى سبيل القصد والاختيار وانه حصل من ذاته بغير واسطة سواه نعم ! يثبتون موجودات قديمة يلزم بعضها عن بعض ويسمونها عقولا ويحيلون وجود كل فلك على عقل من تلك العقول فى خبط لهم طويل (١).

ويقول الكوفى عنهم فى معرض الرد عليهم : ان هؤلاء القوم - اى الاسماعيلية - زعموا أن التوحيد الذى دعوا اليه من اجابهم (٢)، وعظموه عند أتباعهم ، وافتخروا بمعرفته ، وتشرفوا باجابته - أن زعموا أن الاله عندهم اثنان والمعبود الهان وأن هذين الالهين خالقان وربان للأنام وزعموا أن أحدهما أكبر قدرا من الآخر وأحق بالتعظيم وأولى بجلالة المرتبة والتكبير (٣).

ويقول الديلمى : ان مذهب الاسماعيلية الردىء قولهم بالهين هما السابق والتالى ويقولون : انهما المراد بقوله الرحمن الرحيم والعلى العظيم والقلم واللوح ، فالقلم السابق لأنه يفيد واللوح التالى لأنه يستفيد ، بل قالوا بآلهة عدة وهى العقول العشرة وان كل واحد منها يعلم ماكان وماسيكون وهذه صفة الاله . وكذلك فان عندهم أن آدم عند وفاته ارتفع وبقى فى رتبة العاشر وهو المبدىء لعالم الكون والفساد وان العاشر ارتفعت رتبته عن ذلك المقام الأول وان

---

(١) فضائح الباطنية للغزالى ص ٣٨-٤٠ .
(٢) مخطوطة الرد على الاسماعيلية والقرامطة ورقة ١٢٣ .
(٣) الضمير هنا وفى الجملتين التاليتين عائد على التوحيد فى الجملة السابقة وليس على اسم الموصول فى قوله (من اجابهم) .

الامام الذى تلاه لما توفى ارتفع الى رتبة العاشر التى نقل اليها آدم وارتفع آدم الى رتبة أرفع من تلك الرتبة ، وكلما مضت سبعة ائمة كان السابع منهم يرتفع الى مقام العاشر ويرتفع العاشر الى رتبة أرفع من تلك حتى تناهى الأمر الى على بن أبى طالب فارتفع فكان مقام العاشر وصار مدبر عالم الكون والفساد وكذلك اذا قلنا ان عليا يحيى ويميت ويغنى ويفقر كنا صادقين وان بعد على السابع اسماعيل ابن جعفر وانه ارتفع حتى صار العاشر يدبر عالم الكون والفساد وعلى هذا القياس يقولون فى الأئمة (١) .

وفى موضع آخر يتحدث الديلمى عن معتقد الاسماعيلية فى الله عز وجل وعن صفاته وأسمائه ويبين من خلال ذلك عدة وجوه تدل على ضلالهم وكفرهم وهى :

الوجه الأول : انهم ينفون الصانع فى التحقيق لاعتقادهم فى العالم انه قديم واذا كان قديما فلاصانع فى الحقيقة وقد صرح بهذا المعنى مؤلف كتاب البلاغ فى مواضع من كتابه ، ومما قال بعد ذكره ضربا من الحيل يستعملها دعاة الباطنية فى دعوتهم قال : فان ذلك مما يعينك على تسهيل التعطيل لله والقول بقدم العالم .

الوجه الثانى : قولهم فى الله تعالى بأنه لايوصف بنفى ولااثبات أى لايقال انه موجود ولامعدوم ولاقادر ولاغير قادر ولاعالم ولاغير عالم وكذلك فى باقى الصفات ومقصودهم بهذا جحد الصانع وانما تستروا بهذه العبارات عند العامة حتى لايفهم مقصودهم فانه لانفى أبلغ من القول انه ليس بشىء

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٣٤-٣٥ .

ولاموجود ولامعدوم .

الوجه الثالث : قولهم بالهين اثنين وهما السابق والتالى على غرار مذهب الثنوية ولذا فمن جملة وصاياهم قول الداعى فان وقع اليك ثنوى فبخ بخ فقد ظفرت بمن يقل معك بعده والمدخل عليه بابطال التوحيد والقول بالسابق والتالى .(١)

وينقل احد الكتاب المعاصرين خلاصة لمعتقد الاسماعيلية عن الله عز وجل وأسمائه وصفاته فيقول :

ان الاسماعيلية جردوا الله تعالى من كل صفة ونفوا عنه جميع الأسماء بحجة التنزيه !! ومما قالوا تبريرا لتعطيلهم ان نفى المعرفة هو حقيقة المعرفة وسلب الصفة هو نهاية الصفة فأسماء الله الحسنى التى نسبها الله تعالى لنفسه فى القرآن الكريم لاتقال لله تعالى بل جعلوها للعقل الكلى الذى تحدث عنه الفلاسفة ووصفوا العقل الكلى بكل صفات الكمال على نحو ماذكره الفلاسفة الأقدمون تماما وصبغوا هذه الآراء والأقاويل القديمة بالصبغة الاسلامية فنسبوا أسماء الله الحسنى الى العقل الكلى وأطلقوا على هذا العقل اسم المبدع الأول وقالوا انه هو الذى رمز الله اليه بقوله {ن والقلم ومايسطرون}(٢) وعلى هذا فالقلم أو المبدع الأول أو العقل الكلى هو الخالق المصور الواحد القهار الجبار العزيز المذل العلى القدير ... الخ الصفات . وانه هو الذى ابدع النفس الكلية أو المبدع الثانى الذى رمز اليه فى

---

(١) المرجع السابق ص ٧٢-٧٣ .
(٢) سورة القلم : ١

القرآن الكريم بقوله تعالى : {في لوح محفوظ}(١) وجعلوا للنفس الكلية جميع الصفات التي للعقل الكلي الا أن العقل الكلي كان أسبق في الوجود والى توحيد الله وتنزيهه فبذلك كان العقل الكلي أسبق من النفس الكلية وأفضل فسمي بالسابق وسميت النفس الكلية بالتالي ، وبواسطة العقل الكلي والنفس الكلية وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية بل كل مانشاهده في هذه الدنيا من جماد ونبات وحيوان وانسان ومافي السموات من نجوم وكواكب فالخالق لها عند الاسماعيلية هو العقل الكلي والنفس الكلية ، وبمعنى آخر ان مايقوله المسلمون عن الله سبحانه وتعالى خلعه الاسماعيلية على العقل الكلي فهو الاله عند الاسماعيلية ، واذا ذكر الله عند الاسماعيلية فالمقصود هو العقل الكلي .(٢)

ان هذه النصوص المتعددة من علماء الفرق والمقالات - الى جانب مانقلناه من نصوصهم وماذكرناه عن معتقدهم في الله - تتفق جميعا على أن مذهب الاسماعيلية ومعتقدهم في الله عز وجل قائم على عدة ضلالات بل كفريات وهي :

(١) الاشراك بالله عز وجل وان لهذا الكون آلهة متعددة .

(٢) تعطيل الله عز وجل وذلك بنفي أسمائه وصفاته عنه جملة وتفصيلا .

(٣) تاليه الكواكب والموجودات العلوية ونسبة جميع الأعمال الالهية اليها وهذا واضح في معتقدهم وقولهم بالعقول العشرة المدبرة .

---

(١) سورة البروج : الآية الأخيرة .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٥٧-١٥٨ .

وبالتأمل فى هذه الضلالات الثلاث نجد انها أيضا مما دلت عليه مصادرهم كما سبق وأن ذكرنا ذلك فتكون هذه مما أجمعت عليها المصادر سواء مصادر أهل السنة أو مصادر الشيعة الاسماعيلية وان كانوا يزعمون انها من باب التوحيد والتنزيه !! والذى يهمنا فى هذا المقام هو اقرارهم واعترافهم الصريح فيها مع صرف النظر عن هدفهم وقصدهم وذلك بتأويلها وقلبها فى صورة الحق . ومن الجدير بالذكر ان جميع انحرافاتهم وضلالاتهم - على كثرتها فى هذا الباب - تؤول الى هذه الضلالات الثلاث ولذا سنقتصر فى الرد والابطال عليها .

(و) نقد وابطال معتقد الاسماعيلية عن الله سبحانه وتعالى:

يزعم الاسماعيلية ايمانهم بالله عز وجل واقرارهم بوجوده ولايجدون غضاضة فى رفع هذه الدعوى فى وجوه خصومهم وربما استدل أحدهم أو ممن ينافح ويدافع عنهم من الجهلة أو ذوى الأهواء بان كتبهم مبدوءة بالحمدلة أو البسملة كما أن لفظ الجلالة (الله) يتكرر كثيرا فى كتبهم ومصادرهم . فهل ذلك دليل على اعتقادهم بالله واثبات وجوده ووصفه بأنه موجود فضلا عن الاعتقاد بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ؟

وللاجابة على هذا السؤال أقول : ان مايوجد فى كتبهم الفلسفية والباطنية من اطلاق لفظ على الله أو اقرار باسم من أسمائه وصفة من صفاته كل ذلك ليس على ظاهره لأنهم النفاة على الحقيقة معطلة الذات ومايرد - مخالفا لهذه

القاعدة ـ فهو مبنى على الأصل الثانى من أصولهم[(١)] ، فباطن هذه الكلمة (الله) أو الرحمن أو الرحيم لايدل بالضرورة عندهم على الرب الخالق الرازق المعبود حيث اذا أطلق شىء من ذلك فالمراد منه ما اخترعوه وسموه بالعقل الأول وهذه نصوصهم على تلك الحقيقة . يقول فيلسوفهم الكرمانى : انا سم الالهية لايقع الا على المبدع (بفتح الدال) الأول وان ذلك اشتق له من الوله الذى هو التحير فى ادراك مبدعه ، ومن الهانية التى هى الاشتياق الى الادراك . والعجز يمنعه عن ذلك لجلالة مبدعه تعالى أن يدرك[(٢)] .

وفى موضع آخر يقول عن العقل الأول : انه الاسم الأعظم والمسمى الأعظم وان لفظ (الله) من أعظم الأسماء التى تقع على المبدع الذى هو الموجود الأول فبذلك استحق اطلاق لفظ الله عليه[(٣)] !!!

ويقول داع باطنى آخر عن العقل الأول : وترادفت عليه ـ اى على العقل الأول ـ الأسماء المذكورة فى القرآن وهو أيضا يستحق اسم الله وذلك لوله العقول فيه وولهه فى مبدعه فبذلك قيل "شهد الله انه لااله الا هو"[(٤)] .

وهناك نصوص أخرى تدل على هذه الحقيقة المؤلمة والتى تصل الى انكار اسم الله وعدم اطلاقه عليه ، وهذا مسلك

---

(١) وهو التأويل الباطنى حيث ان مايرد عندهم مما يظهر منه الاثبات فله تأويل وباطن غير مايظهر ، وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل عند الحديث عن الأصل الثانى ، انظر القسم الثانى من الرسالة ص ٥٨٩-٦٢١ .

(٢) أربعة كتب اسماعيلية جمع شتروطمان ص ٨٠ .

(٣) انظر راحة العقل للكرمانى ص ١٩٥-١٩٦ .

(٤) رسالة زهر بذر الحقائق للحامدى ضمن منتخبات اسماعيلية جمع عادل العوا ص ١٦٢ .

باطنى يصل الى الانكار أو يؤول اليه .

وبالمقابل نجد انهم اذا أرادوا التعبير عن الذات الالهية أطلقوا هذه العبارة عليه وهى قولهم (من لاتتجاسر نحوه الخواطر)(١) لأن الذات الالهية - بزعمهم - لاتسم ولاكنى فحروف المعجم غير قادرة على التعبير عنه وهى محدثة لاتقع الا على محدث مثلها .

وايغالا فى الالحاد والتعطيل ومجاهرة بدرجة أكثر من الاسماعيلية القدامى نجد أن الاسماعيلية المتأخرين المستعلية وبالتحديد المكارمة يصرحون بأن لفظ الله يطلق على على بن أبى طالب وأبيه وهذه ألفاظهم :

يقول على بن سليمان المكرمى فى كتابه المخطوط (حياة الأحرار) ان قوله تعالى {الله لااله الا هو رب العرش العظيم}(٢) يعنى الامام على على ذكره السلام الذى ولهت فيه العقول وتبلبل فى حقيقة أمره السائل والمسئول هو الرب الراب للدعوة العظيمة والمقامات الفخيمة وأن أبو طالب العظيم هو مربى محمد الكريم بل هو مقيم أمير المؤمنين فهو مقام العرش العظيم فهو رب العرش العظيم والنبأ العظيم(٣) .

---

(١) انظر أربعة كتب اسماعيلية فى مواضع متعددة من الكتاب الذى يشتمل على الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية كما زعموا . انظر الصفحات الآتية ٣٥،٣٧،٣٩، ٤٠،٤٧ وغيرها من الصفحات ، ومما جاء فى ص ٤٧ قول الكرمانى : ليس فوق العقل شىء البته غير من لاتجاسر نحوه الخواطر . وانظر كتاب كنز الولد للحامدى ص ١ وكذلك رسالة المبدأ والمعاد لابن الوليد ص ١٠١ ، وغيرها من مصادر الاسماعيلية .

(٢) سورة النمل : ٢٦

(٣) مخطوطة حياة الأحرار لعلى المكرمى ورقة ١٣ .

ان هذه النصوص الاسماعيلية ترد على زعمهم الايمان بالله عز وجل وتؤكد بأنهم خلو من هذه العقيدة الضرورية لكل مسلم ومسلمة ، وتظل القاعدة الأساسية لديهم فى هذا الباب هى : السلب المحض لله عز وجل والنفى القاطع عن اطلاق أى لفظ أو عبارة على البارى عز وجل مستخدمين بديلا لأسماء الله وصفاته واطلاقها عليه مصطلحات وعبارات هائمة ابتدعوها وروجوها وهى عند التحقيق جوفاء لاتدل على شىء معين (١) .

وجميع ماذكروه فى هذا الباب حصيلته ونهايته كما قال ابن تيمية : لايصلح لافادة ظن ولايقين وانما هو كلام طويل بعبارات طويلة وتقسيمات متنوعة يهابه من لم يفهمه وعامة من وافق عليه تقليدا لمن قاله قبله لاعن تحقيق عقلى قام فى نفسه (٢) .

والآن وبعد دحض هذه الدعوى وردها ننتقل الى ضلالة الاسماعيلية الأولى وبيان كفرهم الصريح من خلالها .

<u>الضلالة الأولى</u> : اشراكهم بالله عز وجل الشرك الأكبر وذلك باعتقادهم آلهة متعددة لها من التاثير والتدبير فى الكون ماثبت لله وحده وهم وان لم ينطقوا بذلك صراحا ويظهروا به أمام الخلق الا ان فلسفتهم وفكرهم يؤول الى هذا الاعتقاد المخرج من الملة الاسلامية بل من الملل السماوية كلها . ولذا اتفق نقلة المقالات - كما قال العلوى - عنهم من غير تردد على أنهم يعتقدون بالهين قديمين لأول

---

(١) ومن ذلك وعلى سبيل المثال الهوية المحضة عند السجستانى أو الايس والليس عند الكرمانى أو من لاتتجاسر نحوه الخواطر عند الحامدى وابن الوليد .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٤٥٤/٣ .

لوجودهما من حيث الزمان الا ان أحدهما علة لوجود الثانى واسم العلة السابق واسم المعلول التالى وأن السابق خلق العالم بواسطة التالى .(١)

ان هذا المعتقد لدى الاسماعيلية لم يكن جديدا أو مبتكرا من عندهم بل هو من الركام المتناثر الذى كان منتشرا قبل الاسلام لدى الأمم المختلفة مابين فلسفات اليونان ومعتقدات المجوس وتحريفات اليهود والنصارى ، حيث لفق الاسماعيلية من هؤلاء وأولئك تصوراتهم المنحرفة والمحرفة وسرقوا هذه التصورات والأفكار وأضافوا اليها ماهو أشد كفرا والحادا واعتبروها - مع ذلك - عقيدة ومنطلقا لهم ولذا يقارن أحد المؤلفين الذين ردوا عليهم وكشفوا باطنهم يقارن بينهم وبين مذهب المجوس ويقول انه - أى مذهب الاسماعيلية - يضاهى مذهب المجوس من عدة وجوه :

الوجه الأول : أن الباطنية قالوا بالاثنينية كما قالت المجوس وعبروا عنها بالسابق والتالى كما عبر المجوس عن الاثنين بيزدان ، واهرمن .

الوجه الثاني : أن الباطنية قالوا بقدم السابق وحدوث التالى كما قال المجوس بقدم يزدان وحدوث اهرمن .

الوجه الثالث : ان الباطنية أضافوا النقص الى التالى كالمجوس أضافوا النقائص كلها الى اهرمن .

الوجه الرابع : أن من مقولات الباطنية الاعتقاد بأن التالى معلول عن السابق ومتولد عنه كالمجوس فانهم قالوا ان اهرمن حصل عن يزدان وتولد من فكرته .

---

(١) الافحام لأفئدة الباطنية الطغام ص ٣٨ .

الوجه الخامس : أن المجوس قالوا ان حدوث هذه التراكيب عن يزدان والباطنية قالوا ان حمولها عن السابق بوسائط ومن هنا يعلم مشابهة معتقد الاسماعيلية لمذهب المجوس بل يقول المؤلف : ان الباطنية أسوأ حالا منهم لأمرين :

الأمر الأول : أن المجوس لما أثبتوا يزدان الها واعتقدوا الهيته وصفوه بصفات الكمال من القدرة والعلم والحياة ، بينما الباطنية الاسماعيلية سلبوا عن الههم جميع صفات الكمال .

الأمر الثاني : ان الباطنية لم يقنعوا بسلب الصفات الالهية عنه بل ضموا اليه جهالة أخرى فقالوا عنه : انه قادر ولاقادر وعالم ولاعالم وموجود ولاموجود فخرجوا به عن جميع القضايا العقلية كما اعتقدوا خروجه عن حكم السلب والايجاب معا وهذا فيه من فحش المقال والجهالة ماغطى على معتقد المجوس (١) .

والاعتقاد بتعدد الآلهة فضلا عن كونه اعتقادا باطلا فى ذاته فانه يعتبر أمرا خطيرا له أثر كبير فى الضمير البشرى وفى الحياة الانسانية كلها ولذا عنى الاسلام عناية كبرى بتحرير أمر العقيدة الصحيحة خالية من جميع الشوائب والمؤثرات . وحدد الصورة الصحيحة التى لابد أن يستقر عليها الضمير البشرى فى حقيقة الألوهية وعلاقتها بالخلق وعلاقة الخلق بها فتستقر عليها نظمهم وأوضاعهم وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وآدابهم وأخلاقهم كذلك ،

---

(١) المرجع السابق ص ٤٤-٤٥ .

مما يمكن ان تستقر هذه الأمور كلها الا ان تستقر حقيقة الالوهية . والى جانب تحديد الصورة الصحيحة لعقيدة الألوهية لم يغفل الاسلام الرد على جميع الانحرافات والأخطاء التى وقعت فيها الديانات المحرفة والفلسفات الخابطة فى الظلام - سواء ماكان منها قبل الاسلام وماجد بعده كذلك - حول عقيدة الألوهية (١) .

وبعد هذا العرض نصل الى أن النصوص الشرعية بأجمعها بينت ضلال من يعتقد بتعدد الآلهة وسلكت فى ذلك مسلكين :

<u>الأول</u> : عرض الصورة الصحيحة لعقيدة الألوهية وهذا كثيرا ماورد فى الآيات القرآنية على ألسنة الرسل وذلك بالدعوة الى التوحيد وافراد الله عز وجل بالعبادة ، قال تعالى : {لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم} (٢) .

وكذلك يتكرر الأمر بتوحيد الله فى قصة كل رسول ومن الآيات الصريحة فى هذا الباب قول الله عز وجل مخاطبا نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام بقوله : {واذ قال الله ياعيسى ابن مريم أءنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولاأعلم مافى نفسك انك أنت علام الغيوب ماقلت لهم الاماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم} (٣) .

---

(١) انظر خصائص التصور الاسلامى لسيد قطب ص ٤٤ .
(٢) سورة الأعراف : ٥٩
(٣) سورة المائدة : ١١٦-١١٧

وكذلك قول الله عز وجل مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : {وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون} (١) .

وكذلك قوله تعالى : {والهكم اله واحد لااله الا هو الرحمن الرحيم} (٢) ، وقوله تعالى : {إن الهكم لواحد رب السموات والأرض ومابينهما ورب المشارق} (٣) .

المسلك الثاني : الرد على جميع الانحرافات والتصورات الضالة فى حقيقة الألوهية وهذا النوع كثير فى القرآن ، وماذاك الا لأن هذه التصورات منطلق للكفر والضلال ، قال تعالى فى سورة الاخلاص : {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد} .

ومن أبلغ الأدلة فى الرد على معتقد الاسماعيلية القائلين بالهين اثنين قول الله عز وجل : {ماتخذ الله من ولد وماكان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون} (٤) . وقول الله عز وجل {وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد واياى فارهبون} (٥) . وقال تعالى : {الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئا وهم يخلقون ولايملكون لأنفسهم ضرا ولانفعا ولايملكون موتا ولاحياة ولانشورا} (٦) . وقال تعالى : {ولاتجعل مع الله الها آخر فتلقى

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٥
(٢) سورة البقرة : ١٦٣
(٣) سورة الصافات : ٤-٥
(٤) سورة المؤمنون : ٩١
(٥) سورة النحل : ٥١
(٦) سورة الفرقان : ٢-٣

في جهنم ملوما مدحورا ..} الى قوله تعالى : {قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا} (١) . وقال تعالى : {أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لاأشهد ، قل انما هو اله واحد واننى برىء مما تشركون} (٢) .

والآيات التى تدل على بطلان هذا المعتقد كثيرة جدا ومع ذلك ذكر بعض أهل السنة ادلة عقلية تناقش هذا الانحراف وأمثاله وتبين أن هذا الزعم ساقط من تلقاء نفسه كما تبين بوضوح استحالة وجود الهين اثنين تصورا وواقعا ، ومن هذه الادلة ماذكره شارح الطحاوية وسماه دليل التمانع يقول فيه ان الاله الحق لابد أن يكون خالقا فاعلا يوصل الى عابده النفع ويدفع عنه الضر ، فلو كان معه سبحانه اله آخر يشاركه فى ملكه لكان له خلق وفعل وحينئذ فلايرضى تلك الشركة بل ان قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والالهية دونه فعل وان لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه اذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه ، فلابد من احد ثلاثة أمور : اما أن يذهب كل اله بخلقه وسلطانه . واما أن يعلو بعضهم على بعض . واما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولايتصرفون فيه بل يكون وحده هو الاله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه .

وانتظام أمر العالم كله واحكام أمره كله من ادل دليل

---

(١) سورة الاسراء : ٣٩-٤٣
(٢) سورة الأنعام : ١٩

على ان مدبره اله واحد وملك واحد ورب واحد لااله للخلق غيره ولارب لهم سواه كما قد دل دليل التمانع على أن خالق العالم واحد (١) ، لارب غيره ولااله سواه فذلك تمانع فى الفعل والايجاد وهذا تمانع فى العبادة والالهية ، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان كذلك يستحيل أن يكون له الهان معبودان ، فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته مستقر فى الفطرة معلوم بصريح العقل بطلانه فكذا تبطل الهية اثنين ، فالآية الكريمة وهى قوله تعالى : {ماتخذ الله من ولد وماكان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض} موافقة لما ثبت واستقر فى الفطر من توحيد الربوبية دالة مثبتة مستلزمة لتوحيد الالوهية (٢) .

ويتعجب ان حزم كثيرا ممن يعتقد بالهين أو اكثر ويقول ولولا أن الله تعالى وصف قولهم فى كتابه - اذ يقول : {لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم} واذ يقول تعالى حاكيا عنهم : {لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة} واذ يقول تعالى : {أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله} (٣) - لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا

---

(١) هناك أيضا مايسمى عند أهل النظر بدليل التمانع وذلك لاثبات ربوبية الله وهو : أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه أو يريد أحدهما احياءه والآخر اماتته فاما أن يحصل مرادهما أو مراد أحدهما أو لايحصل مراد أحدهما . والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين الضدين والثالث ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون وهو ممتنع ويستلزم أيضا عجز كل منهما والعاجز لايكون الها واذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الاله القادر والآخر عاجز لايصلح للالهية . شرح الطحاوية لأبى العز الحنفى ص ٢١، ٢٢ .

(٢) شرح الطحاوية لأبى العز الحنفى ص ٢٦، ٢٧ .

(٣) الآيات الثلاث من سورة المائدة : ١٧، ٧٣، ١١٦

القول العظيم الشنيع السمج السخيف وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ماصدقنا أن فى العالم عقلا يسع هذا الجنون ونعوذ بالله من الخذلان .(١)

ويناقش ابن تيمية هذا المبدأ نقاشا عقليا بقوله : ان صدور العالم عن فاعلين ممتنع سواء كانا مشتركين فى جميعه أو كان هذا فاعلا لبعضه وهذا فاعلا لبعضه . فانه لم يثبت احد من العقلاء أن العالم صدر عن اثنين متكافئين فى الصفات والأفعال . ولاقال أحد من العقلاء : ان أصول العالم القديمة صدرت عن واحد وحوادثه صدرت عن آخر . فان العالم لايخلو من الحوادث وفعل الملزوم بدون لازمه ممتنع ولو كان الفاعل للوازمه غيره لزم أن لايتم فعل واحد منهما الا بالآخر ولايعتبر قادرا الا بالآخر ولايصير فاعلا الا بالآخر فلايصير هذا قادرا حتى يجعله الآخر قادرا فيمتنع والحال هذه أن يصير واحد منهما قادرا .(٢)

ويقول أحد الكتاب معلقا على هذا الرد من ابن تيمية : انه ليس هناك أبدع من هذا الرد على تعدد الفاعل عند المشائين والزامهم بالتناقض فى هذا حيث يلزم منه حدوث العالم كله بلاسبب حادث .(٣)

ومن الجدير بالذكر أن الاسماعيلية بفلسفتهم عن الله عز وجل لاسند لهم فيها من دين أو عقل ولايملكون أدنى حجة فضلا عن دليل يعتد به وغاية مايستندون اليه ويتعلقون به كبديل للأدلة الشرعية الصحيحة الصافية غثاء الفلاسفة

---

(١) الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ٤٩/١ .
(٢) منهاج السنة لابن تيمية ٢٣٤/١ .
(٣) كتاب الله والعالم والانسان لمحمد جلال ص ١٢٨ .

وسفسطاتهم . والفلاسفة ـ كما يقول ابن تيمية عنهم ـ ليس لهم مذهب معين ينصرونه ولاقول يتفقون عليه فى الالهيات والمعاد والنبوات والشرائع وانما عامة علمهم فى الطبيعيات فهناك يسرحون ويتبجحون وبه عظم من عظم أرسطو واتبعوه كثرة كلامه فى الطبيعيات وصوابه فى أكثر من ذلك . فأما الالهيات فهو وأتباعه من أبعد الناس عن معرفتها ، بل ان اليهود والنصارى خير منه فى الالهيات والنبوات والمعاد (١) .

اذا فتعدد الآلهة ـ كما يقول الغزالى ـ خرافة نبذها الاسلام بقوة وحمل عليها بالحاح وتتبع أوهام الناس فيها وهما وهما ليكشف ظلمته ويدحض شبهته (٢) .

ويحسن والحالة هذه أن أضيف ـ كرد من جانب آخر ـ الى ماسبق بعض الآثار المترتبة على التصور الاسلامى الصحيح لعقيدة الالوهية بعيدا عن الانحرافات والأساطير سواء كانت اغريقية أو باطنية ، وعن ذلك يقول سيد قطب رحمه الله : ان هذا التصور ينشأ فى العقل والقلب آثارا متفردة لاينشأها تصور آخر ، كما انه ينشأ فى الحياة الانسانية مثل هذه الآثار كذلك .

انه ينشأ فى القلب والعقل حالة من الانضباط لاتتأرجح معها الصور ولاتهتز معها القيم ولايتميع فيها التصور والسلوك فالذى يتصور الألوهية على هذا النحو ويدرك حدود العبودية كذلك يتحدد اتجاهه كما يتحدد سلوكه ويعرف على وجه الضبط والدقة من هو ؟ وماغاية وجوده ؟ وماحدود سلطانه ؟ كما

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ٢٥٣/١-٢٥٤،٢٥٧ .
(٢) كتاب هذا ديننا لمحمد الغزالى ص ١٣ .

يدرك حقيقة كل شيء في هذا الكون وحقيقة القوة الفاعلة فيه ومن ثم يتصور الأشياء ويتعامل معها في حدود مضبوطة لاتميع فيها ولاتأرجح وانضباط التصور ينشئ انضباطا في طبيعة العقل وموازينه وانضباطا في طبيعة القلب وقيمه والتعامل مع سنن الله بعد ذلك والتلقي عنها يزيد هذا الانضباط ويحكمه ويقويه .

ندرك هذا حين نوازن بين المسلم الذى يتعامل مع ربه الواحد الخالق الرازق القادر القاهر المدبر المتصرف ، وبين غيره من أصحاب التصورات التى أشرنا اليها سواء من يتعامل مع الهين متضادين اله للخير واله للشر ومن يتعامل مع اله موجود ولكنه حال فى العالم ومن يتعامل مع اله لايعنيه من أمر الكون شيء ومن يتعامل مع اله المادة الذى لايسمع ولايبصر ولايثبت على حال الى آخر الركام الذى لايستقر العقل أو القلب منه على قرار .(١)

الضلالة الثانية : اعتقاد الاسماعيلية بالسلب المحض لله عز وجل ومنهجهم فى ذلك نفى الأسماء والصفات عن الله عز وجل جملة وتفصيلا وتصوير الله عز وجل بصورة خيالية لاحقيقة لها ولاوجود ويصبح الاله عندهم الها سلبيا لايمكن وصفه بشيء حتى لفظ الوجود وذلك الموقف من الاسماعيلية شبيه بموقف جان اسكوت اريجين (المتوفى حوالى سنة ٨٧٧م) حيث أثبت لاهوتا سلبيا ومن المسائل التى ذكرها عن لاهوته السلبى قوله : هل يمكن وصف الله بالوجود ؟ وأجاب اننا لانستطيع أن نقول عن الله انه موجود وانما يمكن أن نقول انه فوق الوجود .(٢)

---

(١) خصائص التصور الاسلامى لسيد قطب ص ٢٢٨، ٢٢٩ .
(٢) انظر مذاهب الاسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوى ٢/٢٢٣، ٢٢٤ .

وأصل هذا الاعتقاد عند الاسماعيلية وسائر فرق النفاه للأسماء والصفات ـ كما يقول ابن تيمية ـ مأخوذ من المشركين والصابئين من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة ثبوتية أصلا وهؤلاء أعداء ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهم يعبدون الكواكب (١).

وقبل رد هذه الضلالة عند الاسماعيليين وبيان ماتحمله من تصورات خاطئة قبل ذلك لابد من بيان المنهج السليم لتلقى أسماء الله وصفاته والاعتقاد بها عند أهل السنة والجماعة فهم يتلقون هذه المعتقدات من منابعها ومصادرها الأصلية (الكتاب والسنة) مع البعد عن كل مايتعارض معهما سواء كان فلسفة أو ذوقا أو اجتهادا عقليا وعن ذلك كله يقول سيد قطب رحمه الله : والتصور الاسلامى الصحيح لايلتمس عند ابن سينا أو ابن رشد أو الفارابى وأمثالهم ممن يطلق عليهم وصف (فلاسفة الاسلام) ففلسفة هؤلاء انما هى ظلال للفلسفة الاغريقية غريبة فى روحها عن روح الاسلام وللاسلام تصوره الأصيل الكامل يلتمس فى أصوله الصحيحة . القرآن والحديث وفى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه العملية وهذه الأصول هى حسب أى باحث متعمق ليدرك التصور الاسلامى الكلى الذى يصدر عنه فى كل تعاليمه وتشريعاته ومعاملاته (٢).

أما الفرق الباطنية بما فيها فرقة الاسماعيلية فأصولهم ـ التى يستقون منها أمثال هذه المعتقدات ـ لاتخرج عن غثاء الفلاسفة وأساطير اليونان ، وعن ذلك يقول أحد

---

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/٩ .
(٢) العدالة الاجتماعية فى الاسلام ص ٢٠، ٢١ .

كتابهم المعاصرين متبجحا بهذه المصادر وأنها عمدتهم يقول ان الفلسفة هى الوسيلة لتقييم العقيدة فى نظر الاسماعيليين وهى الطريق الى تكشف جوهر الخالق والدين (١) .

وما دام أن مصادرهم التى يبنون عليها معتقداتهم غريبة بعيدة عن مصادر المسلمين بل مخالفة لها ومناقضة لما ثبت فيها من أدلة فان نسبتهم - والحالة هذه الى الاسلام لاتعدوا كونهم وجدوا فى بيئة اسلامية ويحملون أسماء اسلامية مع مايضاف الى ذلك من انهم - تمويها - استعملوا بعض الألفاظ القرآنية والأحاديث النبوية صحيحة كانت أو مكذوبة للوصول الى غاياتهم وتأويلاتهم الباطنية التى لاحدود لها ولاقيود .

والواقع أن منهج الاسماعيلية فى التلقى ومصادرهم التى بنوا عليها معتقداتهم - الواقع أن ذلك كاف فى بطلان جميع أصولهم ومعتقداتهم وضلالاتهم فهم أخذوا العلوم الشرعية - ان جاز اطلاق ذلك - على غير وجهها وتلقوها من غير أهلها مع ماعندهم من الجهل وقصور الفهم . يقول ابن تيمية عن هؤلاء وأمثالهم : اعلم أن الضلال والتهول انما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم واعراضهم عما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله باقراره وبشهادة الأمة على ذلك (٢) .

---

(١) مقدمة كتاب الينابيع لمصطفى غالب ص ١٢ ، وسبق أن بينا هذه المسألة بالتفصيل فى القسم الثانى من البحث ص ٥٠٢ فما بعد .

(٢) الفتوى الحموية لابن تيمية ص ٩٢ .

ومن الملاحظ أن نفاة الصفات عن الله عز وجل ترجع أصولهم الى ديانات متعددة ومبادىء غريبة على أفكار المسلمين ، فالجهمية التى تعتبر أصلا لنفاة الصفات أو مؤولوها انما ترجع أصولها الى زعيمها ومؤسس بدعتها جهم ابن صفوان الذى أجمعت أصناف الأمة على تكفيره (١) .

وكانت كل آرائه الغريبة عن الحس الاسلامى انما وفدت اليه من عناصر فلسفية اغريقية وبوذية فى مدن كانت هذه الآراء والديانات منتشرة فيها وذلك كالكوفة وترمذ وحران ومما يؤكد ذلك ماذكره الامام احمد بن حنبل عن تاريخ الجهم ابن صفوان وبدايته بقوله : فكان مما بلغنا من أمر الجهم - عدو الله - أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ وكان صاحب خصومات وكلام وكان أكثر كلامه فى الله تعالى فلقى اناسا من المشركين يقال لهم السمنية (٢) ، فعرفوا الجهم وأخذوا يناظرونه حتى شككوه فى الله عز وجل ودخل الشك والحيرة فى قلبه وبقى متحيرا لايدرى من يعبد أربعين يوما حتى خرج ببدعته وتؤول القرآن على غير تؤويله وكذب بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وزعم أن من وصف الله بشىء مما وصف به نفسه فى كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافرا (٣) .

والى جانب ذلك تذكر المصادر أن شيخ الجهم وأستاذه

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٠٠ .

(٢) سموا بهذا الاسم نسبة الى بلدة بالهند يسكنون فيها وتسمى "سمنات" وديانتهم البوذية ومن أظهر آرائهم القول بالتناسخ وجحد العلوم كلها سوى الأمور المحسوسة ومن أصولهم عدم الايمان بالغيبيات والأمور التى لايقع عليها الحس .

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل ص ٦٥،٦٦ ، كتاب عقائد السلف جمع الدكتور على سامى النشار .

- الجعد بن درهم - أخذ آراءه وبدعه كالقول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته أخذ ذلك عن أبان بن سمعان عن طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودى الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم مع مايضاف الى أن الجعد عاش فى وسط الصابئة والفلاسفة من أهل حران .(١)

فالاعتقاد بنفى الأسماء والصفات عن الله عز وجل - فى منبعه وأصوله - سواء كان أصحابه الاسماعيلية أو الجهمية أو سائر النفاة يعتبر اعتقاد وافد وغريب عن المنهج والمجتمع الاسلامى ، وهو بالطبع يتعارض مع الاسلام ويصطدم بنصوصه ومع ذلك لابد أولا - وكما أشرنا سابقا - من بيان الحق فى هذه المسألة .

وثانيا رد ونقد ضلال الاسماعيلية والحادهم فى أسماء الله عز وجل وصفاته فأما الأول فالأصل فى هذا الباب : أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفيا واثباتا فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفى عنه مانفاه عن نفسه وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها : اثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولاتمثيل ومن غير تحريف ولاتعطيل وكذلك ينفون عنه مانفاه عن نفسه مع اثبات ما أثبته من الصفات من غير الحاد لافى أسمائه ولافى آياته فان الله تعالى ذم الذين يلحدون فى أسمائه وآياته كما قال تعالى : {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون}(٢) ، وقال تعالى : {ان الذين

---

(١) الفتوى الحموية لابن تيمية ص ٩٨ .
(٢) سورة الأعراف : ١٨٠

يلحدون فى آياتنا لايخفون علينا أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ماشئتم} (١) .

فطريقتهم تتضمن اثبات الأسماء والصفات مع نفى مماثلة المخلوقات اثباتا بلاتشبيه وتنزيها بلاتعطيل كما قال تعالى {ليس كمثله شىء وهو السميع البصير} (٢) ، ففى قوله تعالى {ليس كمثله شىء} رد للتشبيه والتمثيل وفى قوله وهو السميع البصير رد للالحاد والتعطيل (٣) .

ومن ميزات مذهب السلف فى أسماء الله وصفاته أنهم وسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل . فلايمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لايمثلون ذاته بذات خلقه ولاينفون عنه ماوصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا فى أسماء الله وآياته (٤) .

ويقول ابن تيمية أيضا : ان سبيل المؤمنين فى الاعتقاد الايمان بصفات الله تعالى وأسمائه التى وصف بها نفسه وسمى بها نفسه فى كتابه وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولانقص منها ولاتجاوز لها ولاتفسير لها ولاتأويل بما يخالف ظاهرها ولاتشبيه لها بصفات المخلوقين ولاسمات المحدثين بل تمر كما جاءت ويرد علمها الى قائلها ومعناها الى المتكلم بها ويروى عن الشافعى : آمنت بما جاء عن الله وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) .

---

(١) سورة فصلت : ٤٠

(٢) سورة الشورى : ١١

(٣) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ٦ .

(٤) الفتوى الحموية الكبرى ص ١٠٢ .

(٥) الفتاوى لابن تيمية ٢/٤ .

كما يقول ابن القيم رحمه الله : ان الله هدى سلف الأمة للسبيل السوى والطريقة المثلى فأثبتوا حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنها مماثلة المخلوقات فكان مذهبهم مذهبا بين مذهبين وهدى بين ضلالتين يثبتون له الأسماء الحسنى والصفات العليا بحقائقها ولايكيفون شيئا منها ، فان الله تعالى اثبتها لنفسه وان كان لاسبيل لنا الى معرفة كنهها وكيفيتها فان الله تعالى لم يكلف عباده فوق طاقتهم وهذه أرواحهم التى هى أدنى اليهم من كل دان قد حجب عنهم معرفة كنهها وكيفيتها وقد أخبرنا سبحانه عن تفاصيل يوم القيامة ومافى الجنة والنار فقامت حقائق ذلك فى قلوب أهل الايمان وشاهدته عقولهم ولم يعرفوا كنهه وهكذا الأسماء والصفات لم يمنعهم انتفاء نظيرها ومثالها من فهم حقائقها ومعانيها بل قام بقلوبهم معرفة حقائقها وانتفاء التمثيل والتشبيه عنها .

وبمقابل هذا المنهج الأصيل الجامع بين العقل والنقل يعرض لنا ابن تيمية منهجا مستوردا متناقضا وهو منهج النفاة ، يقول عنه وعن أصحابه : وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب ومن دخل فى هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة والجهمية والقرامطة الباطنية ونحوهم فانهم على ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولايثبتون الا وجودا مطلقا لاحقيقة له عند التحصيل وانما يرجع الى وجود فى الأذهان يمتنع تحققه فى الأعيان ، فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل فانهم

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ١/٨٣-٨٤ .

يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفي الذات[(١)].

وفساد معتقد الاسماعيلية في أسماء الله وصفاته وتناقضهم معلوم بصحيح المنقول وصريح المعقول ويتضح ذلك من خلال الأمور الآتية :

الأمر الأول : انهم قدموا دعاوى مجردة من الأدلة واذا استدلوا فاما بأدلة مكذوبة موضوعة ولاسيما الأحاديث أو مؤولة تأويلا باطنيا يخرجها عن المدلول الصريح لألفاظها ، وبجانب ذلك تطاولوا بعقولهم الصغيرة المحدودة في بحوث لاقبل للعقل بها ولاطاقة له عليها وعن ذلك يقول الغزالي : ان العقل قد يملك البحث في كومة تراب أو قطعة سحاب ولكن أنى للمرء بحث روحه التي بين جنبيه . فان كان عن ذلك عاجزا فهو عن البحث في الذات العظمى أعجز .

ويقول أيضا : ان العقل النظيف منته حتما الى أن الله حق وأنه متصف بكل كمال ومستحق لكل خضوع لكن الحديث عن الله وصفاته مرجعه الى الله وحده . ومعنى هذا في جلاء أن نشاط التفكير الانساني فيما وراء المادة باطل وكذلك نشاطه في اختراع مراسم وصور لطاعة الله عز وجل وحري بالعقل أن ينشط حيث امتداد سعيه منتج وأن يقنع بعد بتلقي ماتولت السماء تعليمه[(٢)].

---

(١) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ٩ .
(٢) دفاع عن العقيدة والشريعة للشيخ محمد الغزالي ص ١٢١-١٢٥ ولفظ السماء تعبير مجازي والأولى أن يعبر بلفظ الجلالة فيقول (ماتولى الله تعليمه) .

الأمر الثاني : أن الاسماعيلية وسائر الفرق الباطنية جحدوا ماورد في القرآن والسنة من ذكر صفات الله وأسمائه الحسنى وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه وتكلم الله وتكليمه للرسل واثبات الوجه واليدين والسمع والبصر والحياة والمحبة والغضب والرضا ... الخ الأسماء والصفات الثابتة لله عز وجل عن طريق الكتاب والسنة ولو ذهبنا نستعرض الآيات والأحاديث الواردة الدالة على اثبات أسماء الله وصفاته التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله لطال بنا الحديث وحسبنا أن نذكر بعضا من ذلك :

قال تعالى : {الله لااله الا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولانوم له مافى السموات ومافى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولايؤده حفظهما وهو العلى العظيم} (١) .

وقال تعالى : {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد} . وقال سبحانه : {وهو العليم القدير} (٢) ، وقال : {وهو السميع البصير} (٣) ، وقال : {الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم} (٤) ، وقال : {وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريد} (٥) ، وقال : {هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم . هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥
(٢) سورة الروم : ٥٤
(٣) سورة الشورى : ١١
(٤) سورة الفاتحة : ٢-١
(٥) سورة البروج : ١٤-١٦

مايلج في الأرض ومايخرج منها ومايـنـزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير} (١) . وقال {ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم} (٢) ، وقال : {رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه} (٣) ، وقال تعالى : {وكلم الله موسى تكليما} (٤) ، وقال تعالى : {وهو الله الذى لااله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم} (٥) .. الى أمثال هذه الآيات الدالة والمثبتة لأسماء الله عز وجل وصفاته .

أما الأحاديث فمنها على سبيل المثال - لا الحصر - ماأخرجه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما خلق الله الخلق كتب فى كتابه - وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش - ان رحمتى تغلب غضبى .

ومارواه أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب : لااله الا الله العليم الحليم ، لااله الا الله رب العرش العظيم ، لااله الا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم .

ومارواه البخارى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تبارك وتعالى

---

(١) سورة الحديد : ٣-٤
(٢) سورة محمد : ٢٨
(٣) سورة البينة : الآية الأخيرة
(٤) سورة النساء : ١٦٤
(٥) سورة الحشر : ٢٣-٢٤

اذا أحب عبدا نادى جبريل ان الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل فى السماء ان الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول فى أهل الأرض .

وماروا ه البخارى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجب له ، من يسألنى فأعطه ، من يستغفرنى فأغفر له ؟ (١)

والأحاديث الدالة على ثبوت أسماء الله وصفاته كثيرة جدا ، وحسبنا ماذكرناه .

ومن هذه الأدلة يتبين لنا بيقين الحاد وضلال الاسماعيلية وسائر فرق النفاة الجاحدين والمعطلين لما دلت عليه هذه الآيات والأحاديث وأمثالها فى هذا الباب فهم كما قال ابن القيم رحمه الله : انهم استراحوا من كلفة النصوص وخلعوا ربقة الاسلام من أعناقهم . (٢)

الأمر الثالث : أن جميع ماتفوه به الاسماعيلية فى أسماء الله عز وجل وصفاته معلوم فساده وتناقضه بالضرورة العقلية حيث انهم جمعوا بين النقائض التى لايمكن تحققها حتى ولو فى الذهن فضلا عن امكان وقوعها فى الأعيان فهم يقولون عن الله عز وجل لاموجود ولامعدوم ولاحى ولاميت ولاعالم ولاجاهل . وهذا الغثاء ممتنع فى بداهة العقول لامتناع أن يكون الشىء موجودا معدوما أو لاموجود ولامعدوم ، حيث يلزم

---

(١) هذه الأحاديث جميعها صحيحة ثابتة رواها البخارى فى صحيحه . انظر فتح البارى ١٣/٣٨٤،٤٠٥،٤٦١،٤٦٤ .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ١/١٦٢ .

من رفع احدهما ثبوت الآخر[1] . ويقول ابن تيمية ان هؤلاء الغلاة فروا بزعمهم من تشبيه الله عز وجل بالمخلوقات فوقعوا فيما هو أشد وهو تشبيه الله عز وجل بالمعدومات والممتنعات وذلك اقبح من التشبيه بالموجودات ، هذا من وجه .

ومن وجه آخر أن مالايقبل الاتصاف بالحياة والموت والعمى والبصر ونحو ذلك من المتقابلات أنقص مما يقبل ذلك ، فالأعمى الذى يقبل الاتصاف بالبصر اكمل من الجماد الذى لايقبل واحدا منهما .

ومن وجه ثالث أن مالايقبل الوجود والعدم أعظم امتناعا من القابل لهما بل ومن اجتماعهما ونفيهما جميعا فما نفى عنه قبول الوجود والعدم كان أعظم امتناعا مما نفى عنه الوجود والعدم . واذا كان هذا ممتنعا فى طرائح العقول كان هذا أعظم امتناعا حين يؤول الأمر الى جعل الوجود والواجب الذى لايقبل العدم هو أعظم الممتنعات ، وهذا غاية التناقض والفساد[2] .

وفى موضع آخر يقول ابن تيمية فى الرد على المتفلسفة والباطنية : انكم نفيتم أسماء الله عز وجل فرارا من التشبيه فان اقتصرتم على نفى الاثبات شبهتموه بالمعدوم وان نفيتم الاثبات والنفى جميعا فقلتم : ليس بموجود ولامعدوم شبهتموه بالممتنع فأنتم فررتم من تشبيهه بالحى الكامل فشبهتموه بالحى الناقص ثم شبهتموه بالمعدوم ثم شبهتموه بالممتنع فكنتم شرا من المستجير من الرمضاء بالنار[3] .

---

(١) من معتقدهم هذا اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما وهو باطل فلابد من ارتفاع أحدهما اذا ثبت الآخر وبالعكس .
(٢) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ١٨ .
(٣) كتاب الصفدية لابن تيمية ٩٦/١ .

وملخص الرد في هذا الوجه : أن وجود شيء في الخارج لايكون له صفات ولاقدر يتميز به شيء عن شيء يعتبر من أعظم المستحيلات التي لايمكن تصورها فضلا عن وقوعها .

الأمر الرابع : عند التأمل في جميع كتب الاسماعيلية الفلسفية نجد انهم يطلقون الأسماء والصفات ويكررونها عشرات المرات ، فالسجستاني او الكرماني مثلا نجد انهما - وكما سبق بيان ذلك[1] - يستميتان في عدم اطلاق لفظ أو عبادة على الله عز وجل حتى لفظ الوجود ومع ذلك وكما لايخفى على مطلع على كتبهم نجد تناقضهما مع قاعدتهم في السلب المحض وعدم قدرتهما على تطبيق هذه القاعدة حيث يطلقون على الله عز وجل بعض الألفاظ والعبارات التي تصفه وتطلق عليه أسماء حسنى . فالكرماني عند نفيه لاطلاق لفظ الوجود على الله عز وجل ذكر لفظ (الله) عشر مرات وصفة (المتعالي) كررها ستة عشر مرة ولاسيما في مشرعه الثاني ، وكذلك (العلي) و(العظيم) و(الرب) و(الوهاب) و(الباري) و(الحق) و(البصير)[2] بل ان كل مشرع من مشارعه يختمه بجملة مليئة بالأسماء والصفات[3] .

اما السجستاني فانه ذكر لفظ (المبدع) بكسر الدال اثنى عشر مرة ، ولفظ (الله) ثلاث مرات وكذلك لفظ (الحق)

---

(١) في بداية الفصل الثاني من الباب الثالث وذلك عند الحديث عن المبدع - بكسر الدال - ص

(٢) انظر راحة العقل للكرماني ص ١٢٩-١٣٤ .

(٣) المرجع السابق ، انظر آخر كل مشرع من هذا الكتاب والذي يشتمل على ستة وخمسين مشرعا مقسمة على سبعة أسوار في كل سور سبعة مشارع عدا السور الأخير فانه يشتمل على أربعة عشر مشرعا ، ومن أكثر هذه المشارع ذكرا للأسماء والصفات المشرع الرابع من السور الخامس ص ٢٣٥ ، والمشرع السادس من السور الخامس ص ٢٥٧ .

و(جل جلاله) وصفة (العلو والمتعالى)[1] . وفى موضع آخر من كتابه الينابيع ذكر اسم (البارى) وصفة (الوهاب)[2] ، وفى كتابه الافتخار وصفه بصفتى (الواحد والأحد) وكررهما وأكد عليهما بقوله : قلنا - أى الاسماعيلية -[3] .

وهكذا نجد أن كتب الاسماعيلية مليئة بهذه الاطلاقات والعبارات التى هى فى حقيقتها ومدلولها والفاظها اما أسماء لله عز وجل أو صفاتا له سبحانه وتعالى . فهل هذه الاطلاقات والعبارات خارجة عن قاعدتهم فى السلب المحض والنفى المفصل . أم انه التناقض والاضطراب . أم ان لهذا تأويلا ولاسيما انهم أصحاب التأويل الباطنى ؟؟ وللاجابة على ذلك أقول :

ان تناقض الاسماعيلية واضطرابهم فى الوهية الله وأسمائه وصفاته لايخفى على مطلع فضلا عن عالم بأسرارهم وهاتك لأستارهم فهم كدوا أذهانهم وأتعبوا عقولهم للوصول الى معتقد ملفق يجمع بزعمهم بين الشريعة والفلسفة - مع تضادهما - ولذا كانت أهم صفة لمعتقدهم هذا التضاد والاضطراب . وقد يحاول بعض مؤلفى الاسماعيلية التلفيق للخروج عن هذا التضاد والتناقض وذلك بتأويل هذه العبارات والاطلاقات تأويلا باطنيا وسبق أن أشرنا الى ذلك[4] .

والحقيقة التى لامرية فيها أن الفطرة التى فطر الله الخلق عليها جميعا تأبى وان شوهت وغولبت الا أن تنطق بالحق

---

(١) انظر كتاب الينابيع للسجستانى ص ٧١-٧٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٨٤ .
(٣) كتاب الافتخار للسجستانى ص ٢٦ .
(٤) انظر القسم الثانى من الرسالة ص

وتعبر عنه احيانا مهما حاول الملحدون والجاحدون مضادتها وكتمانها فى نفوسهم ، ولذلك فان فرعون أعتى خلق الله كفرا وأكثرهم عنادا قال الله عنه وعن أتباعه : {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا} (١).

فالاسماعيلية مهما حاولوا وعاندوا فى تشويه الفطرة وقلبها فى قلوبهم وقلوب أتباعهم الا ان هذه الفطرة عند بعضهم تعبر عن الحق وتتجه الى البارى ولو فى فلتات لسانية أو اتجاهات قلبية فى حالة الشعور أو اللاشعور وهذا ماأرجحه وأفسر به مانجده فى كتبهم مما يتعارض مع قاعدتهم فى سلب الألفاظ والعبارات ونفى الأسماء والصفات عن الله عز وجل . وهذا بالطبع يدل على أن معتقد الاسماعيلية فى الله عز وجل أمر نظرى فقط يستحيل تطبيقه فى عالم الواقع ولذا يقول ابن تيمية عنهم : انهم يصفون الله عز وجل بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولايثبتون الا وجودا مطلقا لاحقيقة له عند التحصيل وانما يرجع الى وجود فى الأذهان يمتنع تحققه فى الأعيان (٢).

وفى موضع آخر نقل ابن تيمية نصا من كتاب الافتخار للسجستانى وفيه ذكر لأسماء الله عز وجل وصفاته ورد عليه بقوله : ان ذكره لهذه الأسماء والصفات مع قاعدته فى السلب والنفى عن الله كل اسم أو صفة يدل على التناقض ، وهذا

---

(١) سورة النمل : ١٤
(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/٧-٨ .

يبطله وهكذا هو فى نفس الأمر فان قولهم متناقض فى نفسه ولابد لهم بأى حال من الأحوال أن يعبروا عن اله عز وجل بنوع ما من العبارات المتضمنة للمعانى فيكون ذلك مناقضا لما ادعوه من التجريد والسلب العام .(١)

هذا ومن المشهور بين علماء المسلمين شدة نكيرهم على الجهمية لانكارهم صفات الله عز وجل وجحدها فكيف بمن هم أشد انكارا وجحدا منهم كالاسماعيلية الذين جحدوا الأسماء والصفات معا .

ومما أجمع عليه المسلمون محاربة الجهمية وقتل زعمائهم ووصفهم بالالحاد والزندقة حتى أن الامام المجاهد عبد الله بن المبارك يقول : انا لنحكى كلام اليهود والنصارى ولانستطيع أن نحكى كلام الجهمية .

وقال سعيد بن عامر : الجهمية أشر قولا من اليهود والنصارى قد أجمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان ان الله تعالى على العرش وقالوا هم : ليس على العرش شىء .(٢)

ولهذا نجد الأئمة الكبار كأحمد بن حنبل والبخارى والدارمى يصفون الجهمية النفاة فى مصنفاتهم بالزندقة والالحاد ومما قال الامام أحمد رحمه الله فى أول رده عليهم بعنوان (باب بيان ماضلت فيه الزنادقة من متشابه آى القرآن) .(٣)

---

(١) انظر كتاب الصفدية لابن تيمية ٢/٦-٨ .

(٢) كتاب عقائد السلف جمع النشار ص ١٢٠ ، والنص للسجستانى بعنوان ملحق فى الرد على الجهمية .

(٣) كتاب الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل ص ٥٣ .

كما أورد البخارى من طريق عبد العزيز بن سلمة قوله : كلام جهم صفة بلامعنى وبناء بلاأساس ولم يعد قط فى أهل العلم وأورد آثار كثيرة عن السلف فى تكفير جهم (١) .

أما الدارمى فيقول : وماظننا أن نضطر الى الاحتجاج على أحد ممن يدعى الاسلام فى اثبات العرش والايمان به حتى ابتلينا بهذه العصابة الملحدة فى آيات الله فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا والى الله نشكو ماأوهت هذه العصابة من عرى الاسلام واليه نلجأ وبه نستعين (٢) .

وأبان أبو الحسن الأشعرى ان الجهمية لايؤمنون بشىء وانما قصدوا الى تعطيل التوحيد والتكذيب بأسماء الله عز وجل فأعطوا لذلك لفظا ولم يحصلوا قولا فى المعنى ولولا انهم خافوا السيف لأفصحوا بأن الله غير سميع ولابصير ولاعالم ولكن خوف السيف منعهم من اظهار زندقتهم (٣) .

وبالنظر الى هذه الأحكام من أئمة الاسلام وعلمائه على الجهمية فكيف الحال والحكم على الاسماعيلية وسائر الفرق الباطنية الذين ينفون عن الله كل صفة وكل اسم ويصرفونها الى بعض الموجودات كالذى اصطلحوا على تسميته بالعقل الأول أو السابق ، أو العقل الثانى ، أو التالى ولذا لقبهم ابن تيمية رحمه الله "بالجهمية المحضة" (٤) حيث زادوا على الجهمية ضلالا والحادا وانحرافا فهم النفاة لكل شىء ولاوجود عندهم لله عز وجل الا وجودا ذهنيا لايعبر عنه فى الواقع تعالى

---

(١) فتح البارى ٣٤٥/١٣-٣٤٦ .
(٢) الرد على الجهمية للدارمى ص ٢٦٣ ضمن كتاب عقائد السلف جمع الدكتور النشار .
(٣) الابانة فى أصول الديانة لأبى الحسن الأشعرى ص ٤٠ .
(٤) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ٢٧ .

الله عن افكهم وضلالهم وتقدس عما يقوله الظالمون .

وعلى هذا فالاسماعيلية يعتبرون أشد كفرا والحادا وتعطيلا لله عز وجل من الجهمية الذين صرح السلف بالنكير عليهم وتكفيرهم واخراجهم من فرق الأمة الاسلامية .

الضلالة الثالثة : اعتقاد الاسماعيلية بالعقول العشرة وانها مدبرة للكون فاعلة فيه ان هذا المعتقد من ضلالات الفلاسفة اليونان الذين قالوا بهذه العقول العشرة وانها تدبر الكون ولايخفى انها لوثة فكرية شركية بعيدة كل البعد عن معتقدات الاسلام الصافية النقية ، لأن الاعتقاد بتاثير شيء فى الكون غير الله عز وجل اعتقاد باطل وهو الشرك بعينه الذى لايغفره الله عز وجل كما قال تعالى : {إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء} (١) .

ومن المعلوم بالفطرة الصحيحة واللغة العربية ودلالتها فساد هذا التقسيم والتركيب للموجودات العلوية وفى رد ومناقشة لهؤلاء ومصطلحاتهم حول هذه العقول وأسمائها يقول ابن تيمية : ومن زعم أن العقل يسمى قلما لأنه ينقش العلوم فى لوح النفس وسمى النفس لوحا فأول مافى هذا أن هذا يعلم بالاضطرار انه ليس من لغة العرب ولاقاله أحد من مفسرى القرآن والحديث ثم يقال : قد أخبر انه كتب مايكون الى يوم القيامة فقط وعندهم هو المبدع للعالم كله وهو رب كل شيء بعد الأول .

وأيضا فانه أخبر انه قدر ذلك وكتبه قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين الف سنة وانه بعد أن كتب فى الذكر

---

(١) سورة النساء : ٤٨

كل شيء خلق السموات والأرض وعندهم انه ومفعوله قديمان أزليان وانه لم تزل معه السموات والأرض وانها متولدة عنه معلولة لم تتأخر عنه لحظة فضلا عن خمسين ألف سنة .

وأيضا فالعقل الأول عندهم تولد عنه العقل الثانى والنفس والفلك وابداع العقل أعظم من ابداعه للنفس والفلك وابداعه لذلك أعظم من مجرد نقشه فى النفس ، والنفس الفلكية جمهورهم يقولون : انها عرض فى الفلك ولكن ابن سينا وطائفة قليلة يقولون : انها جوهر قائم بنفسه فكيف يعبر عن العقل الأول بأضعف أفعاله ولايعبر عنه بأجل أفعاله وأعظمها ؟ وان شاع هذا شاع تسمية الواجب بنفسه قلما أيضا لأنه علم العقل الأول مايعلمه للنفس .

وأيضا يقولون ان العقول هى الملائكة التى أخبرت بها الرسل فاذا كانت العقول تسمى أقلاما لنقشها العلم فى النفوس فالملائكة تسمى أقلاما ، ومن قال : ان الملائكة هى اقلام فهو أخس من بهيمة الأنعام وكذلك ينبغى أن يسمى كل معلم قلما وهذا ليس فى لغة العرب لاحقيقة ولامجازا .

وأيضا فانه قد قال فى القلم : اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة لاكتابة مايكون بعد ذلك . ودلائل فساد قول هؤلاء كثيرة .(١)

وفى موضع آخر هاجم ابن تيمية هذه النظرية (العقول العشرة) هجوما عنيفا وبين أن أصحابها لايثبتون لله عز وجل قدرة ولامشيئة ولااختيارا ويخلص الى أن قول هؤلاء أعظم كفرا

---

(١) كتاب الصفدية لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢/٨٠-٨٢ .

من قول من قال من مشركى العرب : ان الملائكة بنات الله ذلك لأن هؤلاء المشركين كانوا يقولون : ان رب السموات والأرض خلق الملائكة بمشيئته وقدرته (١) .

ويفند الامام العلامة ابن تيمية رحمه الله هذه النظرية الاغريقية الافلوطينية بالأدلة الشرعية والعقلية قائلا عن الأدلة النقلية أولا :

ان أهل الملل يعلمون بالاضطرار من دين الرسل انه ليس عندهم أحد غير الله يخلق جميع المبدعات ولانهم اثبتوا ملكا من الملائكة أبدع كل ماتحت السماء بل الملائكة عندهم عباد الله ليس فيهم من هو مستقل باحداث جميع الحوادث فضلا عن أن يكون مبدعا لكل ماسوى الله وسواه كما يقوله هؤلاء فى العقل الأول .

ثم يورد الامام ابن تيمية بعض الآيات الكريمة والتى فيها رد صريح على أصحاب هذه النظرية سواء كانوا فلاسفة اليونان أو الاسماعيليون الباطنيون ، ومن هذه الآيات :

قوله تعالى : {وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون . لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون} (٢) .

وقوله تعالى : {لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا} (٣) .

---

(١) المرجع السابق ١/٢-١٠ .
(٢) سورة الأنبياء : ٢٦-٢٨
(٣) سورة النساء : ١٧٢

وقوله تعالى عن الملائكة وسائر المخلوقات وبيان خضوعها لله تعالى : {ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض من دابة والملائكة وهم لايستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون} (١) .

وقوله تعالى : {وكم من فلك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} (٢) .

ومثل هذه الآيات التى تدل على خضوع هذه الكائنات وخشيتها وخوفها من الله عز وجل كثير وهى تخالف تمام المخالفة الصورة التى رسمها الاسماعيلية للعقول العشرة وتاثيراتها فى الكون والمخلوقات .

وأما الأدلة العقلية ثانيا فهى تبطل هذه النظرية لأنها لاتستند الى دعائم عقلية ثابتة على الرغم من أن أصحاب هذه النظرية هم الفلاسفة ذوو النزعة العقلية فنظريتهم هذه باطلة من وجوه :

(١) اذا سلمنا مع أصحاب النظرية بثبوت العقول العشرة وهى عندهم قديمة لأنها لازمة لذات الله متولدة عنه معلولة له فكيف تفسر حدوث الحوادث ؟ والحوادث - كما هو معلوم بالضرورة - لابد لها من محدث ولايمكن أن يكون محدثها أحد العقول القديمة لأن محدث الحوادث لايجوز أن يكون علة أزلية فالعلة الأزلية مستلزمة لمعلولها .

(٢) ان الواحد البسيط الذى يذكرونه انما يوجد فى الأذهان لافى الأعيان فانه وجود مطلق والمطلق يوجد فى الذهن

---

(١) سورة النحل : ٤٩-٥٠
(٢) سورة النجم : ٢٦

لافي الخارج والوجود الحقيقي في الخارج لايوجد الا للموجودات المعينة المشخصة .

(٣) ان الواحد البسيط الذى فرضوه ـ اذا قدر وجوده فى الخارج ـ يمتنع صدور المختلفات عنه بوسط أو بغير وسط لأن الواحد اذاكان الصادر عنه واحدا لم يصدر عن الآخر الا واحد وهلم جرا فيلزم أن لايكون فى العالم كثرة ، فلما تيقن وجود الكثرة المختلفة الحادثة كان هذا مناقضا لقولهم .

واذا قالوا : ان الصادر الأول ـ أى العقل الأول ـ واحد ولكن فيه جهات كالوجوب والامكان وعقله لمبدعه وعقله لنفسه ونحو ذلك بحيث يصدر عنه باعتبار وجوبه عقل وباعتبار امكانه جسم فهذا أولا من الهذيان ، وثانيا ان تلك الأمور اما أن تكون وجودية واما أن تكون عدمية . فان كانت وجودية وقد اتصف بها الصادر الأول فقد صدر عن المبدع الأول أكثر من واحد ، وان كانت عدمية كان الواحد صدر عنه أكثر من واحد وحينئذ فالواجب يتصف بالأمور العدمية وعلى كلا الاعتبارين فالواجب الوجود أحق من الصادر الأول الذى هو العقل الأول فى صدور أكثر من واحد عنه .

(٤) أن حركة الفلك الأعلى حركة واحدة متشابهة بسيطة لاتوجب بنفسها آثارا مختلفة الا لاختلاف القوابل كالشمس تبيض جسما وتسود جسما وتلين جسما وتيبس جسما بحسب القوابل المختلفة وبما انه وجدت الحركات المختلفة غير محصورة علم بالضرورة انها ليست صادرة عن عدد محصور فى البسائط .

(٥) ان تلك الحركات والمتحركات والعقول المعلومة أمور مختلفة متعددة فان صدرت عن واحد بطل قولهم (لايصدر عن الواحد الاواحد) وان صدرت عن موصوف بالصفات والأفعال القائمة بطل قولهم بالموجب بالذات وعلى التقديرين يبطل مذهبهم .

وبالجملة ـ وكما ينتهى اليه ابن تيمية فى نقد هذه النظرية ـ فالأدلة الدالة على بطلان قولهم كثيرة جدا . والمقصود هنا أن أقوال هؤلاء ليست مطابقة لما أخبرت به الرسل كما انها ليست مطابقة لما دل عليه العقل الصريح ، فلاهى موافقة للمنقول الصحيح ولاللمعقول الصريح ولكنهم يسفسطون في العقليات ويقرمطون فى السمعيات كما ظهر ذلك فى الباطنية من القرامطة والاسماعيلية وأمثالهم (١) .

وبالنظر الى أدلة الاسماعيلية التى استدلوا بها وزعموها أدلة على نظرية العقول فأهمها حديث العقل الذى (٢) يعتبر حديثا موضوعا مكذوبا كما نص على ذلك جهابذة العلماء من أهل الجرح والتعديل حيث بينوا واضعه واستقصوا جميع رواياته لفظا وسندا ثم بينوا انه لايصح عن رسول الله صلى

---

(١) كتاب الصفدية لابن تيمية ١/١٥٦-١٦٠ ، وانظر كتاب ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفى للدكتور عبد الفتاح أحمد فؤاد ص ١٨٧-١٩٥ .

(٢) نص هذا الحديث كما يروونه "أول ماخلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر ثم قال فبعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أجل منك بك أثيب وبك أعاقب" . انظر المجالس المؤيدية للمؤيد الشيرازى ١/٢ ديوان المؤيد داعى الدعاة ص ٩٢ تقديم وتحقيق محمد كامل حسين وكذلك ذكر لفظه كاملا الامام ابن تيمية فى رسالته الصفدية ١/٢٣٨-٢٣٩ .

الله عليه وسلم حديث بهذه الالفاظ والروايات .(١)

وعلى الرغم ان هذا الحديث موضوع ومكذوب فان ابن تيمية رحمه الله يذكر ان هذا الحديث الذى يحتجون به من جهة الشريعة يدل على نقيض مقصودهم من وجوه كثيرة منها :

(١) أن قوله (أول ماخلق الله العقل قال له) يقتضى انه خاطبه فى أول أوقات خلقه لانه أول المخلوقات كما تقول : أول مالقيت زيدا سلمت عليه .

(٢) أن هذا يقتضى انه خلق قبل العقل غيره لقوله : ماخلقت خلقا أكرم على منك . وعند الاسماعيلية والفلاسفة أن العقل أو المبدعات .

(٣) أن هذا الحديث يقتضى أن العقل مخلوق وحقيقة الخلق منتفية عندهم عن العقل الأول بل عن العالم وانما العقل عندهم معلول ومبدع .

(٤) انه قال فى هذا الحديث (فبك آخذ وبك أعطى وبك الثواب وبك العقاب) فأخبر انه يفعل به هذه الأمور الأربعة وهذا ينطبق على عقل الانسان الذى هو عرض فيه ، وأما العقل الذى يدعونه فهو عندهم رب جميع العالم ، أبدع السموات والأرض ومابينهما فاين هذا من شىء يفعل الله به أمورا أربعة .

ويختم ابن تيمية رحمه الله نقده لدليلهم هذا بقوله :

---

(١) لقد استقصى الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله معظم كلام المحدثين عن الحكم على اسناد هذا الحديث وصحة روايته بما لامزيد عليه فليراجع فى تحقيقه وتعليقه على رسالة الصفدية لابن تيمية ٢٣٨/١-٢٣٩ .
وانظر هامش كتاب الدكتور أحمد محمد جلى ص ٢٧٦ رقم ١ دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين .

والمقصود هنا ان قول هؤلاء هو من أفسد أقوال أهل الأرض . وان قول جمهور الصابئين والمشركين والمجوس خير من قولهم فضلا عن اليهود والنصارى . (١)

وبالتأمل في الآيات القرآنية الدالة على توحيد الالوهية المستلزمة توحيد الربوبية وهي كثيرة مبسوطة في كتاب الله عز وجل نجد انها ترد على هذه الضلالة وغيرها من الضلالات المنتشرة في أرجاء الأرض قديما وحديثا ، ومن هذه الآيات :

قوله تعالى : {ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون} . (٢)

وقوله تعالى : {ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون} . (٣)

وقوله تعالى : {قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلاتتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون . بل آتيناهم بالحق وانهم لكاذبون . ماتخذ الله من ولد وماكان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون} . (٤)

وقوله تعالى : {أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون

---

(١) الرسالة المفدية ١/٢٣٩-٢٤١ .
(٢) سورة السجدة : ٢٥
(٣) سورة الزخرف : ٨٧
(٤) سورة المؤمنون : ٨٤-٩١

أم خلقوا السموات والأرض بل لايوقنون ...} الى قوله تعالى : {أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون} (١) .

ويقول تعالى عن الملائكة الذين يعتبرون عند الاسماعيلية عقولا مدبرة للكون : {ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين} (٢) .

وقوله تعالى عن الملائكة أيضا : {بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين} (٣) .

وأخبر الله تعالى فى آيات كثيرة ان الخلق والأمر له وحده كما أخبر أنه غنى عن العالمين - وكل ماسوى الله عالم من الانس والجن والملائكة والكواكب والعقول - فقال تعالى : {ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} (٤) .

وقال تعالى : {قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين} (٥) .

وقال تعالى : {ان الله لغنى عن العالمين} (٦) .

---

(١) سورة الطور : ٣٤-٤٣
(٢) سورة الأعراف : ١١
(٣) سورة الأنبياء : ٢٦-٢٩
(٤) سورة الأعراف : ٥٤
(٥) سورة فصلت : ٩
(٦) سورة العنكبوت : ٦

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة العظيمة والتى تدل على ان خلق المخلوقات وأمرها وتدبيرها له وحده لايشركه احد من مخلوقاته سواء كانوا ملائكة أو عقولا أو كواكب أو سائر المخلوقات ثم بعد ذلك يكون الله وحده هو المستحق للألوهية والعبودية ومن خالف ذلك فقد أشرك مع الله شريكا ووقع فى الشرك الأكبر الذى يخرج من الملة ولايغفره الله وجزاءه فى الآخرة هو الحرمان من الجنة ونعيمها والخلود فى النار وعذابها وشقائها .

يقول شارح التوحيد : الشرك فى الربوبية نوعان : اولهما اقبح انواع الشرك وهو شرك التعطيل وذلك كشرك فرعون اذ قال : ومارب العالمين ؟ ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته وانه لم يكن معدوما أصلا بل لم يزل ولايزال والحوادث بأسرها مستندة عندهم الى أسباب ووسائط اقتضت ايجادها يسمونها العقول والنفوس ..... ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب وأوصافه من غلاة الجهمية والقرامطة .(١)

ويقول شارح الطحاوية : ان توحيد الربوبية لايحتاج الى دليل فانه مركوز فى الفطر وأقرب ماينظر المرء فيه أمر نفسه لما كان نطفة وقد خرج من بين الصلب والترائب . ثم صارت تلك النطفة فى قرار مكين فى ظلمات ثلاث وانقطع عنها تدبير الأبوين وسائر الخلائق ولو كانت موضوعة على لوح أو طبق واجتمع حكماء العالم على أن يصوروا منها شيئا لم يقدروا ومحال توهم عمل الطبائع فيها لأنها موات عاجزة

---

(١) تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٤٣ .

ولاتوصف بحياة ولن يتأتى من الموات فعل وتدبير فاذا تفكر فى ذلك وانتقال هذه النطفة من حال الى حال علم بذلك توحيد الربوبية فانتقل منه الى توحيد الالهية فانه اذا علم بالعقل أن له ربا أوجده كيف يليق به أن يعبد غيره ؟ وكلما تفكر وتدبر ازداد يقينا وتوحيدا والله الموفق لارب غيره ولا اله سواه (١) .

وهكذا ومن خلال تتبع ضلالات الاسماعيلية ونقدها وذلك فى معتقدهم عن الله سبحانه وتعالى يتضح لنا انهم كفروا بالله عز وجل وأشركوا معه غيره من سائر المخلوقات وبالتالى انحرفوا عن أصول الاسلام وأسسه الأساسية وأصبحت بعد ذلك نسبتهم الى الاسلام مجرد ادعاء متهافت كاذب لاحقيقة له فى الواقع ولاوجود له عند التحميل ويجب رد هؤلاء وأمثالهم الى الاسلام من جديد أو اقامة حد الردة عن الاسلام عليهم لقوله صلى الله عليه وسلم : "من بدل دينه فاقتلوه" رواه البخارى (٢) .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لأبى العز الحنفى ص ٢٧٤ .
(٢) فتح البارى ٢٦٧/١٢ .

الفصل الثالث

معتقد الاسماعيلية عن النبوة والأنبياء والرسل

اهتم الاسماعيلية بمعتقد النبوة والرسالة اهتماما ملحوظا حسب فكرهم الشيعي الباطني وأفردوا له الكتب والمؤلفات (١)، وربطوا معتقدهم هذا بأصولهم السابقة وهي الامامة والتأويل الباطني وكذلك عقيدتهم في الله من حيث صدور الكائنات وتقسيمها الى علوية وسفلية مع التقابل بينها .

وسوف نتحدث في هذا الفصل ان شاء الله عن معتقدهم هذا ونستبينه من مصادرهم تفصيليا .

(١) تعريف النبوة .

يعرف السجستاني النبوة بقوله : النبوة قوة ثابتة من جهة الكون والفساد تحدث في نفس النبي تدرجا جزءا بعد جزء وعملا بعد عمل وزيادة بعد نقصان الى أن يكمل تكوينها فتظهر مصورة محلاة فلاتزال في ارتفاع الى أن تبلغ المتنهى في الرفعة (٢) .

---

(١) من ذلك وعلى سبيل المثال كتاب اثبات النبوات للسجستاني حيث اشتمل على سبع مقالات كل مقالة اثنى عشر فصلا وكلها في النبوة والنبوات ، والكتاب يقع في مائتي صفحة ، وكذلك كتابه الافتخار خصص أربعة أبواب للحديث عن النبوة والرسالة ومايتعلق بهما . انظر كتاب الافتخار ص ٤٣-٧٠ .
كما أفرد الرازي المتوفى عام ٣٢٢هـ كتابا عن النبوة وسماه أعلام النبوة الى غير ذلك من الكتب والمؤلفات الاسماعيلية .

(٢) اثبات النبوات للسجستاني ص ١١١ .

وتبعا لذلك التعريف بان النبى عندهم : عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالى قوة قدسية صافية مهيأة لأن تنتقش عند الاتصال بالنفس الكلية بما فيها من الجزئيات.

فلذلك يدرك النبى الكليات العقلية عند شروق ذلك النور وصفاء القوة النبوية كما ينطبع مثال المحسوسات فى القوة الباصرة من العين عند شروق نور الشمس على سطوح الأجرام السفلية (١) .

ويعرف ابن الوليد الرسول : بانه هو مبعوثه – أى الله – الى الخلق وحجته على أهل زمانه وهو لسانه فيهم وترجمانه فى العالم السفلى بأسره والمتبحر أبدا فى الحكمة والمبين لها ، ولولاه لما وصل الناس بمجرد عقولهم الى باب واحد من أبواب الحكمة (٢) .

وعند التامل فى هذه التعاريف نجد انها تدل على خصال وصفات للنبى أو الرسول لابد من توفرها فى شخصه ليكون نبيا أو رسولا وهى فى الحقيقة شروط للنبوة .

(٢) شروط النبوة .

تحدث الكرمانى عن هذه الشروط فى آخر كتابه راحة العقل وذلك بالمشرع الرابع عشر من السور السابع فقال : ان المؤيد المبعوث لابد أن يكون :

(١) جيد الفهم والتصور .

(٢) جيد الحفظ لما يراه الخاطر والعين ويدركه السمع .

(٣) جيد الفطنة والذكاء والتوقد .

---

(١) فضائح الباطنية للغزالى ص ٤٠-٤١ .
(٢) تاج العقائد ومعدن الفوائد لابن الوليد ص ٥٠ ، وانظر مذاهب الاسلاميين لبدوى ٢٩٠/٢ .

(٤) جيد الذكر والتلخيص عن المراد بالألفاظ الجامعة .

(٥) جيد العبارة والخطابة والقدرة عليها .

(٦) سلامة الأعضاء والقدرة على أمور الحرب ومباشرتها والصبر عليها .

(٧) جودة الفطرة والطبع فى استفادة المعارف من كل جهة .

(٨) جودة النحيزة فى السلامة والانقياد لكل خير والخلو من الرذائل .

(٩) عظيم النفس كريما محبا للعدل مبغضا للظلم والجور .

(١٠) مؤثرا لما يعود على النفس منفعته من العبادة .

(١١) كارها لكل مايهجن ويشين .

(١٢) مقداما فى الأمور جسورا عليها .

ذلك كله بأن النار القدسية أضاءت جوهر نفسه فأصبحت فى معالى القدس تطلع على مادونها فى عالم الدين وتتعلق بها فصالح النفس فى وجودها وسعادتها ..... ولذلك كان النبى معصوما لايظهر منه أمر منكر ومن يكون بهذه المنزلة من الوجود فهو تام مؤيد فاصل ولايجتمع معه فيكون تابعا له وخادما الا كل فاضل ولاينفرد عن جملته فيكون معاندا له ومناوئا الا كل راذل (١) .

ان هذه الشروط اذا اجتمعت فى واحد من البشر فى دور من أدوار القرانات فان ذلك الشخص - عند الباطنيين والفلاسفة كذلك - هو المبعوث وصاحب الزمان والامام للناس مادام حيا فاذا بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ودون التنزيل ولوح التأويل وأحكم الشريعة وأوضح المنهاج وأقام

---

(١) انظر راحة العقل للكرمانى ص ٥٧٢-٥٧٤ .

السنة والف شمل الأمة ثم توفى ومضى الى سبيله بقيت تلك الخصال فى أمته وراثة منه وان اجتمعت تلك الخصال فى واحد من أمته أو حلها فهو الذى يصلح أن يكون خليفة فى أمته بعد وفاته (١) .

ان هذه الشروط التى وضعها الاسماعيلية للنبى أو الرسول تؤول الى هدف واضح فى فلسفتهم وان لم يفصحوا عنه وهو أن النبوة كسبية ينالها من اتصف بهذه الصفات وجاهد نفسه للتحلى بها ومزاولتها فى حياته ، ومما يدل على صحة ذلك أن اخوان الصفا - وهم اسماعيلية ان لم يكونوا ائمتهم - صرحوا بهذا الهدف فى رسائلهم ، ومما قالوا : ان من تصفو نفوسهم وتتهذب اخلاقهم تصير نفوسهم بعد ذلك متهيئة لقبول الوحى والالهام .

وبما قال دعاتهم لاتباعهم : ان من تعبد منكم على مارسم له فى هذا الهيكل - والمقصود منه تطبيق تعاليمهم ومجاهداتهم - اربعين سنة مخلصا جاءهالوحى من الله عز وجل ونزلت عليه الملائكة بالروح (٢) .

(٣) منزلة النبوة والنبى من الامامة والامام .

مما يعتقده الاسماعيلية فى هذا الباب ان رتبة الوصاية والامامة أعظم قدرا وافضل منزلة من رتبة النبوة والرسالة ومن نصوصهم الدالة على ذلك قول احد دعاتهم : ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اجتمعت عنده النبوة والرسالة والوصاية

---

(١) رسائل اخوان الصفا ، الرسالة السادسة فى شرائط النبوة ٤/١٢٩-١٣٠ عن كتاب الاسماعيلية لاحسان الهى ص ٣٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٦-١١٧ ، كتاب الاسماعيلية ص ٣٢٤ .

السنة وألف شمل الأمة ثم توفى ومضى الى سبيله بقيت تلك الخصال فى أمته وراثة منه وان اجتمعت تلك الخصال فى واحد من أمته أو حلها فهو الذى يصلح أن يكون خليفة فى أمته بعد وفاته (١) .

ان هذه الشروط التى وضعها الاسماعيلية للنبى أو الرسول تؤول الى هدف واضح فى فلسفتهم وان لم يفصحوا عنه وهو أن النبوة كسبية ينالها من اتصف بهذه الصفات وجاهد نفسه للتحلى بها ومزاولتها فى حياته ، ومما يدل على صحة ذلك أن اخوان الصفا ـ وهم اسماعيلية ان لم يكونوا أئمتهم ـ صرحوا بهذا الهدف فى رسائلهم ، ومما قالوا : ان من تصفو نفوسهم وتتهذب أخلاقهم تصير نفوسهم بعد ذلك متهيئة لقبول الوحى والالهام .

وبما قال دعاتهم لأتباعهم : ان من تعبد منكم على مارسم له فى هذا الهيكل ـ والمقصود منه تطبيق تعاليمهم ومجاهداتهم ـ أربعين سنة مخلصا جاءه الوحى من الله عز وجل ونزلت عليه الملائكة بالروح (٢) .

(٣) منزلة النبوة والنبى من الامامة والامام .

مما يعتقده الاسماعيلية فى هذا الباب ان رتبة الوصاية والامامة أعظم قدرا وأفضل منزلة من رتبة النبوة والرسالة ومن نصوصهم الدالة على ذلك قول احد دعاتهم : ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اجتمعت عنده النبوة والرسالة والوصاية

---

(١) رسائل اخوان الصفا ، الرسالة السادسة فى شرائط النبوة ٤/١٢٩-١٣٠ عن كتاب الاسماعيلية لاحسان الهى ص ٣٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٦-١١٧ ، كتاب الاسماعيلية ص ٣٢٤ .

والامامة فابنه اسماعيل سلمه رتبة الوصاية والامامة بأمر من الله تعالى اذ هو مقام الهى وهيكل نورانى ، وسلم الى ولده اسحاق رتبة النبوة والرسالة وجعله خادما بين يدى أخيه اسماعيل وحجابا عليه وداعيا اليه ، لأن اسماعيل وأولاده مقامات الهية ذو هياكل نورانية اذ هم أهل الاستقرار واسحاق وأولاده حجج ودعاة ظاهرة لاسماعيل وأولاده وحجب عليهم (١) .

ومما قال الاسماعيلية : ان النبى قبل أن يصل الى مرتبة النبى المرسل أو الرسول ينبغى عليه أن يمر بمرتبة الولى . على أن النبى الرسول يجمع فى نفسه بين الصفات الثلاثة الولاية والنبوة والرسالة ولذا فهم يعرفون الولاية بأنها سر النبوة وباطنها ويقولون انها تجلت فى كل أولياء الله الذين سموا أنبياء (٢) .

ونقل ابراهيم الحامدى عن جعفر بن منصور اليمن انه قال عن على وولايته : ان الله لايقبل توبة نبى ولا اصطفاء وصى ولا امامة ولى ولاعمل طاعة من عامل ولو تقطع بالعبادة واجتهد الا بولاية على بن أبى طالب صلوات الله عليه وآله . فمن أتى بغير ولاية على بن أبى طالب أسقطت نبوته ! ووصايته وولايته وصالح عمله ولم يقبل الله منه ولازكى عمله (٣) .

وقال الحارثى : ولما كان أمير المؤمنين بهذه الحالة التى لم يبلغها أحد غيره اتصل به العقل العاشر اتصالا كليا ولحظته العقول الابداعية لحظا سرمديا ورمته بأشعتها واتصلت

---

(١) الحقائق الخفية للأعظمى ص ١٢٢ ، وصاحب القول هو الداعى الاسماعيلى طاهر الحارثى .
(٢) مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى ٢٩٤/٤ .
(٣) كنز الولد للحامدى ص ٢١٨ .

به المواد الالهية فوق ماتصلت بكل فقام قبله (١) .

(٤) تعريف الوحى واقسامه وكيفية تلقيه .

يعرف الاسماعيلية الوحى بأنه : ماقبلته نفس الرسول من العقل وقبله العقل من أمر باريه ولم يخالفه علم تؤالفه (٢) النفس الناطقة بقواها . والفرق بين الوحى وغيره من سائر العلوم أن الوحى يرد على من يوحى اليه مفروغا منه قد استغنى عن الزيادة فيه والنقصان منه .

ويعرفه الكرمانى بأنه : اسم لما يعلم كليا منغير تفسير وتفصيل .

وأما اقسامه فينقسم الى قسمين :

أحدهما مايعلم لابواسطة (٣) ، والثانى مايعلم بواسطة محسوبة ، فالذى يعلم لابواسطة محسوسة هو الذى يكون بعلو الجد (٤) فيحصل للنفس بما يجيؤها من نور دار القدس من جهة الملك المتمثل بشرر النار وذلك أعلى المراتب كلها من وجوه المعارف .

---

(١) الأنوار اللطيفة للداعى الحارثى ص ١٢٥ ضمن كتاب الحقائق الخفية للأعظمى .

(٢) تاج العقائد لابن الوليد ص ٤٧ نقلا عن مذاهب الاسلاميين لبدوى ٢/٢٨٨ .

(٣) هكذا بالأصل ولعل الصواب تؤلفه بحذف الألف بمعنى تجمع بنيه .

(٤) النص هكذا ولعل الصواب (لابواسطة محسوسة) كما يدل عليه بقية النص فى قوله (فالذى يعلم لابواسطة محسوسة ...) الخ النص .

(٥) الجد والفتح والخيال مصطلحات اسماعيلية يعبرون بها عن أقسام الوحى الثلاثة الواردة فى قوله تعالى : {وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء} سورة الشورى : ٥١ وتفصيل قولهم فى ذلك توضحه النصوص التالية فى صلب البحث .

وأما الذى يعلم بواسطة محسوسة فينقسم الى قسمين :

أحدهما خاص وهو مايعلم من جهة تختص بالنفس المبعوثة صورة بادراكها اياها حسا من غير مشاركة غير فيها مثل الملك الذى يتمثل لها صورة عن حصول المعانى الكلية المعراة من المواد من خارجها وحيا فى الذات فتراها بالحس وتخاطبها وغيرها لايراها ولايحس بها وذلك هو الخيال .

وثانيهما وهو مايعلم من وجوه تشترك فيها بالاحساس النفس المؤيدة المبعوثة وتنفرد بمعرفة المنطوى فيها من المعالم كلها المبعوثة والمقتفون آثارها مثل الذى يعلم من جهة المحسوسات بالموجود فيها من آثار الحكمة والصنعة وأحكامها اللازمة لها والطارئة الناطقة عن ذاتها وان كانت ساكتة . المنبئة له وان كانت صامتة . المعرفة به وان كانت بها غير عارفة وذلك هو الفتح .(١)

وبتفصيل وتقسيم آخر لأقسام الوحى يقسم الكرمانى الوحى أيضا الى ثلاثة أقسام محاولا تطبيق هذه الأقسام وتركيبها على قوله تعالى : {وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء انه عليم حكيم}(٢) يقول : ان هذه الآية بينت واستوعبت أقسام الوحى الثلاثة فقوله {ماكان لبشر} أى ماكان لمن يمطفى بالبعث فى دار الطبيعة ليعلم غيره من أبناء جنسه ودعوته الى توحيد الله وعبادته ممن يخرج الى الكون من البشر بواسطة الأمور المنصوبة على الأمر المقدر .

---

(١) راحة العقل للكرمانى ص ٥٥٩ .
(٢) سورة الشورى : ٥١

وقوله {أن يكلمه الله} أى ماكان لمن ينصب لذلك ويختار أن يكلمه الله ويجعله عقلا كاملا منبعثا من طريق المخاطبة خطاب البشر بعضهم مع بعض ماكان ذلك كله الا عن طريق الأقسام الثلاثة فى الآية وهى :

القسم الأول : المعروف بالحد وهو ماأوجبه بعد النفى بقوله {الا وحيا} والمعنى . نعلمه بأن نفىء جوهره بنور القدس فتلمع فى ذاته فى حال يقظته منه صور هى معارف كلية شبه مايرى فى المنام ويتعلق بالأكوان والأحداث فيما سبق وجوده وانتظر كونه .

القسم الثانى : المعروف بالفتح وهو ماجاء بعد (أو) حرف التبديل وهو قوله {من وراء حجاب} والمعنى ان تلقى الوحى فى هذا القسم كالأمثال المضروبة والأمور القائمة المنصوبة للأغراض المعلومة التى هى كالكتابة الدالة للعارف بها على مايتضمنها من معانيها الناطقة له وان كانت ساكتة والمكلمة له وان كانت صامتة .

القسم الثالث : المعروف بالخيال وهو ماجاء أيضا بعد حرف (أو) الثانية وهو قوله (يرسل رسولا) والمعنى يعلمه من جهة الخيال الذى يتمثل له بشرا سويا عن القوة التى واصلته من دار القدس الذى هو الملك اما قولا بالسمع أو تشخصا برؤية العين .

فهذه الثلاثة الوجوه هى التى تجمع جميع وجوه التعليم الالهى .(١)

---

(١) انظر راحة العقل للكرمانى ص ٥٦١-٥٦٢ .

وبعد ان يركب هذه الأقسام الثلاثة عندهم على الآية القرآنية المبينة لأنواع الوحى عند أهل السنة يفصل بعد ذلك هذه الأقسام تقسيما لايخلو من فائدة فى استبيان معتقدهم فى هذا الفصل يقول :

(١) فاما القسم الأول الذى هو الوحى الذى يفيده معرفة الاصول ومثلناه بالشرر المعروف بالجد فهو الذى يحصل للمؤيد فى اليقظة والاغفاء فيدرك أولا .

اما بأن يرى فى ذاته شخصا يخاطبه أو يسمع خطابا لامن شخص مثل هتف هاتف فيقف بذلك على مافى الأنفس ويطلع على الاعتقادات فيكون ذلك كليا مثل مايفرض من ايجاب الصلاة والزكاة جملة ، أو مثل مايرى الرائى فى المنام حنطة قد حملت له وتفصيل ذلك يحصل بشىء آخر يتبعه من معرفة تفسير اقامة الصلاة وأداء الزكاة وتأويل هذه الحنطة ومعرفة مقدارها ومن أين اتت ... الخ حيث انه بعد هذا التفصيل يتضح الأمر .

وفى هذا القسم لايشارك المبعوث المؤيد فى زمانه غيره .(١)

(٢) اما القسم الثانى الذى هو الخطاب من وراء حجاب الذى هو الفتح .

فهو مايكون من جهة قيام آثار الصنعة الالهية فى الموجودات مثل الخطاب الالهى بالأمثال . ومثل الخطاب الالهى من جهة ذوات الموجودات بآثار الصنعة . ومثل مايوجبه تأويل

---

(١) واضح من هذه العبارة الأخيرة امكانية مشاركة النبى أو الرسول ـ الذى سماه بالمؤيد المبعوث ـ غيره فى النبوة والرسالة عن طريق غير هذا القسم فليتأمل .

قوله تعالى : {أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ...} الخ الآية (١) .

فهذه الوجوه وأمثالها كلها خطاب يوقف منها على المعارف ويستفاد والمؤيد الذى قد أضاء له من دار القدس يحوى أمثال ذلك كله مما لايعلمه غيره .

(٣) أما القسم الثالث الذى هو ارسال رسول يتمثل بشرا سويا ويعرف بالخيال فهو الذى يكون شرحا وبيانا كله فلايشارك المؤيد فى رؤية ذلك غيره وهو الروح الأمين المسمى بجبرائيل .

وبالجملة فالمؤيد له من كل شىء يدركه بحسب حظه من المعارف الدينية ومايتعلق بها فلايفوته شىء ولو حركة بعوضة فما فوقها ، وحاله فى رؤية الاشياء وهو يقظان حال الأنفس النائمة المتفردة بذاتها الرائية فى المنام مايراه رجوعه الى ذاته فكرا فيما يريده واضاءة من التحف به من نور دار القدس . وقيام الصور متمثلة له مخاطبة فهى مجىء الوحى اليه . فانه فى ذلك كله يخاطب الملائكة المقربين ويخاطبونه بكونه مثلهم فى الذات كمالا وانبعاثا واضاءة واذا خاطب البالغ ذاته فكأنه قد خاطب الحد الأعلى . وهذه هى الحال التى قد تتعقب مايجىء به قبل نسخ التنزيل بالوحى (٢) .

أما كيفية تلقى الرسل للوحى فى أقسامه فقالوا : ان جميع الأنبياء لم يأخذوا التأييد ولااتصل بهم الوحى الا عن

---

(١) سورة الحج : ٤٦

(٢) انظر راحة العقل للكرمانى ص ٥٦٢-٥٦٧ باختصار وتصرف .

طريق الحدود الروحانية غير المتشخصة وهى الجد والفتح والخيال .

واضافوا : بأن السابق أفضى الى التالى الذى أفضى بدوره الى الجد بما يجرى فى هذا العالم الروحانى فأفضى هذا بدوره الى الفتح الذى أبلغه الى الخيال - أى جبرائيل - فبلغه هذا الى الناطق الحى الذى يمثل فى دوره السابق كما يمثل الحجة - أى الأساس - دور التالى . ويمثل الداعى الجد . والمأذون الفتح . والمكاسر الخيال . فى كلا الدورين (١) . ويستدل الاسماعيلية على تصويرهم هذا المصدر الوحى ومراحل تلقيه بحديث مكذوب نسبوه الى النبى صلى الله عليه وسلم وفيه انه قال : انى آخذ الوحى من جبرائيل وجبرائيل يأخذه من ميكائيل وميكائيل عن اسرافيل واسرافيل يأخذه عن اللوح واللوح يأخذ عن القلم (٢) .

وهذا يعنى - حسب المعتقد الاسماعيلى - ان المبعوث المؤيد أخذ الوحى عن الخيال الذى أخذه عن الفتح عن الجد عن التالى عن السابق فيكون أخذه عن خمسة حدود علوية لها مايقابلها من الحدود السفلية الأرضية وهم النطقاء والأوصياء والدعاة والمأذونون والمكاسرون . فالعقل يقابله الناطق . والنفس يقابلها الامام أو الوصى . والداعى يقابله الجد . والمأذون يقابله الفتح . والمكاسر يقابله الخيال (٣) .

---

(١) كنز الولد للحامدى ص ٧٦ ، مقدمة كتاب الينابيع ص ١٨.
(٢) أساس التاويل للقاضى النعمان بن حيون ص ٧٠ .
(٣) انظر مقدمة كتاب الينابيع لمصطفى غالب ص ١٨ .

(٥) معجزات الأنبياء والرسل .

مما يدخل فى معتقدات الاسماعيلية فى باب النبوات معجزات الأنبياء والرسل وقد تناولها بالتأويل الباطنى واعتقدوا ان لكل معجزة من معجزات الأنبياء والرسل باطن غير ظاهرها سواء فى ذلك المعجزات الحسية أو المعنوية ، وبلغ بهم تأويلها أن أصبحت خالية من مفهومها والمقصود منها مما يتساوى فى ذلك سائر الناس وتصبح المعجزة بعده أمرا عاديا لاتأثير لها فى النفوس والقلوب ، ومما قالوا فى ذلك : ان ثعبان موسى معناه حجته . ومعنى ان المسيح لاأب له انه لم يأخذ العلم عن امام . وان احياءه الموتى اشارة الى علمه الذى يهدى به . ونبع الماء بين أصابع النبى صلى الله عليه وسلم اشارة الى كثرة علمه ... الخ (١) المعجزات التى يؤولونها على هذا المنوال .

وعند التأمل فى هذه التأويلات وماتنتهى اليه نجد أن ذلك يصل الى ابطال المعجزات وانكار النبوات وتجريد أنبياء الله تعالى من دلائل صدقهم وماأجراه الله على أيديهم من علامات النبوة . ولم يكتف الاسماعيلية بهذا التأويل للمعجزات بل ضموا الى ذلك ضلالة أخرى وهى الزعم بأن أوصياءهم وأئمتهم يأتون بمثل هذه المعجزات وتجرى على أيديهم كما يجرى الله عز وجل المعجزات لأنبيائه .

ومما قال المؤيد فى مجالسه : ان الله سبحانه اقتضى أن يقيم من البشر من يناسب الملائكة مناسبة تامة بلطائفهم

---

(١) كتاب الافحام لأفئدة الباطنية الطغام ص ٢٠ .

ويناسب البشر مناسبة تامة بكشائفهم وهؤلاء يعكفون على النفوس البشرية فينزعون عنها الكثافة . ومعجزة الوصى والأئمة هى علوم الباطن التى اختصوا بها دون غيرهم من البشر وبهذه المعجزة يرتقى المؤمن بعد مماته الى مايناسبه من الحدود العلوية فتصبح نفسه مؤثرة فى عالم الكون والفساد بعد أن كانت خاضعة لتدبير العقول الروحانية ، وبهذه المعجزة يحيى المؤمن بعد موت الجهالة ، فالاعجاز اذن أن يلقب الانسان ملكا وهو دون مايقول به جمهور العلماء من ذكر تسبيح الحصى وكلام الذئب ومايجرى هذا المجرى (١) .

(٦) النطقاء ودرجاتهم وأدوارهم .

أطلق الاسماعيلية مصطلح النطقاء على أولى العزم من الرسل ويعنون بهم من يأتى لينسخ شريعة من قبله باظهار شريعة جديدة (٢) . وعلى الرغم من غرابة هذا المصطلح وابتداعه فانهم عللوا هذه التسمية بأن النطق قسمان :

أحدهما : مايتميز به الانسان عن البهائم وهو النطق عما فى الدنيا والآخر النطق عما فى الدار الآخرة المتميز به أهل التأييد الذين يتكلمون عما وراء الحجاب وهو الذى لايستطيع الاتيان به الانسان العادى بل يأتى من الأنبياء (٣) .

وتبعا لذلك عرفوا النطقاء بأنهم : هم الذين أرسلوا لهداية المخلوقات وتنظيم المبدعات وسن الشرائع والأحكام والتبليغ والانذار والشهادة ، فهم العباد المكرمون الذين

---

(١) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ١٣٦ نقلا عن المجلس المؤيدية .
(٢) اثبات النبوات للسجستانى ص ١٩١ .
(٣) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ١٣٥ .

لايسبقون بالقول وهم بأمره يعملون[1] .

ويرى الاسماعيلية أن لهؤلاء النطقاء درجات يتفاوتون فيها بتفاوت درجة الناطقية فيهم وشبهوا هذه الدرجات بأطوار خلق الانسان وركبوا كل طور على ناطق من النطقاء ابتداء من السلالة من الطين وانتهاء بانشاء الله لهذا الانسان خلقا آخر وهم يقابلون فى ذلك بين درجات هؤلاء النطقاء وأطوار الخلق التى ذكرها الله بقوله : {ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين}[2] .

فيقولون ان آدم مثل السلالة وممثوله المؤمنون . ونوح مثل النطفة وممثوله المكاسر ، وابراهيم مثل العلقة وممثوله المطلق ، وموسى مثل المضغة وممثوله الداعى ، وعيسى مثل العظام وممثوله الحجة ، ومحمد مثل اللحم وممثوله الباب والقائم مثل الخلق الآخر وممثوله الامام[3] .

ويقابل الباطنية بين أيام الأسبوع وبين النطقاء السبعة وذلك عندهم دلالة على بيان درجاتهم وتفاضلهم فيما بينهم ومما زعموا أن الأحد عندهم مثل آدم ، ونوح مثل الاثنين ، وابراهيم مثل الثلاثاء ، وموسى مثل الأربعاء ،

---

(١) رسالة مطالع الشموس للداعى الاسماعيلى ابو فراس ص ٣٣-٣٤ ، ضمن كتاب أربع رسائل اسماعيلية لعارف تامر ومن الملاحظ أن الوصف الأخير فى هذا النص ينطبق على الملائكة كما ذكر الله فى سورة الأنبياء آية ٢٧ .

(٢) سورة المؤمنون : ١٢-١٤

(٣) رسالة جلاء العقول لابن الوليد ص ١٣٧ .

وعيسى مثل الخميس ، ومحمد صلى الله عليه وسلم مثل الجمعة والقائم المنتظر مثل السبت . وعن ذلك يقول الداعى جعفر بن منصور اليمن : والجمعة مثل محمد صلى الله عليه وسلم فلهذا أمرنا بتعظيم يوم الجمعة وتشريفه فاتخذناه عيدا تعظيما لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم . والسبت مثل القائم من آل محمد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين فهو سابع النطقاء والسبت سابع الأيام وهو اليوم الآخر (١) .

ونلحظ التفاضل بين النطقاء عندهم كذلك حينما يقسمون الشرائع بينهم لكل نبى شريعة معينة ، يقول الداعى شهاب الدين : ان أول هؤلاء النطقاء آدم وقد جاء بالولاية لأنها أصل الدين والبداية وأتى بعده نوع بالطهارة ولأجلها وضعت الكناية والاشارة . ثم أتى ابراهيم بالصلاة لأنها صلة العبد بمولاه ، وجاء موسى بالزكاة لأن فيها امتحان فى العطاء والهبات . وبعده أتى عيسى بالصوم تنبيها للغافل المتكاسل فى النوم . ثم أتى محمد صلى الله عليه وسلم بالحج تنبيها لكل من كفر بالدين ولج . وسوف يأتى قائم الزمان بالجهاد حثا على المواظبة على فروض الدين والاجتهاد (٢) .

أما أدوار هؤلاء النطقاء فان الاسماعيلية يرون أن لكل واحد منهم دورا وتبتدىء هذه الأدوار بدور آدم عليه السلام وتنتهى بدور الناطق السابع محمد بن اسماعيل ويسمى مابين هذين الدورين (دورا كبيرا) ، أما مابين كل ناطق وناطق فيسمى (دورا صغيرا) يتخلله سبعة أئمة ، وعن ذلك يقول

---

(١) مخطوطة الشواهد والبيان ورقة ٤٠ .
(٢) رسالة مطالع الشموس للداعى أبى فراس ص ٣٣-٣٤ .

السجستانى : ان أدوار النطقاء سبعة تبدأ من آدم صاحب الدور الأول وتنتهى بالقائم صاحب الدور السابع ، وهذا الدور يسمى الدور الكبير ، أما بين كل ناطق وناطق فيسمى دورا صغيرا ويكون فيه سبعة ائمة الا فى الفترات .(١)

فآدم هو الناطق الأول للدور الأول وأساسه الصامت شيث وبعده ستة ائمة . وبعده نوح صاحب الدور الثانى وأساسه الصامت سام وبعده ستة أئمة . وبعده ابراهيم صاحب الدور الثالث وأساه الصامت اسماعيل وبعده ستة أئمة . وبعده موسى صاحب الدور الرابع وأساسه الصامت هارون وبعده ستة أئمة . وبعده عيسى صاحب الدور الخامس وأساسه شمعون الصفا ومن بعده ستة أئمة . ومن بعده محمد صاحب الدور السادس وأساسه على ومن بعده ائمة كثيرون حتى القائم الذى هو صاحب الدور السابع وصاحب الكشف والظهور .(٢)

(٧) استمرار النبوة والرسالة عندهم .

من أبرز معتقدات الاسماعيلية فى هذا الفصل اعتقادهم الصريح استمرار النبوة والرسالة وعدم ايمانهم ختمهما بالنبى الخاتم نبينا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فهم يعتقدون صراحة بنبوة ورسالة قائمهم محمد بن اسماعيل الذى يسمونه بالناطق السابع ولايجدون غضاضة فى القول بانه اتى ناسخا لشريعة الرسول السادس بل ناسخا لجميع الشرائع

---

(١) فسر السجستانى هذا الاستثناء فى الفصل قبل هذا ووضع عنوانا لذلك قوله (الفترة التى تقع فى الأدوار) وقال ان الفترة مشتقة من الفتور أو الاعياء أو الملل ، والمقصود منها انقطاع دور الامامة وزوال التأييد عن أصحاب هذه الفترة لعصيانهم وتمردهم !! انظر اثبات النبوات ص ١٩٢ .

(٢) اثبات النبوات للسجستانى ص ١٩٣ .

كلها والتي اتى بها النطقاء الستة قبله وهذه عباداتهم - بل كفرياتهم - في هذا المعتقد .

يقول السجستاني : ان من وقف على حد ابراهيم وآمن به وصدقه في دعواه ولم يعبره الى حد موسى فقد فرق بينه وبين موسى والذى أوصل الله حده بحده . ومن وقف على حد موسى وآمن به وصدقه ولم يعبره الى حد عيسى فقد فرق بينه وبين عيسى والذى أوصل الله حده به . ومن وقف على حد عيسى وآمن به وصدقه ولم يعبره الى محمد صلى الله عليه وسلم فقد فرق بينه وبين محمد والذى أوصل الله حده بحده . ومن وقف على محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به وصدقه ولم يعبره الى حد القائم كما قال : بعثت انا والساعة كهاتين فقد فرق بينه وبين صاحب القيامة والذى أوصل الله حده بحده .(١)

ويقول أيضا تحت عنوان (في دور القائم ورسومه وقدرتها) :

ان القائم سلام الله على ذكره في الولادة والاغتذاء وظهور النسل عنه كآبائه عليهم السلام ولافرق بينه وبينهم من هذه الجهة الا بشرف الرتبة وهو متمم النطقاء ، فاذا ظهر ظهرت الآيات وتكشفت المستورات وأفطر المؤمنون من صيامهم وأن القائم هو نهاية الكل من الرسل وهو يجمع بين النواميس المختلفة المتفرقة المتباينة بالكشف عن حقائقها فتصير مجموعة كأنها شريعة واحدة وكأن أممها أمة واحدة .(٢)

---

(١) اثبات النبوات للسجستاني ص ٤٢-٤٣ .
(٢) المرجع السابق ص ١٩١ .

ويقول الداعى طاهر الحارثى : ان محمد بن اسماعيل يعتبر متمما للدور وخاتما للرسل المنتهية اليه غاية الشرائع المختومة به المشتمل على مراتب حدودها المحيط بعلومهم وهو القائم بالقوة صاحب الكشفة الأولى قائم القيامة الكبرى .

ومما يقول الاسماعيليون عن نبيهم المزعوم : ان قيامه يعتبر تمام دور الستر واعتقاد دور الكشف ونسخ شريعة الرسول السادس - ويقصدون بذلك محمد صلى الله عليه وسلم - ومن ادعية الحاكم العبيدى المعز قوله : وعلى القائم بالحق الناطق بالصدق التاسع من جده الثامن من أبيه الكوثر السابع من آبائه الائمة سابع الرسل من آدم وسابع الأوصياء من شيث وسابع الأئمة من البررة ... الى قوله الذى شرفته وعظمته وكرمته وختمت به عالم الطبيعة وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كل ذلك بالقوة لابالفعل .(١)

ومن عباراتهم عنه قولهم أنه المحدد للنسخ بخروجه بالسيف وظهوره وقلة استتاره وقتله الاضداد وقهره لهم وكونه أقوى من الناسخ واعظم قدرة وأظهر أمرا .(٢)

ومما قالوا أيضا عن قائمهم هذا : ان ماورد من خبر الرسول صلى الله عليه وسلم من صفة العرش واستواء الرب عليه ومجيئه فى ظلل من الغمام والملائكة للمجازاة والمحاسبة والاثابة والمعاقبة ان ذلك كله يصح ظاهره فى قائم القيامة على ذكره السلام المستوفى قوى السموات والارض

---

(١) الحقائق الخفية للأعظمى ص ١٢٩-١٣٠ .
(٢) المرجع السابق ص ١٣١ .

الستة الذين هم النطقاء الستة في مدة أدوارهم الستة المكني عنه بخلق السموات والأرض في ستة أيام وكان معنى استوائه على العرش في اليوم السابع هو انه على ذكره السلام محيط بهم احاطة العلم مالك لأمرهم ملكا (١) .

ومن تأويلاتهم الباطنية للآيات القرآنية لتأكيد معتقدهم هذا أن الداعي الاسماعيلي جعفر بن منصور اليمن أول المقصود بمن آمن بالله واليوم الآخر في قوله تعالى : {إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون} (٢) بأن المقصود منه القائم سابع النطقاء فمن آمن به من كل فرقة وعمل صالحا بطاعته كان لهم أجر ذلك عند ربهم ولاخوف عليهم حتى من كان منهم في التكذيب لمن قبله في الرسل لأنه خاتم الرسل وصاحب الفضل صلى الله عليه وسلم (٣) .

ولايخفى مافي هذا النص من الطعن بالرسول صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الأنبياء والرسل كما لايخفى أيضا التصريح برسالة ونبوة قائمهم !

وفوق ذلك كله ادعوا أن لفظ شهادة أن محمدا رسول الله التي ترد في الاذان انما المقصود بها محمد بن اسماعيل وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يقول تلك العبارة انما يغني محمد بن اسماعيل أيضا اذ لايمكن أن يقول ذلك عن نفسه (٤) .

---

(١) جلاء العقول لابن الوليد ص ١٤٣ ضمن كتاب منتخبات اسماعيلية لعادل العوا .
(٢) سورة المائدة : ٦٩
(٣) مخطوطة كتاب الشواهد والبيان ورقة ٤٢ .
(٤) انظر مسائل مجموعة من الحقائق جمع شتروطمان ص ٩٩ .

وفي كتاب باطني آخر علل كون الشهادة مثناة في الاذان أن الأولى للرسول صلى الله عليه وسلم والثانية لمحمد بن اسماعيل الذى هو متم دوره وهو سابع الرسل . بل ان هذا الباطني قال ماهو أغلظ كفرا والحادا مما سبق حيث اعتبر قائم القيامة أمره فوق هؤلاء الرسل فكل واحد منهم لايعدو سوى عضو من أعضائه فهو القائم الكلى الذى صار عقلا كليا كأحد العقول الابداعية المجردة فهو القائم بتدبير العالم (١) .

ويذهب بهم التأويل الباطني شأوا بعيدا حينما زعموا أن الرسول المذكور في قوله تعالى : {هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله} (٢) بأن المقصود منه القائم السابع حيث ان النبي محمد صلى الله عليه وسلم انتقل الى جوار ربه واليهود والنصارى لازالوا على دينهم فلم يتم ظهور هذا الدين الا في عهد القائم فالضمير في (رسوله) (ويظهره) المقصود منه القائم المنتظر (٣) .

وأخيرا ففي نصوصهم مايدل دلالة يقينية على أن قائمهم أفضل وأكمل من صفوة الخلق وأفضلهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

يقول الداعي أبو فراس في كتابه الايضاح : أن كل خلف يكون أفضل من كل سلف فنوح أفضل من آدم ، وابراهيم أفضل من نوح ، الى أن تهيأ ظهور من هو أفضل من ابراهيم وهو موسى ثم ظهر من هو أفضل من موسى وهو عيسى الى أن تهيأ

---

(١) انظر كتاب الأنوار اللطيفة للداعي الحارثي ص ١٦١ ضمن كتاب الحقائق الخفية للأعظمي .
(٢) سورة التوبة : ٣٣ ، سورة الفتح : ٢٨ ، سورة الصف : ٩
(٣) مخطوطة الشواهد والبيان لجعفر بن منصور اليمن ورقة ٣٢-٣٣ .

ظهور من هو أفضل من عيسى وهو محمد الى أن تهيأ ظهور من هو أفضل من محمد وهو القائم ! (١)

وبهذه العبارات المختارة من مؤلفاتهم ومصادرهم والتى تصور مذهبهم فى هذا الأصل انتقل بعد ذلك الى ماسطره علماء الفرق والمقالات حيث كشفوا عن سرائرهم وباطنيتهم وبينوا معتقدهم عن النبوة والأنبياء ومافيه من زيغ وضلال وانحراف .

تصوير علماء الفرق لمعتقد الاسماعيلية عن النبوة والأنبياء :

يقول الملطى ان القرامطة ـ وهم فرقة من فرق الاسماعيلية ـ قالوا : ان الأنبياء والأئمة تولدوا من النور الشعشعانى المتولد من النور العلوى فهم بخلاف طبائع الناس والأنبياء لديهم يعلمون الغيب ويقدرون على كل شىء ولايعجزهم شىء ويقهرون ولايقهرون ويعلمون ولايعلمون ولهم علامات ومعجزات وامارات ومقدمات قبل مجيئهم وظهورهم وبعد ظهورهم يعرفون بها وهم مباينون لسائر الناس فى صورهم وأطباعهم وأخلاقهم وأعمالهم . (٢)

ويقول الامام الغزالى : ان مذهبهم فى النبوات قريب من مذهب الفلاسفة وهو أن النبى عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق ـ بواسطة التالى ـ قوة قدسية صافية مهياة لأن تنتقش ـ عند الاتصال بالنفس الكلية ـ بما فيها من الجزئيات كما قد يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية فى المنام حتى تشاهد من مجارى الأحوال فى المستقبل اما صريحا بعينه أو مدرجا تحت مثال يناسبه مناسبة ما فتفتقر فيه الى التعبير الا أن

---

(١) كتاب الايضاح للداعى أبى فراس ص ٤٣ .
(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبى الحسين الملطى ص ٢٠ .

النبى هو المستعد لذلك فى اليقظة فلذلك يدرك النبى الكليات العقلية عن شروق ذلك النور وصفاء القوة النبوية كما ينطبع مثال المحسوسات فى القوة الباصرة من العين عند شروق نور الشمس على سطوح الاجرام السفلية .

وزعموا أن جبرائيل عبارة عن العقل الفائض عليه ورمز اليه لانه شخص منسجم متركب عن جسم لطيف او كثيف يناسب المكان حتى ينتقل من علو الى سفل .

وزعموا أن هذه القوة القدسية الفائضة على النبى لاتستكمل فى أول حلولها كما لاتستكمل النطفة الحالة فى الرحم الا بعد تسعة أشهر فكذلك هذه القوة : كمالها فى أن تنتقل من الرسول الناطق الى الأساس الصامت وهكذا تنتقل الى اشخاص بعضهم بعد بعض حتى يكمل فى السابع .

ثم ينقل عنهم أيضا انهم قالوا : كل نبى لشريعته مدة فاذا انصرمت مدته بعث الله نبيا آخر ينسخ شريعته ومدة شريعة كل نبى سبعة اعمار وهو سبعة قرون فأولهم هو النبى الناطق ومعنى الناطق أن شريعته ناسخة لما قبله . ومعنى الصامت : ان يكون قائما على ماأسسه غيره ثم انه يقوم بعد وفاته ستة أئمة . امام بعد امام فاذا انقضت أعمارهم ابتعث الله نبيا آخر ينسخ الشريعة المتقدمة وزعموا أن أمر آدم جرى على هذا المثال وهو أول نبى ابتعثه الله فى فتح باب الجسمانيات وحسم دور الروحانيات .

وبعد نقل الغزالى لجميع مزاعمهم فى النبوات يؤكد على أن هذه المعتقدات مستخرجة من مذاهب الفلاسفة فى النبوات مع تحريف وتغيير .(١)

(١) فضائح الباطنية للغزالى ص ٤٠-٤٣ .

ويحكم البغدادى على الباطنية - والاسماعيلية فرقة منهم - بأنهم دهرية زنادقة لقولهم بقدم العالم وانكارهم للرسل والشرائع ويستدل على ذلك بكتاب السياسة والبلاغ الأكيد وفيه رسالة متبادلة بين عبيد الله المهدى - أول أئمة دور الظهور عند الاسماعيلية - وداعية من دعاته ومما ورد فى هذه الرسالة قول الداعية : وانا والفلاسفة مجمعون على أن الأنبياء ماهم الا أصحاب نواميس وحيل ساسوا بها الناس طلبا للزعامة بدعوى النبوة والامامة . وكل واحد من هؤلاء صاحب دور مسبع اذا انقضى دور سبعة تبعهم سبعة فى دور آخر ومما جاء فى هذا الكتاب أيضا الوصية التالية من الامام الاسماعيلى لأحد دعاته قائلا : وينبغى أن تحيط علما بمخاريق الأنبياء ومناقضاتهم فى أقوالهم كعيسى بن مريم قال لليهودى لاأرفع شريعة موسى ثم رفعها بتحريم الأحد بدلا من السبت وأباح العمل فى السبت وأبدل قبله موسى بخلاف جهتها ولهذا قتلته البلاد لما اختلفت كلمته .

ثم قال له : ولاتكون كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال : الروح من أمر ربى لما لم يحضره الجواب ولاتكون كموسى التى لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة ولما لم يجد المحق - فرعون - فى زمانه عنده برهانا قال له : لئن اتخذت الها غيرى . وقال لقومه : أنا ربكم الأعلى لأنه كان صاحب الزمان فى وقته (١) .

ونقل البغدادى أيضا عن بعض من دخل فى دعوى الباطنية

---

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٧٨-٢٨١ .

وتـاب من ضلالهم أنهم لما وثقوا منه بايمانه بدعوتهم قالوا لـه : ان المسمين بالأنبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب نواميس ومخارق احبوا الزعامة على العامة فخدعوهم بنيرنجات واستعبدوهم بشرائعهم (١) .

أما الديلمي فيقول ان الباطنية - والاسماعيلية فرقة منهم - يجحدون النبوات وينكرون المعجزات ويزعمون أنها من قبيل الشعبذة والطلسمات ويقولون ان النبوة مادة ترد عن السابق على قلب من وقعت به للتالى عناية وأنه انما يأتى من مايقال انه معجز لمعرفته بخواص الأشياء وطبائعها ويطعنون على الأنبياء صلوات الله عليهم جميعا خصوصا محمدا صلى الله عليه وسلم ويسمونه زعيم الأمة المنكوسة (٢) .

ويصور العلوى مذهب الاسماعيلية فى النبوات فيقول : وقولهم فى النبوات قريب من مذهب الفلاسفة ولكنهم ضعفوا عن معقول كلام الفلاسفة فخبطوا فيه وقالوا : ان النبى عبارة عن شخص فاض عليه من السابق بواسطة التالى قوة قدسية صافية مهيأة لأن تنقش عند الاتصال بالنفس الكلية بما فيها من الجريان كما يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية فى المنام حتى تشاهد فى مجارى الأحوال فى المستقبل لذلك فى اليقظة ، فلذلك يدرك النبى الكليات عند صفاء القوة النبوية كما سطع مثال المحسوسات فى القوة الباصرة من العين عند شروق الشمس على سطوح الأجسام الصقيلة (٣) .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٢ .
(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٣٥-٣٦ .
(٣) الافحام لأفئدة الباطنية الطغام ليحيى العلوى ص ٥٣ .

وفى معرض الرد على الاسماعيلية من الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى يصور مذهبهم فى النبوات بقوله : ان هؤلاء القوم ماقدروا الله حق قدره ولاقدروا الأنبياء قدرهم لما ظنوا أن الانسان اذا كان فيه استعداد لكمال تزكية نفسه واصلاحها فاض عليه بسبب ذلك المعارف من العقل الفعال كما يفيض الشعاع على المرآة المصقولة اذا جليت وحوذى بها الشمس . وان حصول النبوة ليس هو أمرا يحدثه الله بمشيئته وقدرته وانما حصول هذا الفيض على هذا المستعد كحصول الشعاع على هذا الجسم الصقيل ... ثم يضيف ابن تيمية الى أن هؤلاء الملاحدة يدعون أن خطابه لموسى بن عمران ليس هو الاماحصل فى نفس موسى من الالهام والايحاء والواحد من أهل الرياضة والصفاء قد يخاطب كما خوطب موسى بن عمران وأعظم من ذلك . وانه قد يسمع نفس الخطاب الذى سمعه موسى . ومن هؤلاء من يقول ان الخطاب الذى يحصل لهم أفضل مما حصل لموسى وغيره وهذا مذهب ابن عربى صاحب الفتوحات المكية (١) .

وأمثاله ممن يدعى ان ماحصل لموسى ومحمد انما كان بواسطة الخيال النفسانى الذى هو عنده جبريل وان مايحصل لابن عربى هو فوق ذلك فانه يأخذ من المعدن العقلى المحض الذى يأخذ منه الملك الذى هو عندهم خيال فى نفس النبى ومرتبة العقل فوق مرتبة الخيال فلما اعتقدوا أن الملائكة التى تخاطب الأنبياء انما هى خيالات تقوم بنفس الأنبياء زعموا انهم اذا أخذوا عن العقل المحض كانوا قد أخذوا من

---

(١) من المعروف أن مذهب الفلاسفة والاسماعيلية فى النبوات مذهب واحد كما نقل ذلك عن علماء الفرق والمقالات فابن عربى واحد من فلاسفة الصوفية الذين يعبرون عن معتقدهم فى النبوات .

المعدن الذى تأخذ منه الملائكة الذين أخذ عنهم الأنبياء فكانوا أفضل من الأنبياء عند أنفسهم وعند أتباعهم (١) .

وينقل الشهرستانى مذهبهم عن الأفلاك وحركاتها ومن خلالها أوجبوا مايسمونه بالناطق وهو النبى يقول عنهم انهم قالوا :

ولما اشتاقت النفس الى كمال العقل احتاجت الى حركة من النقص الى الكمال واحتاجت الحركة الى آلة الحركة فحدثت الأفلاك السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس وحدثت الطبائع البسيطة بعدها وتحركت حركة استقامة بتدبير النفس أيضا فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان وكان نوع الانسان متميزا عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار وكان عالمه فى مقابلة العالم كله وفى العالم العلوى عقل ونفس كلى فوجب أن يكون فى هذا العالم عقل مشخص هو كل وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق وهو النبى ونفس مشخصه وهو كل أيضا وحكمه حكم الطفل الناقص المتوجه الى الكمال أو حكم النطفة المتوجهة الى التمام أو حكم الأنثى المزدوجة بالذكر ويسمونه الأساس وهو الوصى .

قالوا : وكما تحركت الأفلاك والطبائع بتحريك النفس والعقل كذلك تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبى والوحى فى كل زمان دائرا على سبعة سبعة حتى ينتهى الى الدور الأخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمل السنن والشرائع (٢) .

---

(١) انظر كتاب الصفدية لابن تيمية ١/٢٢٩-٢٣١ .
(٢) الملل والنحل للشهرستانى ص ١٩٣-١٩٤ .

وهكذا وكما استنبط أحد الكتاب المعاصرين من كتابات المتقدمين نجد أن النبوة عندهم عبارة عن مادة ترد من السابق فتقع على حقائق الأشياء وبواطنها وخاصيتها فيحصل من خلال ذلك معرفة تركيب الأفلاك وطبائع الأجسام فالأنبياء بنوا شرائعهم على حقائق تركيب الأفلاك (١) .

ومن خلال هذه النصوص التى تقدمت – سواء كانت اسماعيلية أو سنية – نستطيع أن نرسم المنطلقات الأساسية لمعتقد الاسماعيلية عن النبوة والأنبياء فهم :

أولا : اعتبروا النبوة رتبة يمكن لأى مدعى الوصول اليها ولاسيما المستجيبين لفكرتهم ودعوتهم ومن أبرز ذلك مايسمونه بالناطق وهذا اللفظ يطلق فى بعض عباراتهم على النبى أو الرسول ، وفى البعض الآخر رتبة عالية من رتب المرتقين فى سلم الدعوة يصل اليها المستجيب .

وتبعا لذلك عرفوا النبوة تعريفا يعتبرها قدرا مشتركا بين سائر البشر كسائر العلوم والمدركات التى تنال بالجهد والكسب .

وثانيا : اعتبروا رتبة الولاية والوصاية أعظم قدرا وأفضل منزلة من رتبة النبوة والرسالة ومن هذا المنطلق اعتقدوا ان بعض أئمتهم وزعمائهم أندادا ومماثلين للأنبياء والرسل بل فضلوهم فى بعض الحالات ويبدوا هذا واضحا من خلال عباراتهم عن محمد بن اسماعيل .

---

(١) مقدمة كتاب الافحام لأفئدة الباطنية الطغام للنشار ص ٢١ .

وثالثا : أنكروا معجزات الأنبياء والرسل واعتبروها من جملة المخاريق والشعبذة وماورد من هذه المعجزات مما لاسبيل الى رده فسروه حسب تأويلاتهم الباطنية .

ورابعا وأخيرا لايؤمنون بختم النبوة وانقطاع الوحى وانتهاء الرسالات بل اعتقدوا خلاف ذلك مما جعل المجال مفتوحا أمام المشعوذين والدجالين سواء منهم أو من غيرهم .

ان هذه الضلالات الأربع التى استخلصتها آنفا من نصوصهم ونصوص علماء الفرق تعتبر من أظهر معتقداتهم وأبرزها عن النبوات والأنبياء وهى كافية لايضاح ضلالهم والحادهم فى هذا الأصل ، ولو ذهبنا نستقصى كل ماقالوا وسطروا لوجدنا الكثير من الغثاء الذى لاقيمة له لفظا ومعنى وحسبنا أن انحرافاتهم فى هذا الأصل جميعا راجعة الى هذه الضلالات الأربع ومتفرعة عنها .

الضلالة الأولى : أن النبوة عند الاسماعيلية أمر كسبى ينال بالجهد والتعلم والرياضات النفسية ويمكن الوصول الى درجة النبوة من هذه الطرق أو غيرها ولذا ـ وكما سبق بيانه فى رتب المستجيبين ـ يصل المستجيب الى رتبة الناطقية بعد تدرجه فى مراحل الدعوة وبلوغه الغاية القصوى فى المذهب حتى يصبح ناطقا من النطقاء الذين هم الأنبياء والرسل . ان هذه الضلالة والمنطلق لديهم يعتبر من أعظم المداخل التى استند اليها المتنبئون ومدعو الرسالات ولاسند لهم فيه من دين أو عقل ، وبيان ذلك من وجهين :

الأول : القرآن الكريم حيث وردت الآيات الكثيرة التى تنسف هذا المنطلق وتبين بوضوح وجلاء ان النبوة اصطفاء

وتفضل ومنه من الله عز وجل وليست مكتسبة كما يزعم الباطنية وأساتذتهم من الفلاسفة .

قال تعالى : {الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير} (١) .

يقول سيد رحمه الله على هذه الآية : ان الله القوى العزيز يختار رسله من الملائكة الى الأنبياء ويختار رسله من البشر الى الناس وذلك عن علم وخبرة وقدرة وعن صاحب القوة العزيز الجناب يصدر الاختيار للملائكة والرسل ومن لدن القوى العزيز جاء محمد صلى الله عليه وسلم الذى اختاره واصطفاه (٢) .

وقال تعالى : {واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون} (٣) .

يقول الشوكانى على هذه الآية : والمعنى اذا جاءت الأكابر آية قالوا هذه المقالة فأجاب الله على ذلك بقوله {الله أعلم حيث يجعل رسالته} أى أن الله أعلم بمن يستحق أن يجعله رسولا ويكون موضعا لها وأمينا عليها وقد اختار أن يجعل الرسالة فى محمد صفيه وحبيبه فدعوا طلب ماليس من شأنكم (٤) .

ويقول سيد عن هذه الآية أيضا : والله وحده سبحانه هو الذى يعلم أين يضع رسالته ويختار لها الذات التى تنتدب من

---

(١) سورة الحج : ٧٥
(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب ٥/٦٣٠ .
(٣) سورة الأنعام : ١٢٤
(٤) فتح القدير للشوكانى ٢/١٥٩ .

بين ألوف الملايين ويقال لصاحبها : انت منتدب لهذا الأمر الهائل الخطير . والذين يتطلعون الى مقام الرسالة أو يطلبون ان يؤتوا مثل ما أوتى الرسول هم أولا من طبيعة لاتصلح اساسا لهذا الأمر فهم يتخذون من ذواتهم محورا للوجود الكونى والرسل من طبيعة أخرى طبيعة من يتلقى الرسالة مستسلما ويهب لها نفسه وينسى فيها ذاته ويؤتاها من غير تطلع ولاارتقاب . ثم هم بعد ذلك جهال لايدركون خطورة هذا الأمر الهائل ولايعلمون ان الله وحده هو الذى يقدر بعلمه على اختيار الرجل الصالح لذلك يجبههم الرد الحاسم {الله أعلم حيث يجعل رسالته} وقد جعلها الله سبحانه حيث علم واختار لها أكرم خلقه وأخلصهم وجعل الرسل هم ذلك الرهط الكريم حتى انتهت هذه الرسالات الى محمد خير خلق الله وخاتم النبيين[(١)] .

وقال تعالى : {وماكان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء ...}[(٢)] الخ الآية .

وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : {وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم}[(٣)] .

وقال تعالى : {قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وماكان لنا أن نأتيكم

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ٣٧٩،٣٧٨/٣ .
(٢) سورة آل عمران : ١٧٩
(٣) سورة الشورى : ٥٢

بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون}[(١)] .

يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : {ولكن الله يمن على من يشاء من عباده}[(٢)] أى بالرسالة والنبوة . فالنبوة اذا ليست أمرا كسبيا انما هى منه من الله عز وجل يمن بها على من شاء من عباده .

وقال تعالى فى شأن نبوة موسى عليه الصلاة والسلام : {قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين}[(٣)] .

وقال تعالى فى شأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : {ان أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده}[(٤)] .

والآيات التى تنص على أن النبوة والرسالة اصطفاء واختيار من الله عز وجل كثيرة جدا وهى ترد على مزاعم الاسماعيلية ومن حذا حذوهم من فرق الباطنية الأخرى والفلاسفة القائلين بأن النبوات تنال بالجهد والكسب والمزاولة وغير هذه الأمور .

الوجه الثانى :

ان هذا المنطلق ـ وهو اعتقاد كسبية النبوة ـ يخالف ما اجمع عليه المسلمون على تعدد مقالاتهم وفرقهم ولم يشذ بهذا القول سوى الفلاسفة وفرق الباطنية وهى جميعا خارجة من فرق الأمة سواء بهذا المعتقد أو غيره من المعتقدات الأخرى

---

(١) سورة ابراهيم : ١١
(٢) تفسير ابن كثير ٥٢٥/٢ .
(٣) سورة الأعراف : ١٤٤
(٤) سورة النساء : ١٦٣

وهذه بعض نصوص علماء العقيدة على دلالة هذا الوجه الذى ذكرناه آنفا .

يقول ابن تيمية : وهؤلاء عندهم النبوة مكتسبة وكان جماعة من زنادقة الاسلام (كذا) يطلبون أن يصيروا أنبياء .

والحاصل أن النبوة فضل من الله وموهبة ونعمة يمن بها سبحانه ويعطيها لمن يشاء من عباده أن يكرمه بالنبوة فلايبلغها أحد بعلمه ولايستحقها بكسبه ولاينالها عن استعداد ولايته بل يخص بها من يشاء من خلقه ومن زعم انها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله لأنه يقتضى كلامه واعتقاده أن لاتنقطع وهو مخالف للنص القرآنى والأحاديث المتواترة لأن نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام (١) .

ويقول فى موضع آخر : والنبوة الحق هى انباء الله لعبده ونبى الله من كان الله هو الذى ينبئه ووحيه من الله وأما هؤلاء المتنبئين فان وحيهم من الشيطان ولهذا كان من أصولهم ان النبوة مكتسبة (٢) .

ويعبر الآمدى عن أن النبوة اصطفاء واختيار من الله عز وجل يعبر عن ذلك بقوله : وليست النبوة معنى يعود الى ذاتى من ذاتيات النبى ولاالى عرض من أعراضه استحقها بكسبه وعمله ولاالى العلم بربه فان ذلك مما يثبت قبل النبوة ولاالى علمه بنبوته اذ العلم بالشىء غير الشىء {ولكن الله يمن على من يشاء من عباده} فليست الا موهبة من الله تعالى

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفارينى ٢٦٨/٢ .
(٢) انظر كتاب النبوات لابن تيمية ص ١٧٠ .

ونعمة منه على عبده وهو قوله لمن اصطفاه واجتباه : انك رسول ونبى .(١)

ويقول الشهرستانى : والنبوة ليست صفة راجعة الى نفس النبى ولاالى درجة يبلغ اليها أحد بعلمه وكسبه ولااستعدادا لنفسه يستحق به اتصالا بالروحانيات بل رحمة من الله تعالى ونعمة يمن بها على من يشاء من عباده .(٢)

واذا كانت هذه نصوص العلماء فى نفى القول باكتساب النبوة فانه حتى العلماء المتأثرين بالفلسفة أكدوا بأن النبوة وحى من الله عز وجل ولادخل للكسب والتعلم الانسانى فى بلوغ رتبتها .

يقول ابن رشد : ان الصنف الذين يسمون رسلا وأنبياء هم الذين يضعون الشرائع للناس بوحى من الله لابتعلم الانسان ومن وجد عنه هذا الفعل - الذى هو وضع الشرائع - بوحى من الله تعالى فهو نبى .(٣)

أما المنطلق الثانى أو الضلالة الثانية فى معتقد الاسماعيلية فى النبوة والأنبياء فهو اعتبارهم الأولياء والأئمة أعظم قدرا وأفضل رتبة من الأنبياء والرسل وهذا المنطلق الخطير من منطلقات فرق الغلاة والملاحدة من فرق الصوفية والباطنية واشتهر به أكثر أصحاب وحدة الوجود الذين اشتهر عنهم هذا البيت :

مقام النبوة فى برزخ ‏ ‏ ‏ ‏ فويق الرسول ودون الولى (٤)

ولايخفى ان هذا الاعتقاد من الأهواء المضلة التى تسربت

---

(١) غاية المرام فى علم الكلام للآمدى ص ٣١٧ .
(٢) نهاية الاقدام للشهرستانى ص ٤٦٢ .
(٣) مناهج الادلة لابن رشد ص ٢١٥ .
(٤) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٥٨/٤ .

الى المجتمع الاسلامى عن طريق أصحاب الديانات الوضعية من صوفية الهند مع ماهو واضح من فساد وبطلان هذا المعتقد نقلا وعقلا .

فمن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام أن الأنبياء والرسل افضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ولارسلا والنصوص التى تدل على هذه الأفضلية كثيرة جدا سواء من القرآن أو السنة أو حتى من ناحية العقل فانه لايتصور وصول الى رتبة الولاية الا باتباع الرسل وماجاءوا به فالولى - كما هو معروف - مستفيد من النبى وتابع له فكلما قرب من النبى كان افضل وكلما بعد عنه كان بالعكس ولذا كان للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار من الفضل والأجر ماليس لغيرهم فأفضل أولياء الله من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم جميعا وأمثالهم من السابقين الأولين كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة ومع عظم منزلة هؤلاء وكونهم أفضل أولياء الله تعالى بعد الأنبياء والمرسلين لم يدعى أحد منهم البتة أنهم - كأولياء - أفضل من الأنبياء فكيف بمن يدعى الولاية وهو من أبعد البشر عنها وعن الأسباب الموصلة اليها فولاية ائمة الاسماعيلية ومن ضاهاهم من غلاة الصوفية تعتبر ولاية موهومة لاحقيقة لها ولاوجود ومن ثم فانها دعوة كاذبة كغيرها من أكاذيبهم وادعاءاتهم الزائفة كيف لا ولديهم ماينافض ولاية الله ولهم من فساد فى العقائد وانحراف عن المفاهيم الأساسية للاسلام وترك للعبادات واعراض عما جاءت به الرسل من الخير والصلاح فولايتهم اقرب الى أن تكون ولاية شيطانية بل هى كذلك لاصلة لها بالله ولارسله أو كتبه .

ونلاحظ أن القرآن والسنة ينظران في الأولياء الى معال سامية وأهداف عظيمة من وجدت فيه استحق أن يكون من أولياء الله فقد أخبر القرآن الكريم بأن أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون وبين الله المتقين في قوله تعالى : {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون} (١) .

وبينت السنة أن الطريق الى الولاية هو أداء الفرائض والتقرب الى الله بالنوافل (٢) والفرائض تشمل كل والواجبات المطلوبة من الانسان . والنوافل تشمل كل الأعمال الصالحة التي رغب فيها الشرع فمن أجل هذه المعاني العملية التي في تلك الأعمال أطلقت كلمة ولي على الصحابة رضوان الله عليهم ولذا يقول الشوكاني : ان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الصنف الذي تتمثل فيه صفات الأولياء أتم تمثيل بعد الأنبياء وذلك لأن لهم النصيب الوافر من طاعة الله سبحانه ومن التقرب اليه بما يحبه ويرضاه ومن العمل بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد جمعوا بين الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلم والعمل بما جاء به والوقوف معه في السراء والضراء . ولهذا فهم خير العالم

---

(١) سورة البقرة : ١٧٧

(٢) وذلك كما في حديث أبي هريرة الذي أورده البخاري في صحيحه انظر فتح الباري ١١/٣٤٠-٣٤١ .

بأسره لايفضلهم احد الا الأنبياء والملائكة فاذا لم يكونوا رأس الأولياء وصفوة الاتقياء فليس لله أولياء ولاأتقياء فقول الله تعالى ـ كما جاء فى الحديث القدسى ـ : "من عادى لى وليا" يصدق عليهم صدقا أوليا ومن يأتى بعدهم ممن يقال له انه من الأولياء فليس يصدق عليه هذا الاسم الا اذا كان متبعا لرسول الله فى أقواله وأفعاله ومحصلا من الأعمال ماحصله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد موته .(١)

وبهذا يتبين لنا بعد فرق الباطنية ـ والاسماعيلية فرقة منهم ـ والصوفية عن الولاية ومدلولاتها وانهم من أبعد الناس عنها ولايملكون من ذلك سوى الادعاء الكاذب الذى بنوا عليه معتقدهم بأفضلية أئمتهم وأوليائهم ـ ان كان لهم أولياء ـ على أنبياء الله ورسله .

هذا فضلا عن أن معتقدهم هذا فيه من التنقيص بالأنبياء والرسل والازدراء بهم والتقدم عليهم بالدعاوى الكاذبة التى ليس عليها حجة بل هى معلومة الفساد بأدنى عقل وايمان وأيسر مايسمع من كتاب وقرآن .

أما المنطلق الثالث أو الضلالة الثالثة للاسماعيلية فى باب النبوات فهو انكار المعجزات التى أجراها الله عز وجل على أنبيائه ورسله وسبيلهم فى ذلك أحد أمرين :

الأمر الأول : تأويل هذه المعجزات تأويلا باطنيا لايتفق فى كثير ولاقليل مع أدلة الشرع ونصوص اللغة .

الأمر الثانى : وصف هذه المعجزات بالأوصاف السيئة

---

(١) ولاية الله لابراهيم هلال ص ١١٠-١١٢ .

والشائنة كقولهم عنها طلسمات أو شعابيذ أو مخاريق وقد وردت هذه العبارات فى وسط الرسالة المتبادلة بين امام العبيديين وأبى طاهر القرمطى (١) .

وكلا المسلكين باطل ومردود فالأول منهما لعب بالألفاظ حسب أمزجتهم وأهواءهم وسبق أن بينا بطلان التأويل وذلك فى الفصل الأول من هذا الباب .

والثانى طعن صريح فى القرآن والرسل وبيان ذلك من وجهين :

الأول ان الله عز وجل ذكر معجزات الأنبياء والرسل فى مواضع كثيرة من القرآن فقال عن معجزة صالح {والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم} (٢) .

وقال عن معجزتى موسى وهما انقلاب العصا حية ، واخراج يده بيضاء من غير سوء {قال القها ياموسى، فالقاها فاذا هى حية تسعى . قال خذها ولاتخف سنعيدها سيرتها الأولى . واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى} (٣) .

وقال تعالى عن معجزة عيسى {واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الأكمه والأبرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى ...} (٤) .

وقال تعالى : {قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل

---

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٧٨-٢٨١ .
(٢) سورة الأعراف : ٧٣
(٣) سورة طه : ١٨-٢٢
(٤) سورة المائدة : ١١١

علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين} (١) .

وأما معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم فهى من أعظم المعجزات وأدومها وهى معجزة باقية للأجيال المتتابعة تقرؤه وتؤمن به الى يوم القيامة بخلاف المعجزات المحسوسة والتى تخاطب جيلا واحدا . ان معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام هى انزال القرآن الذى لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لم يستطيعوا ولم يقاربوا وقد تحدى الله العرب مع ما أوتوا من فصاحة وبلاغة أن يأتوا بمثل هذا القرآن ثم تدرج بعشر سور مثله ثم بسورة من مثله (٢) .

ولم يزل يتحداهم بما كانوا يعتقدون فى أنفسهم القدرة عليه والتمكن منه حتى استكانوا وذلوا وصاروا حيال فصاحته فى أمر مريج وماذاك الا لحسن بيانه وروعة معانيه ودقة ائتلاف ألفاظه ومبانيه (٣) .

ان وصف هذه المعجزات التى ذكرها الله فى القرآن فى مواضع متعددة بالشعبذة والمخرقة يعتبر من أعظم الالحاد فى آيات الله والطعن فى كتابه الذى وصفه الله بقوله : {لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد} (٤) .

الوجه الثانى : ان من لازم وصفهم معجزات الأنبياء والرسل بالأوصاف السيئة والشائنة الطعن فى الأنبياء والرسل

---

(١) سورة المائدة : ١١٤
(٢) الاشارة فى ذلك الى سورة الاسراء : ٨٨ ، هود : ١٣ ، البقرة : ٢٣
(٣) انظر مقدمة اعجاز القرآن للسيد صقر ص ٥-٦ .
(٤) سورة فصلت : ٤٢

حيث أن أصحاب الشعبذة والمخرقة هم شياطين الانس والجن من السحرة والكهنة والمشعوذين فهم بذلك يسوون بين هؤلاء وبين الأنبياء والرسل ولاريب ان هذا طعن صريح فى أنبياء الله ورسله الذين فضلهم الله وأكرمهم بالنبوة والرسالة وهذا الطعن من الاسماعيلية أشبه بطعن الكفار فى الرسول صلى الله عليه وسلم وفى معجزته الباقية القرآن حيث قالوا عنه ساحر أو مجنون وقالوا عن القرآن انه سحر أو شعر أو قول كاهن وقد رد الله عليهم ذلك بقوله تعالى : {وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولابقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين} (١) .

فالطعن فى المعجزات سواء بانكارها أومايؤول الى الانكار من تأويل أو تحقير يعتبر فى الحقيقة هدم للنبوات وطعن أصحابها وماأرسلوا به من الوحى . ومن الواضح – كما ذكر أحد العلماء – أن الذى ينكر المعجزة لغرابتها وشذوذها عن المألوف خليق أن ينكر الوحى نفسه لأنه أمعن فى الغرابة وفى الشذوذ عن المألوف ، والذى يعتقد حقا أن النبى صلى الله عليه وسلم ينزل عليه جبريل مرسلا من عند الله سبحانه وتعالى كيف يكبر عليه أن يسلم بما يجرى الله على يديه من غرائب ومايحفه به من أسباب الرعاية التى تخالف مألوف العادة ؟ (٢)

وخلاصة القول فان طائفة الاسماعيلية بآرائها هذه تعتبر من ابعد الناس عن نور النبوة وضيائها وذلك لأنهم عمدوا

---

(١) سورة الحاقة : ٤١-٤٣

(٢) اتجاهات هدامة ، د. محمد حسين ص ٢٤-٢٥ .

الى النصوص الواردة عن النبوة فتصرفوا فيها تأويلا أو تكذيبا أو اعراضا . وكذلك خالفوا الحس والعقل فأصولهم مبنية على مخالفة السمع والعقل والحس .

فحصيلة ما لديهم في هذا الباب مجموعة انحرافات مركبة وملفقة ولذا قال ابن تيمية : ومن أبعد المنحرفين عن النبوات المتفلسفة الباطنية والملاحدة فان هؤلاء لم يعرفوا النبوة الا من جهة القدر المشترك بين بني آدم وهو المنام وليس في كلام أرسطو وأتباعه كلام في النبوة والفارابي جعلها من جنس المنامات فقط ولهذا يفضل هو وأمثاله الفيلسوف على النبي[(١)] .

أما الضلالة الرابعة للاسماعيلية فهي اعتقادهم الصريح بأن النبوة والرسالة لم تختم فهم لايؤمنون بختم النبوة وانقطاع الوحي وانتهاء الرسالات بنبوة ورسالة الخاتم نبينا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . ان هذا الانحراف مناقض لعقيدة أساسية من معتقدات المسلمين والأدلة من القرآن والسنة تؤكد على هذه العقيدة وترد على من زعم ان النبوة لم تختم وذلك بصور متعددة :

<u>أولا</u> : التصريح بالختم . قال تعالى : {ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين}[(٢)] . ففي هذه الآية الكريمة التصريح بخاتميته صلى الله عليه وسلم للأنبياء قبله فلانبي بعده ولارسول وهذا هو مافهمه المفسرون لكتاب الله سبحانه وتعالى من صدر الاسلام الى يومنا هذا .

---

(١) كتاب النبوات لابن تيمية ص ١٦٨ .
(٢) سورة الأحزاب : ٤٠

يقول الامام الطبرى : على قوله تعالى : {وخاتم النبيين} الذى ختم النبوة فطبع عليها فلاتفتح لأحد بعده الى قيام الساعة . ثم ذكر عن قتادة فى قوله {وخاتم النبيين} انه قال : أى آخرهم . ونقل القرطبى قول ابن عطية على قوله تعالى {وخاتم النبيين} هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقاة بالقبول على العموم التام مقتضية نصا انه لانبى بعده صلى الله عليه وسلم .

ويقول الالوسى والمراد بكونه صلى الله عليه وسلم خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة فى أحد من الثقلين بعد تحليه عليه الصلاة والسلام بها فى هذه النشأة .

ثانيا : عموم الرسالة المحمدية فالله عز وجل يقول : {قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا}(١) فهذه الآية الكريمة تدل على عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس جميعا وهذه من الخصائص التى انفرد بها عن الأنبياء قبله اذ كان النبى انما يبعث الى قومه خاصة ثم يبقى غيرهم محتاجا الى من يبلغهم أمر الله عز وجل ولئلا يتوهم هذا فى رسولنا عليه الصلاة والسلام بين الله سبحانه وتعالى عموم رسالته الى الناس جميعا . يقول ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية :

يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يامحمد ياأيها الناس وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربى والعجمى أنى رسول الله اليكم جميعا أى جميعكم وهذا من

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٨

شرفه وعظمه صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين ومبعوث الى الناس كافة ثم ساق الآيات والأحاديث الدالة على ذلك وقال بعدها والآيات فى هذا كثيرة كما أن الأحاديث فى هذا اكثر من أن تحصى وهو معلوم من دين الاسلام بالضرورة (١) .

ومن الادلة على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : {وما أرسلناك الا كافة للناس} (٢) وقوله : {وما أرسلناك الا رحمة للعالمين} (٣) وبذلك العموم يتضح أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات وآخرها اذ لاتحتاج البشرية الى دين جديد أو رسول جديد مادام هذا الدين خاطبهم ووسعهم جميعا .

ثالثا : الاخبار بكمال الدين يقول تعالى : {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا} (٤) .

يقول ابن كثير رحمه الله على هذه الآية : أن هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلايحتاجون الى دين غيره ولا الى نبى غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء وبعثه الى الانس والجن فلاحلال الا ما أحله ولاحرام الا ماحرمه ولادين الا ماشرعه وكل شىء أخبر به فهو حق وصدق .

رابعا : ان القرآن حجة على كل من بلغه قال تعالى : {وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ} (٥) .

---

(١) تفسير القرآن لابن كثير ٢/٤٨٨ .
(٢) سورة سبأ : ٢٨
(٣) سورة الأنبياء : ١٠٧
(٤) سورة المائدة : ٣
(٥) سورة الأنعام : ١٩

يقول صاحب مجمع البيان : وفى قوله تعالى ومن بلغ دلالة على أنه خاتم الأنبياء ومبعوث الى الناس كافة . وقال مقاتل رحمه الله على هذه الآية : ومن يبلغ القرآن من الجن والانس فهو نذير لهم يعنى القرآن الى يوم القيامة ومن صريح هذه الآية يظهر التأكيد لعقيدة ختم النبوة بنبوة نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم لأن القرآن الكريم سيبقى حجة الله عز وجل على خلقه الى يوم القيامة .

أما السنة فالأحاديث كثيرة ومتعددة فى بيان وايضاح عقيدة ختم النبوة حتى أن بعض العلماء أكد التواتر فى ذلك .

يقول البغدادى : وقد تواترت الأخبار عنه بقوله لانبى بعدى ومن رد حجة القرآن والسنة فهو الكافر .(١)

ويقول ابن حزم : وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل الكواف التى نقلت نبوته واعلامه وكتابه انه أخبر أنه لانبى بعده .(٢)

ويقول ابن كثير رحمه الله : وقد أخبر الله تبارك وتعالى فى كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم فى السنة المتواترة عنه أنه لانبى بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تخرق وشعبذ واتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولى الألباب .(٣)

---

(١) أصول الدين للبغدادى ص ١٦٣ .
(٢) الفصل لابن حزم ٧٧/١ .
(٣) تفسير القرآن لابن كثير ٤٩٤/٣ .

وذكر السيوطى أن حديث سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه من الأحاديث المتواترة[(١)] ومن ألفاظ هذا الحديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب "ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه ليس نبى بعدى" رواه البخارى وفى رواية لمسلم "أنت منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لانبى بعدى"[(٢)] .

ومن الأحاديث الواردة فى هذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم "وانه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبى وأنا خاتم النبيين لانبى بعدى" . رواه أبو داود والترمذى وأحمد[(٣)] . وقوله صلى الله عليه وسلم : "أن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلارسول بعدى ولانبى" رواه أحمد والترمذى[(٤)] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : "ان مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" . رواه البخارى ومسلم[(٥)] .

والأحاديث الواردة فى هذا الباب كثيرة جدا[(٦)] ، وكلها

---

(١) الأزهار المتناثرة للسيوطى ص ٣٦ .
(٢) فتح البارى ١١٢/٨ ، صحيح مسلم ٤٦٦/٦ .
(٣) سنن أبى داود ٤٥٢/٤ ، سنن الترمذى ٤٦٦/٦ ، المسند لأحمد بن حنبل ٢٧٨/٥ .
(٤) مسند أحمد بن حنبل ٢٦٧/٣ ، سنن الترمذى ٥٥١/٦ .
(٥) انظر فتح البارى ٥٥٨/٦ ، صحيح مسلم ٥١/١٥ .
(٦) سبق أن نقلنا نصا للبغدادى ذكر فيه أن الأحاديث فى ختم النبوة بلغت درجة التواتر ، وذكر الطالب أحمد سعد حمدان فى رسالته للماجستير وعنوانها عقيدة ختم النبوة ذكر فى ص ٦٥ أن الأحاديث الواردة لتأكيد عقيدة ختم النبوة تقارب الخمسة والستين حديثا .

ترد على الدجالين والمتنبئين سواء من الاسماعيلية أو من غيرهم من الفرق الضالة المنحرفة عن هذا الأصل من الأصول الاسلامية .

وبالجملة فان انحرافات الاسماعيلية وغلوها فى هذا الأصل له مظاهر كثيرة وحسبنا ما أشرنا اليه وبينا الأدلة الشرعية على بطلانه .

الفصل الرابع

معتقد الاسماعيلية فى الآخرة

تقوم معتقدات الاسماعيلية فى الأخرويات - كبقية معتقداتهم - على أساس التأويل الباطنى فما من أمر من أمور الآخرة الا وأولوه تأويلا باطنيا يصل به الى الجحد والانكار مع تظاهرهم بعدم الانكار والجحد .

وفى هذا الفصل سوف نستعرض - ان شاء الله - جميع مايتعلق بهذه الأخرويات حسب ترتيب وقوعها ابتداء من الموت والنقلة من هذه الدار الى وقوع الجزاء والثواب وذلك بالاستقرار فى الجنة أو النار . وعند كل مسألة أخروية ننقل نصوصهم الدالة على هذا المعتقد لنصل بعد ذلك الى حقيقة مذهبهم فى هذا الركن الاسلامى العظيم وهو "الايمان باليوم الآخر" .

وقبل الدخول فى تفصيل هذه المسائل الأخروية لابد أولا من بيان مفهومهم لقيام قائمهم وصلته بقيام القيامة حيث ان تصورهم هذا هو القاعدة والأساس لهذا الركن الايمانى مع ماأشرنا اليه آنفا من تأثير أصل التأويل الباطنى فى اعتقاداتهم فى هذا الفصل .

أولا : مفهوم قائم القيامة .

ان كلمة القائم تضاف فى فكر الاسماعيلية الى القيامة فلايخلو كتاب من كتبهم التأويلية من عبارة "قائم القيامة" بل انه حسب مدلول الفكر الاسماعيلى تعتبر كلمتا قيام

القائم وقيام القيامة تقعان على مدلول واحد فهم يعتقدون أن ظهوره هو قيام القيامة وبظهوره ينتهى دور الستر الذى كان واقعا على من سبقه من النطقاء ويبتدىء دور الكشف والظهور ، فاذا ظهر ألغيت الشرائع والتكاليف وبطلت الأعمال وانتهت دورة الحياة الاعتيادية وبعد ذلك يتولى القائم الحساب والجزاء فى الدورة الجديدة فمعنى قيام القيامة ظهور القائم وبدء هذه المرحلة الجديدة من الحياة . وهذه نصوصهم التى تدل على هذه المهزلة والأضحوكة .

يقول السجستانى : القائم من القيامة وهى موسومة بيوم الفصل لأن الفصل انما يكون بعد الخصومة والمنازعة وهكذا القائم يفصل بين أهل الأديان ويظهر الحقائق . فيلزمهم جميعا بالرجوع الى هذه الحقائق والقرار عليها .(١)

ويقول الحارثى : فاذا اجتمعت الخلائق بين يدى القائم وتشخص كل حد من الحدود والأئمة والأوصياء والنطقاء لأهل زمانه وعصره ووافقهم على جميع أفعالهم وأعمالهم واستقر كل واحد منهم بما منع أمر بهم فضربت أعناقهم جميعا وأرسلت عليهم نار فأحرقت جميعهم واستحالوا فى الوقت والحال فصاروا بخارا ثم يصعد ذلك البخار الى العقدتين ... الخ .(٢)

ويقول أيضا : ان القائم اذا ظهر وقع الحساب واستقبل بأهل العقاب العذاب وضوعف ثواب أهل الثواب وأقام الدعوة الى أن يستخرج منها من يقوم مقامه فى اقامة الدعوة وانتقل بمن فى ضمنه الى رتبة العقل العاشر عقلا تاما كاملا نورانيا

---

(١) اثبات النبوات للسجستانى ص ١٩١ .
(٢) الأنوار اللطيفة للحارثى ص ١٤٣ ضمن الحقائق الخفية للأعظمى .

كأحد العقول الابداعية وصعد العقل العاشر الى رتبة العقل التاسع وصار هذا القائم فى رتبة العقل العاشر مدبرا لجميع عالم الطبيعة جرمانيها وجسمانيها الى أن يستخلص قائما يقوم فى مقامه ... الخ (١)

ومما يدل دلالة قوية على أن محور عقيدة الاسماعيلية فى القيامة والمعاد تدور على قائمهم السابع ماذكره ابن الوليد بقوله : ان ماحكى القرآن وما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من صفة العرش واستواء الرب عليه ومجيئه فى ظلل من الغمام والملائكة للمحاسبة والمجازاة والاثابة والمعاقبة ذلك كله يصح ظاهره فى قائم القيامة المستوفى قوى السموات والأرض الستة الذين هم النطقاء الستة فى مدة أدوارهم الستة .

ومعنى مجيئه فى ظلل من الغمام والملائكة بروزه بمن فى ضمنه من الصور القدسانية والهياكل النورانية لكافة الخلق يوم فصل القضاء والمحاسبة لهم على سوابق أفعالهم والمجازاة لهم على سوالف مقدماتهم .

ونقل عن المؤيد قوله : ان المراد بالنبأ العظيم ويوم القيامة ومايحصل فى ذلك من الجلوس على العرش لفصل القضاء والقيام بثواب المحسنين وعقاب المسيئين ان المراد بذلك هو قائم القيامة المجموعة له قوى الأنبياء والأوصياء والأئمة وأرباب التأييد كلهم ... وبهذا يصح ماحكاه الكتاب من المجىء والذهاب والرضوان والزبانية ووقوع الرؤية والمحاسبة واحصاء النقير والقطمير فيكون ذلك ظاهرا مثلا

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٥ .

لا اعوجاج فيه ولا ميل .(١)

وفي كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن تأويل لآيات القرآن الواردة في القيامة وأحوالها يؤيد هذا التأويل الاسماعيلي لمعنى القيامة والبعث . فيوم الفصل الذى ذكره الله بقوله {ان يوم الفصل كان ميقاتا} هو القائم الذى يفصل الله به بين الحق والباطل والمؤمن والكافر وهو ميقات أمر الله ونهايته وسابع النطقاء السبعة . ويوم النفخ في الصور الذى ذكره الله بقوله : {يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا} يعني يوم يعلن بالدعوة اليه وقد ظهر أمره فتأتون أفواجا فوجا بعد فوج رغبة ورهبة .(٢)

وفي كتابه الرشد أول أيضا جميع أسماء يوم القيامة بيوم قيام القائم فقال : ان ظهور القائم هو يوم التناد ويوم التلاق ويوم الآزفة ويوم التغابن والساعة والصافة والغاشية وغيرها من الألفاظ فكلها تنبيء عن يوم ظهور الناطق السابع القائم .(٣)

وصرح الحامدى بأن البعث الحقيقي والنشور لأهل الحق ولأهل الباطل للجزاء انما يكون عند قيام القائم على ذكره السلام .(٤)

وبمثل هذا أول قاضي الاسماعيلية ابن حيون في رسالته التي سماها بالرسالة المذهبة فعند قوله تعالى : {ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله}(٥)

---

(١) انظر جلاء العقول لعلي بن الوليد ضمن منتخبات اسماعيلية ص ١٤٣-١٤٦ .
(٢) كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن ص ١٧٠ .
(٣) كتاب الرشد والهداية ص ١٩٣ .
(٤) رسالة زهر بذر الحقائق للحامدى ص ١٧٧ ضمن منتخبات اسماعيلية .
(٥) سورة الزمر : ٦٨

قال ان النفخ فى الصور هو مايأتى به سابع النطقاء عليه السلام والصور الشرعية وسماها صور لأنها محيطة بجميع الشرائع . ومعنى قوله : {ونفخ فى الصور ...} الخ . فالسموات هم النطقاء ومن فيها من أهل الظاهر . والأرض فى منزلة الأسس . ومن فيها من أهل الباطن الذين ستروا الأمر . ثم استأنف بعد ذلك بقوله {الا من شاء الله} وهم المؤمنون الصابرون على البأساء والضراء فهذه الكشفة الأولى التى تجرى على يد القائم . وأما الثانية فهو قوله {ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ...} الخ فذلك عند اتصاله فى النفس وهى المنزلة التى بها الكمال والتمام وفى المنزلة يظهر له جميع الحدود العلوية الكروبية ولذلك قيل ان له منزلتين يظهر بهما فى الجسمانية والروحانية واذا ظهر بهذه المنزلة حاسب أهل الجسمانية وأهل الروحانية وهو ظهوره فى العالم السفلى والعالم العلوى ... الخ النص .

وفى آخره قال ان العرض ويوم الفصل ويوم الحساب واليوم المعلوم التى ذكرها الله فى القرآن انها اشارة الى القائم[(١)] .

وهكذا نجد أن أقوال دعاة الاسماعيلية وعلمائها تدور حول قائم الزمان الذى أسموه بقائم القيامة وتنطلق من القيامة الصغرى الخاصة بخلاص النفس من الجسد بعد الموت والقيامة الكبرى المتعلقة بعودة النفس الكلية الى مبدعها تمهيدا لقيام القائم وانتهاء الدور حيث يجرى الحشر الاكبر

---

(١) الرسالة المذهبة للقاضى النعمان ص ٧٤-٧٥ ضمن خمس رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر .

والحساب ، فالمؤمن العارف الذى يقف على حقائق الأشياء ينتقل من العالم الطبيعى بعد الموت الى العالم الروحانى مغتبطا مثابا لما اكتسبه من علوم ومعارف بنور التأييد من جهة المؤيد المفيد (١) .

ثانيا : تأويل القيامة ومابعدها .

ان التتبع لكتب الاسماعيلية وتأويلها مراحل الانسان من قيامته حتى بعثه وحشره ثم حسابه وجزاءه بالجنة أو النار يجد مفاهيم عجيبة غريبة عن هذه المراحل وكلها تنبع من حقيقة واحدة لديهم هى الانكار الكامل والمخالفة التامة لما أجمعت عليه الأمة الاسلامية من معنى القيامة وهى بعث الأموات من قبورهم وقيامهم مرة أخرى لحياة أخرى يثاب فيها المحسن ويعاقب المسىء . وفيما يلى تفصيل هذه المراحل وبيان معناها ومدلولها عند الاسماعيلية وتوثيق ذلك بأقوالهم ونصوصهم .

(١) الموت :

يؤول الاسماعيلية الموت بأنه مفارقة الروح للجسم ورجوع كل شىء الى جنسه ، فالروح تصعد الى العوالم الروحانية وتسبح فى تلك العوالم ، فان كانت صالحة مؤمنة انضمت الى العقول الابداعية وان كانت غير ذلك رجعت الى العوالم السفلية وأصبحت تظهر فى النفوس الشريرة من الجن والشياطين والهوام وغيرها .

---

(١) فى رحاب اخوان الصفا لغالب ص ٢٥٨ .

أمـا الجسد فانه يعود الى أصله وعنصره الترابى ويؤول كل عنصر منه الى أصله ومايجانسه (١) .

ويعـرف الحامدى المـوت بأنـه النقلـة الى حده ومصير الانسان بتلك النقلة الى عالم ثان غير الأول (٢) .

(٢) الحياة البرزخية :

وهذه المرحلة تشمل القبر ونعيمه أو عذابه .

فعـرف الاسماعيلية القبر بأنه الصورة الجسمانية والهياكل الجرمانية ، وعذاب القبر هو تأثر النفس بسبب مايظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطباع وذلك على سبيل التغير (٣) .

وقالوا : ان البرزخ على ضربين محمود ومذموم . فالأول مايصل اليه المؤمنون بعد نقلهم من المراتب ويكونون فيها الى أوان البعث الكلى الذى هو ظهور القائم .

وأما الثانى فهو مايصير اليه أضداد الحق وسائر العصاة بعد موتهم من برازخ الهبوط وقناطر العذاب كل منهم بقدر استحقاقه موقوفون الى أوان البعث (٤) .

وقالوا عن حقيقة الملكين اللذين يأتيان الميت فى قبره أن المراد منهما ناطق كل دور ووصيه فهما الملكان المشار اليهما فى عصرهما بمبشر وبشير لأوليائهما ، وبمنكر

(١) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٧١-١٧٢ .
(٢) رسالة زهر بذر الحقائق للحامدى ص ١٧٧ ضمن منتخبات اسماعيلية .
(٣) رسالة الدستور للداعى الاسماعيلى شمس الدين الطيبى ص ٩٣ ضمن أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر .
(٤) أربعة كتب اسماعيلية جمع شتروطمان ص ١٣٤ .

ونكير لأضدادهما وكذلك كل امام زمان وحجته فهو مبشر وبشير لأوليائه ومنكر ونكير لأضداده وعلى هذا القول ينطوى الأمر فى كل وقت وزمان .

أما حقيقة مبشر وبشير فهو خيال يحرك عمود النور الذى هو السارى من عالم القدس المتصل بصورة كل ولى عهد صاحب الزمان ويتخيل للمنتقل عند آخر دقيقة من عمره بصورة شخص نورانى يسر به ويبتهج بسببه ويغتبط عند معاينته ويعلم حينئذ أنه صائر الى خير ويفارق فى الوقت والحين وذلك هو صورته التى أثبتت من ولاية أهل الحق .

وأما الضد فان المغناطيس الخبيث المظلم الذى هو العقدتان بحركة المقام لهما يحركان علمه الابليسى وعمله الخبيث الذى كان يعمله ويعتقده فى أهل الحق فيتخيل له فى آخر دقيقة من عمره شخصا مظلما مشوها على أقبح مايكون وأشوهه فينكره ويفزعه ويقلقه ويهوله ثم يفظع عند ذلك وقد علم أنه من أهل الشر وهذه حقيقة منكر ونكير .(١)

ويقول ابن الوليد فى كتابه الذخيرة فى الحقيقة : ان كل ناطق ووصيه هما الملكان المشار اليهما بمبشر وبشير للأولياء ومنكر ونكير للاضداد اللعناء الأشقياء .(٢)

(٣) البعث والمعاد :

عرف الاسماعيلية البعث بأنه فعل الله تعالى من جهة الملائكة المقربين فى المبعوث الطبيعى كمالا له ليكون

---

(١) الأنوار اللطيفة فى فلسفة المبدأ والمعاد للحارثى ص ١٤٨ ، ضمن كتاب الحقائق الخفية للأعظمى .

(٢) كتاب الذخيرة فى الحقيقة لعلى بن الوليد ص ١٤٤ .

منبعثا الانبعاث الثانى ومعناه هو المعرب عنه بالنفخ المخصوص بالقوة التى هى افاضة على المفاض عليه الذى كان من قبل خاليا منها فيحيا الحياة الأبدية ... ذلك ان ثم نوعين من البعث :

الأول : هو النفخ الأول ويكون فى عالم الطبيعة وينقسم الى مايكون بتعليم والى مايكون بتأييد الهى . والذى يكون بتأييد الهى هو اسراء القوى الالهية من عالم الملكوت فى نفس المبعوث الكائن فى عالم الطبيعة وسريانها فيها فيتيسر لها جميع الأمور المتعلقة بالسعادات الأبدية والكمال الثانى وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن ذلك بالقاء الروح حيث يقول : {رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده}(١) ، فوضع الدرجات هو القائم بالفعل الذى هو الالقاء بأمر الله سبحانه ، والروح هو بركات القدس والملكوت الفائضة من أمره الذى هو المبدع الأول والموجود الأول . وعلى من يشاء من عباده هم عباده المصطفون الذين كانت أنفسهم فى ظلمات الطبيعة خالية وهى فيها غير مكتسبة فشبه تعالى وتكبر الاسراء والتسريب بالنفخ وذلك من جهة المنصوبين للعناية بموجودات عالم الطبيعة فى نفس المبعوث تأثيرا وهو الذى به يمعق من فى السموات والأرض ليكون المبعوث فى الكمال منبعثا قائما بالفعل الذى يقتضيه كماله .

أما القسم الثانى من النفخ الأول وهو مايكون بتعليم من جهة من يكون طبيعيا فلكون مايعلم من جهة المبعوث

---

(١) سورة غافر : ١٥

المرقى الى درجة الكمال المنبعث الانبعاث الثانى القائم بالتعليم مما يتم فيه البعث ولذلك سمى بعثا وهو : اقامة النعمة على البشر بالمبعوث المؤيد فيكون مايعلمهم ويدعوهم اليه ثم يقومون به سببا لهم فى نيل السعادة فى الدنيا وطريقا الى الفوز بالحياة الأبدية فى الأخرى وأمرا يجرى مثلا من أنفسهم مجرى النفس النامية التى هى سبب لحصول القوة الحسية فيكون ذلك بعثهم . وبالجملة فان هذا البعث يكون بواسطة المؤيدين من الله من الأنبياء والأوصياء والأئمة .

والنوع الثانى من البعث : وهو النفخ الثانى الخصوصى بالقيامة عند تكامل الأدوار واستكمال قيام العلم بالفعل حين تتجرد الصورة بكمالها فتسطع فيها أنوار الملكوت .(١)

وبتعبير آخر قسم الحامدى البعث الى نوعين : فالبعث الأول هو بعث الصورة الحاصلة للمستفيد حيث تبعث له العلوم الالهية والمعارف الربانية .

وأما البعث الثانى فهو النقلة الى حد وبها يصير فى عالم ثان وبعث وذلك عند قيام القائم وذلك هو البعث الحقيقى .(٢)

ويفسر الكرمانى الآيات القرآنية التى تتحدث عن البعث وفق ذلك المعتقد فيقول عن قوله تعالى : {ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون}(٣) وقوله : {يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا}(٤) أن فيهما اشارة الى صاحب الدور

(١) انظر راحة العقل للكرمانى ص ٥١١-٥١٣ .
(٢) زهد بذر الحقائق للحامدى ص ١٧٧ .
(٣) سورة الزمر : ٦٨
(٤) سورة عم : ١٨

السابع الذى يحصل فى الوجود آخر دور حين يبعث فى عالم الطبيعة أولا كما يبعث أصحاب الأدوار فيطيعونه أمة بعد أمة وبه يتم الخلق الجديد فينفخ أولا فى دار الطبيعة باب الجزاء وفى دار الآخرة ثانيا وهو النفخ الأول فالبعث يتم لصاحب الدور السابع (١) .

هذا ومن الملاحظ أنهم فرقوا بين البعث والمعاد واعتبروهما لفظان متغايران معنى ومدلولا ومما قالوا فى اثبات الثانى : أنه ليس فى العالم شىء أجمع للصلاح من اثبات المعاد الذى جمع المصالح كلها من سكون أهل العالم ودفع بعضهم من بعض من جهة الرغبة والرهبة فانه لولا خوف المعاد لهلك الحرث والنسل (٢) .

فالنامى يعود الى الحيوان ، والحيوان يعود الى الانسان ومعنى يعود يغتذى به فيكون معادا له (٣) .

وبأسلوب أكثر تفصيلا تحدث الداعى شهاب الدين ـ مبينا معرفة المعاد ـ فقال : اعلم أيها الأخ البار الرشيد بأن النفس لما تفارق الجسد تعود الى موطنها الأول حيث الأنوار الجلية أوصلها اياها معارفها المرقية لها الى هذه الدرجات العلية فحينئذ أطلق عليها النفس المطمئنة حسب قوله تعالى {ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى} (٤) فهذا معاد النفس المؤمنة المطمئنة الباهرة .

---

(١) انظر راحة العقل للكرمانى ص ٥١٤-٥١٥ .
(٢) رسائل اخوان الصفا ٣/٣٩٢ .
(٣) زهد بذر الحقائق للحامدى ص ١٧٢ .
(٤) سورة الفجر : الآيات الأربع الأخيرة .

أما النفس الجاحدة فانها عند مفارقتها الجسد تعود الى موطن الظلام لأنها بأعمالها القبيحة مظلمة محجوبة عن نور باريها لقوله تعالى : {كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون}(١) .

فاذا عرف المؤمن هذه المرتبة ينبغي عليه أن يكون كالمرشد والدليل لمن هو في نوم الغفلة ورقدة الجهالة(٢) .

ومن منطلق الظاهر والباطن قسموا معاد الخلق الى قسمين :

(١) معاد أهل دعوتهم :

وسموه معاد المؤمنين وأرادوا به أن كل محدود يعود الى حده ويكون نقلته اليه اذا أطاعه فيما يرضى الله كان ابتداؤه منه ، وذلك مايلقيه اليه من علوم أولياء الله تعالى أو معاده اليه وذلك أن النفس المحدودة الحسية تنصبغ بما يلقيه الحد من العلوم الشريفة فتعود ناطقة كما يرد الاكسير الصفر ذهبا حذو الحذو فيعود حينئذ الى ذلك الحد بذلك المغناطيس الذى ألقاه على المحدود من العلم النبوى فيجذبه اليه لما ألقاه اليه ولم يسم المعاد معادا الا انه يعود اليهما ألقاه الى المحدود .

(٢) القسم الثانى :

وهو معاد أهل الظاهر - ويقصد بهم من لايؤمن بمذهبهم - فلامعاد لهم وذلك ان من كان منهم مناصبا لأهل الحق معاندا وطاعنا عنهم فانه عند موته لاتفارق نفسه جسمه البتة بل

---

(١) سورة المطففين : ١٤
(٢) مطالع الشموس لأبى فراس ص ٥٣ .

تبقى معاقبة فيه يكون العذاب على الكل ولايفارق منه شيء غير ذلك التصور دون النفس وهذا التصور يريد الصعود فتركبه أشعة الكواكب فيعود الى البيوت المظلمة فاذا مات ذلك الذى مازجه فارقه حينئذ وعاد الى مغناطيس مظلم (١).

ويصف أحد دعاتهم المعاد المحمود بقوله :

حتى اذا مادنت الوفاة	مازجت الصورة تلك الذات
فمستقر المؤمن الرشيد	فى أفق المكاسر المحدود
ومنتهى الكل بلاارتياب	جميعهم الى مقام الباب (٢)
وهو مقر الأنفس اللطيفة	ومركز الهياكل الشريفة (٣)

وخلاصة رأيهم فى المعاد أن الانسان بعد موته يستحيل عنصره الترابى وجسمه الى مايجانسه من التراب وتصعد روحه الى الملأ الأعلى فاذا كان مؤمنا بالامام حشر فى زمرة الصالحين وأصبح ملكا مدبرا كسائر العقول المدبرة لهذا الكون ، وان كان شريرا مناصبا للامام حشر مع الأبالسة والشياطين وهم أعداء الامام (٤) .

وهكذا يؤول أمر النفوس الشريفة - كما يسمونها - الى هياكل نورانية قدسانية تدبر العالم فمن هذه النفوس من يستحق أن يكون موضع القلب ومنها من يكون موضع الدماغ ومنها فى موضع العين والأذن واليد والرجل كل بقدر عمله واستحقاقه لاظلم لأحد ولامحاباة بل كل نفس تجزى بقدر ما اكتسبت (٥) .

---

(١) زهد بذر الحقائق للحامدى ص ١٧٣-١٧٥ .
(٢) مرتبة من مراتب الأئمة عندهم كما سبق وأن ذكرنا ذلك فى مراتب الأئمة .
(٣) سمط الحقائق للداعى على بن حنظلة ص ٤٦ .
(٤) الحركات الباطنية لغالب ص ١٠٦ .
(٥) انظر فى رحاب اخوان الصفا لمصطفى غالب ص ٢٥٦ نقلا من رسالة المبدأ والمعاد للحسين بن الوليد .

(٤) الحساب :

عرف الكرماني الحساب بأنه : فعل يحدث عنه من النفس للنفس الثواب ـ الذى هو الملاذ والمسار ـ والعقاب ـ الذى هو الألم والعذاب ـ وينقسم هذا الفعل الى مايكون وجوده فى الدنيا . والى مايكون وجوده فى الآخرة .

فأما مايكون وجوده فى الدنيا فينقسم الى قسمين :

(١) مايكون وجوده فى الأنفس للأنفس عاجلا لافى كل الأوقات وهو خاص .

(٢) مايكون وجوده فى الأنفس للأنفس عاجلا فى كل الأوقات وهو عام .

فأما القسم الثانى وهو العام فهو مايكون من جهة الأنفس فى كل وقت وكل مكان عند مقاصد النفس فى أعمالها بالمناسك الدينية المحققة من جهة أنبياء الله ورسله عليهم السلام من طلب عز وجاه وصيت فى الناس بأنها ـ أى النفس ـ سخية أو غنية أو تتصور بصورة الأخيار فيجعل لها ذلك بما تعمله من التحلى بسنن العبادتين مثل المجتهد فى أعمال الصلاة الذى يكون قصده المسجد الجامع لاللتقرب الى الله ولطلب وجهه والتذلل لكبريائه ولالاقامة رسوم الملة وقضاء مافرض عليه من مناسكها بل لأن يمشى فى زى حسن ولأن يقال عنه انه من حاله وصفته فيما يريده ويتمناه فى نفسه فيحصل له بذلك ماأراده عاجلا فذلك ثوابه .

ومثل المتهاون بأمر العبادتين المنجيتين له بالاخلال لأوامر الله سبحانه وتعالى وسننه والاقرار بأوليائه

وأنبيائه ورسله فيشمله بذلك من الذل والصغار عاجلا مايحصل له من الغم والعذاب الدائم . فذلك عقابه عاجلا دون عقابه الآجل .

وأما القسم الأول وهو الخاص فهو الذى يكون وجوده فيها لافى كل الأوقات فهو خاص بوقت دون وقت وهذا هو الذى يكون من جهة المبعوث المؤيد بروح القدس الذى هو صاحب الدور السابع عند اتصال القوى الملكوتية به المعرب عنه بالنفخ الثانى فى يوم القيامة .

وأما مايكون وجوده فى الآخرة فهو من جهة العقول الابداعية والانبعاثية بما يسرى من روح القدس فى الأنفس الحاصلة من حضانة التعليم بظهور النفس الزكية صاحب الدور السابع فى العالم الطبيعى واستكمال الأسباب ، أسباب السعادات له طبيعيا وملكوتيا قياما بحكم العلم بكل صورة بمالها وعليها بحسب ماجرى به الحكم من جهة الله فى دار حكمته مثلا بمثل فيسعد السعيد ويشقى الشقى .(١)

(٥) الجزاء والثواب أو الجنة والنار :

يثبت الاسماعيلية ثوابا وجزاء وجنة ونارا .

ولكن ماحقيقة هذا الثواب الذى أثبتوه أو ذلك العقاب ؟ وماحقيقة الجنة أو النار اللتين أثبتوهما ؟؟

ان علماء الدعوة الاسماعيلية ودعاتها أجابوا عن ذلك ومما قالوه :

---

(١) انظر راحة العقل للكرمانى ص ٥١٦-٥١٩ ، وانظر مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى ٣٠٩/٢-٣١٠ .

ان الثواب على وجهين : ثواب أدنى وثواب أكبر ، والعقاب على وجهين عقاب أدنى وعقاب اكبر ولما كان الثواب والعقاب كذلك كان ماوصفه الله تعالى من الأنهار الجارية والحور والأطعمة والأشربة اشارة فى الثواب الأدنى الى مايحصل للنفوس من الفوائد العلمية فى الدعوة التأويلية ، فكأن الأنهار أمثال مايجرى من العلماء من نشر الفوائد العلمية فى مستفيديهم . وأما الحور فأمثال مايصورونهم به من الصور القدسية التى تحار فى حسنها الأفكار وتقصر عن وصفها الألسن ولاتكتنفها الحدود والأفكار وهى التى تزاوج النفوس فتصفها وتشرف عليها وترفع قدرها فى أهل عليين وتعليها والفوائد التى تشتهى الأنفس وتلذ الأعين هو مايطلعونا عليه من الحقائق الشاهد محسوسها لمعقولها ومثلها لممثولها وتبرهن فروعها على صحة أصولها وهى ماتشتهيه الأنفس التى هى حدود الدين وتلذ الأعين الذين هم أعين الحق للناظرين وكذلك قالت الحدود ان الدعوة جنة بالقوة تؤدى الى الجنة بالفعل فأما الثواب الأكبر فهو مالا سبيل الى وصفه وماتقصر عقول من فى عالم الطبيعة عن تصوره ، كما يقصر الجنين الكائن فى بطن الأم عن تصور ذات عالم الحس تقريبا مع كون ذلك فى البعد الأبعد بالشرف والفضل عن النسبة الى هذا .

وأما العقاب الأدنى فهو مايدخل على النفوس المخالفة للحق من الشكوك والشبهات ومايحل بها من الألم عند الاستفهامات والسؤالات اذا سمعت آى الكتاب والتبس عليها فيه نهج الصواب ونظرت فى مختلف آياته وتفاوت عبارته وعجائب موضوعاته تلاطمت بها أمواج الشكوك فى زاخر بحره ورمت بها

الحيرة والظلام الى أسفل قمره فهى تارة تهب طالبة حل مشكلة وتارة تجحد وحينا تخمد فهى تتعجل من آلام وتخلدها جنادس الظلام حتى يهجم عليها الموت وهى أغفل ماكانت عنه ونفسها أوحش ماكانت منه ثم ترد قناطر العكوس وصراط الهبوط وادراك النحوس الى أوان اليوم المعلوم وحضور الأجل المحتوم ويكون حصول العقاب الأكبر لها عند قيام القائم على ذكره السلام وهو مالاسبيل الى وصفه لأن أول ذلك وأهونه أنهم يذبحون كما تذبح الضحايا بمنى ويطرحون على وجوه الصحراء طرحا ثم يستأنف لهم عقاب لاسبيل الى عبارته لهوله وعظيم خطره وكونه محجوب أسرار أولياء الله تعالى واذا كان فى هذا القول مايوجب عقابا محسوسا وهو ذبح المخالفين كان يجوز ويمكن أن لأهل دور الكشف الأخيار الذين هم أهل دور القائم ثوابا فى الأرض الحسية محسوسة هو لهم أدنى . به يصح قوله تعالى اذ قال : {الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين} (١) .

تلك مجازاة أجسام الصالحين وتلك لهم جنة بالقوة تفضى الى الجنة بالفعل التى هى العالم المقدس كما أن الدعوة التأويلية جنة بالقوة تفضى الى أهلها الى الجنة بالفعل وكما أن دعوة الأضداد نار بالقوة لما فيها من الشكوك والشبهات تفضى بأهلها بالنار بالفعل التى هى العذاب .

وهذا القول مما دعت اليه النطقاء فى شرائعهم وضربت به الأمثال فى أوضاعهم فيكون ظاهر ذلك يصح باطنه وباطنه يصح ظاهره وبذلك امتازت امثالهم عن أمثال سائر المخلوقين

---

(١) سورة الزمر : ٧٤

وعم الانتفاع بدعوتهم كافة السامعين وتحقق الظاهر والباطن والبارز والكامن .(١)

ومن هذا المنطلق والتأويل نجد السجستاني يقرر في كتابه الينابيع أن الثواب هو العلم ويبرر ذلك بقوله "لما كان قصارى الثواب انما هي اللذة وكانت اللذة الحسية منقطعة زائلة وجب أن تكون التي ينالها المثاب أزلية غير فانية باقية غير منقطعة وليست لذة بسيطة باقية على حالاتها غير لذة العلم فكان من هذا القول وجوب لذة العلم للمثاب في دار البقاء .(٢)

يضاف الى ذلك أن العلم لايبيد بل يزيد وينمو عند كل استنباط ويتكثر بينما الحس يفسد وينقص ويضمحل عند الاستعمال ويستحيل لهذا كان الثواب في دار البقاء هوالعلم لا الحس ولاالأشياء الحسية .(٣)

أما نصوصهم عن الجنة والنار فكثيرة جدا ولكن نقتصر على بعض منها لأن الهدف من نقل هذه النصوص بيان مرادهم وقصدهم من هاتين الدارين .

وبالنظر في مصادرهم نجد انهم يصفون الجنة بأنها دار سرمدية أبدية وفيها كل الملاذ ولاتستحيل ولاتتغير ولايطرأ عليها تبدل . وماكان بهذه الأوصاف فهو النهاية الأولى من الموجودات عن الله تعالى . وأسماء الجنة كثيرة حسب مراتبها حول العرش فتسمى جنة المأوى باعتبارها مأوى المثابين من العقول المنبعثة في دار الطبيعة والأنفس

---

(١) كتاب جلاء العقول لعلى بن الوليد ص ١٥١-١٥٣ .
(٢) الينابيع للسجستاني ص ١٣٥ .
(٣) المرجع السابق ص ١٣٦ .

العاقلة المتخيلة وهى مجمعهم وفيها المتقون .

وتسمى كذلك سدرة المنتهى كما تسمى دار القدس .(١)

ومن العجيب انهم مع هذه المسميات وتلك الأوصاف للجنة أولوها تأويلا روحيا لامجال للذات الجسدية فى نعيمها ذلك ان النفس بعد أن تصل الى الجنة بصفائها وتنزهها تبطل منها أفعال ومعارف كانت لها فى دنياها لأجل جسمها الذى فارقته وتكون أفعالها ماتقتضيه ذاتها بكمالها من تعظيم الله وتسبيحه ولايكون لها فعل من نوع ماكان لها فى دار الطبيعة فان ذلك كان لها من كونها فى دار الطبيعة لها زيادة التكثر به والتجوهر والتهذب فأما وهى قد خلصت وانتهت مع المنتهين من دار الطبيعة فحسبها كونها نهاية فى جوار النهاية الأولى وجوهرا باقيا ملتذا بثمرة اكتسابها مناسبة لتلك العقول وتلك المناسبة لها فى الذات لافى الفعل .(٢)

فالجنة لدى الاسماعيلية عبارة عن التمييز والعلم والفوائد العقلية التى تصل من النطقاء والأسس والائمة للمستجيبين للدعوة والكرمانى وان لم يصرح بذلك الا أنه يدور حول هذا المعنى ، غير أن السجستانى هو الذى صرح بذلك بعبارات أكثر ايضاحا . يقول : ان العلوم الجارية من قبل النطقاء والأسس والأئمة واللواحق(٣) لاتكون الا للصور الخفية وفيها من السلوة والسرور والراحة والانس ولاينبىء عن هويتها الا الوقت المقرر لها فاذا بلغت غاياتها واستقرت فى

---

(١) انظر راحة العقل للكرمانى .

(٢) مذاهب الاسلاميين ص ٣١١ ، نقلا من راحة العقل للكرمانى بتصرف .

(٣) رتب للمستجيبين والدعاة فى المذهب الاسماعيلى .

هويتها ورمت بثقلها استقرت بأحسن هيئة وأشرف رتبة بما لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر .

والنار عبارة عن الشرائع الناموسية المعراة عن العلوم المستعملة لاصلاح العالم الطبيعي وصورة العذاب فى هذه الشرائع هو الاصطلاء بها والاستعمال لها وعندئذ تفسد الصورة اللطيفة ويقع للشخص فيها الشبهة والالتباس واذا برزت بهويتها تراها فى غاية الايلام للأنفس المتعلقة بها (١) .

وحينما يتحدث السجستانى عن وجود الجنة والنار يتضح مرادهم أكثر من ذى قبل فهو يقول : ان النار موجودة فى كل موضع ولايخلو منها مكان والجنة غير موجودة فى كل مكان بل فى مكان دون مكان وفى الأمكنة التى توجد فيها الجنة عليها موكل لايأذن لكل واحد فى الدخول فيها وأما النار فانها ظاهرة نيرة مبذولة لكل أحد وهى الشرائع المقلدة موجودة فى كل مكان لايخلو منها قوم من الأقوام والجنة هى العلوم المخصوصة لأقوام معينين لايتهيأ لأحد الوصول اليها الا باذن الهادى العالم الموكل بها (٢) .

ويقولون ان الجنة التى اهبط منها آدم هى رتبة ارتقى اليها حتى صار فى حد البلوغ وأن الشجرة التى نهى عنها المراد بها تطلع نفسه الى رتبة حضر عليها الارتقاء اليها فلما تطلع هذا التطلع رد حينئذ الى حد التربية وأخذ العهد عليه بالتجديد فهذا هو اهباطه من العلو الى السفل (٣) .

---

(١) انظر الينابيع للسجستانى ص ١٣٧-١٣٨ .
(٢) المراد من الهادى العالم هو امام العصر صاحب التأويل والمكلف باظهار الحقائق التى تنير الطريق للمعرفة السرمدية الحقة ، انظر الينابيع للسجستانى ص ١٣٩ .
(٣) زهر بذر الحقائق للحامدى ص ١٦٨-١٦٩ .

ونقل الحامدى عن المؤيد قوله : ان حدود دار الجسم جنان بالقوة داعون الى جنان بالفعل وان الحد جنة المحدود اذا هو أطاعه وعمل بما يرضى الله تعالى فهو له بالقوة عند نقلته وهما يعودان الى الفعل عند نقلتهما جميعا .

وأما النار فان الانسان اذا أنكر امام زمانه أو حدا من حدوده أظلمت صورته وصارت نفسه أكثف من جسمه ولم تفارق حينئذ جسمها ولاتعدوه وكان معادهما الى النيران السبعة (١) .

وبهذا النص من كتاباتهم ومؤلفاتهم نكتفى ببيان اعتقادهم فى البعث والجزاء والمعاد .

ومن أجمع نصوص الاسماعيلية التى تتعلق فى هذا الفصل ماذكره الداعى الاسماعيلى الطيبى فى رسالته التى سماها "الدستور ودعوة المؤمنين للحضور" ننقله بطوله لما يشتمل عليه من صورة تفصيلية لبيان رأيهم ومعتقدهم فى الأخرويات يقول : والقبر هو الصورة الجسمانية والهياكل الجرمانية وعذابه هو تأثر النفس بسبب مايظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطباع وذلك على سبيل التغير . وأما اتيان منكر ونكير فهو استيلاء القوة الشهوانية والغضبية الداعيتين الى الهلاك . وأما الحشر فهو انحطاط النفوس فى سلك انقيادها وانجبارها الى مافيه ذاتها وحقيقة (يوم ندعو كل اناس بامامهم) . وأما النشر فهو ظهور النفوس فى عالم بعد عالم على وفق مكتسباتها . وأما تاويل القيامة فقيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية والالات الجسدانية

---

(١) المرجع السابق ص ١٧١-١٧٢ .

وقيام الشرائع والأديان بظهور صاحب الزمان وقيام الدور ببروز النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية . وقيام القيامة كمال الاخلاص والنجاة واستراحة النفوس بأجمعها من الايراد والاصدار واتصالها بعالم القدس ومحل الأنوار وانقضاء مدة الساعات الكبيرة واجتماع السيارات بعد افتراقها فى نقطة الاعتدال الأول بقيامة الكل وانقضاء البعثتين وانطباق المنطقتين وحصول العلم والقدرة للنفس فى العالمين وفقدان التفاوت فى الأصول وخلع الهيولى لباس الصورة والاستغناء عن موجبات الضرورة واتخاذ العالم بنوعه وأصله وتحقيق قوله واليه يرجع الأمر كله . وأما الكتاب فهو لوح الضمير ومحل ماخرمنا به النفس من التصديق والتصوير ، وقراءته هى المعاينة والمشاهدة النفسية لمعلوماتها المكتسبة ، فاذا كانت العلوم البرهانية والحقائق القطعية مأخوذة من قبل النفس باليمين تكون من الطرف الأعلى من الهدى واليقين ، واذا كانت التصورات الوهمية والتصديقات الظنية والشكوك الجدلية والاعتقادات التقليدية مأخوذة من قبل النفس بالشمال تكون فى الطرف الأدنى من الضلال والتخمين ، وأما الحساب فهو ان توقف النفس الكلية العالية النفوس الجزئية على ماصدر منها من الأقوال والأفعال والأعمال . عند استعمالها آلات الصورة والأشكال ، بالقوى الأربعة المركبة منها القوى الانسانية وهى الملكية ، فان تغلبت عليها استحقيت حسن الثواب وأمنت من سوء العقاب ، وارتقت نفسك سائحة فى فضاء الأفلاك متصرفة فى العوالم التى دونها ، واندرجت فى العروج الى مستقرها الروحانى وعالمها النورانى

وان تغلبت عليها القوى الثلاثة منعتها من الانبعاث وسارت بها الى موضع العقاب ، عندئذ تكون قد رجعت بخيبة المآب وأطلقت الى ظل ذى ثلاث شعب وسجنت فى قبور الذل والتعب ، وأما الميزان فهو الآلات التى يستعملها العقل الدراك ، والوزن هو الآراء والاعتقادات الراسخة من الأقوال والأفعال والعلوم والأعمال ، والوازن جوهر العقل الدراك المحيط مميز المركب من البسيط ، وأما الصراط فهو البرزخ ومعبر النفس الى العالم الأعلى من الأدنى . وأما معنى الجنة فهى العوالم الثمانية أولها جنة الميراث وهى رتبة الانسانية والثانية جنة عدن وهى الرتبة الملكية وثالثها جنة الخلد وهى العوالم الفلكية ورابعها الجنة العالية وهى العوالم الروحانية المجردة من العوالم الجرمانية وخامسها جنة الفردوس وهى النفسانية وسادسها جنة النعيم وهى عالم العلم وسابعها جنة رضوان وهى عالم العقل وثامنها جنة المأء وهى عالم الأمر الذى منه بدت العوالم واليه معادها . وأما درجات الجنة فهى مراتب العلوم ومقادير الفهوم فى كل مقام وأما اللذات والنغمات فهى جولان النفوس فى قضاء معارجها وابتهاجها عند الحصول فى مشاهدها ومواقعها ، وأما الأرائك والظل والنمارق والحلل فهى مظاهر النفوس فى الصور المتفاضلة وخلعها للصور المخالفة وتلبسها بالأشخاص المشاكلة ، وأما الأبارق والأكواب ، والساقى والكأس والشراب فهى آلات المدارك وأدوات المخالطة بعلوم الملكوت والملائكة والساقى امام الدور الدائر والكأس ماألفه الناطق من الظواهر ، والشراب المظهور من تأويل التنزيل وكشف المستور

وأما النار فهى العوالم السبعة المتولدة من الثلاثة الأركان أولها لظى نزاعة وهى كرة الاثير ، ثم الجحيم مركز الهواء والزمهرير ، ثم السعير مقر الماء ، ثم الهاوية مكان الغبرة ، ثم جهنم عالم الحيوانغير الانسان ، ثم سقر مرتبة النبات ، ثم سجيل منزلة المعدن ودركاتها واجرامها الكثيفة والثقيلة وأهلها هم النفوس الجزئية القائلة فى الآيات بالباطل والاعتقادات الردية . وأما العذاب والعقاب مما تجده من الآلام والأوجاع والأسقام ، ومفارقة المؤلفات بهجوم الحوادث والنكبات ، والزبانية فهى صور أهل الشكوك والجهالات وأشخاص أهل الضلالات والخيالات ومظاهر الآراء الباطلة والاعتقادات الردية ، وشجرة الزقوم الانتساب الى الأضداد والاجتناء من ثمرة الكفر والعناد ، وطعام غسلين اعتقاد مالايطيق العقل والدين وتقليب أصحاب الشبهات والتخمين ، وشراب الحميم الاحكام والمخالفة للحق اليقين . وأما المصير والرجوع الى الله تعالى فهو انتهاء جميع النسب والاضافات التى بين البسائط والمركبات من العوالم الروحانية والجسمانية واللطائف والكثائف الى الأربعة الحاملة اشارة الكلمة على المرتبة المشار اليها بحروف الله المتصل بالأمر الذى هو معنى رجوع المركبات العددية تعالى أو معرفة مرتبة الامام ومشاهدة أنواره المحيطة بالخاص والعام ومطالعة آثار البسيط على المعانى والأجسام .(١)

وبهذا النص من نصوص الاسماعيلية ننتقل الى ماسطره علماء الفرق والمقالات عنهم حيث صوروا مذهبهم فى الأخرويات أدق تصوير ، وبينوا ماتؤول اليه تأويلاتهم وتصوراتهم لدورات الحياة ونهايتها .

---

(١) رسالة الدستور للداعى شمس الدين الطيبى ص ٩٣-٩٦ ضمن أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر .

نصوص علماء الفرق عن معتقد الاسماعيلية فى الأخرويات :

كشف الامام الغزالى عن تأويلات الاسماعيلية فى معتقداتهم الاخروية وبين مافى هذه التأويلات من هدم للايمان وجحد لما أعده الله للبشر من ثواب وعقاب فقال : وقد اتفقوا - أى الباطنية - عن آخرهم على انكار القيامة وأن هذا النظام المشاهد فى الدنيا من تعاقب الليل والنهار وحصول الانسان من نطفة والنطفة من انسان وتولد النبات وتولد الحيوانات لايتصرم أبد الدهر وأن السموات والأرض لايتصور انعدام أجسامها وأولوا القيامة وقالوا انها رمز الى خروج الامام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشرع المغير للأمر وربما قال بعضهم ان للفلك أدوارا كلية تتبدل أحوال العالم تبدلا كليا بطوفان أو سبب من الأسباب . وأما المعاد فأنكروا ماورد به الأنبياء ولم يثبتوا الحشر والنشر للأجساد ولا الجنة والنار ولكن قالوا معنى المعاد عود كل شيء الى أصله فالانسان مركب من العالم الروحانى والجسمانى أما الجسمانى منه وهو الجسد فينحل ويعود كل خلط الى طبيعته وأصله وذلك هو معاد الجسد وأما الروحانى وهو النفس فانها ان صفيت بالمواظبة على العبادات وزكيت بمجانبة الشهوات وغذيت بغذاء العلوم والمعارف المتلقاة من الأئمة الهداة اتحدت عند مفارقة الجسم بالعالم الروحانى الذى منه انفصالها وتسعد بالعود الى وطنها الأصلى ولذلك سمى رجوعا فقيل لها {ارجعى الى ربك راضية مرضية} (١) وهى الجنة واليه

---

(١) سورة الفجر : ٢٨

وقع الرمز فى قصة آدم وكونه فى الجنة ثم انفصاله عنها ونزوله الى العالم السفلانى ثم عوده اليها بالآخرة .

وأما النفوس المنكوسة المغمورة فى عالم الطبيعة المعرضة عن رشدها من الأئمة المعصومين فانها تبقى أبد الدهر فى النار على معنى أنها تبقى فى العالم الجسمانى تتناسخها الأبدان فلاتزال تتعرض فيها للألم والاسقام فلاتفارق جسدا الا ويتلقاها آخر ولذلك قال تعالى : {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب} (١) فهذا مذهبهم فى المعاد وهو بعينه مذهب الفلاسفة (٢) .

ونقل البغدادى رسالة عبيد الله المهدى - أحد أئمة الاسماعيلية - الى أحد أتباعه ودعاته ومما جاء فى آخرها قوله : ان صاحبهم - أى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم - حرم عليهم - أى على المسلمين - الطيبات وخوفهم بغائب لايعقل وهو الاله الذى يزعمونه وأخبرهم بكون مالايرونه أبدا من البعث من القبور والحساب والجنة والنار حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له فى حياته ولذريته بعد وفاته خولا واستباح بذلك أموالهم بقوله : "لاأسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى" (٣) . فكان أمره معهم نقدا وأمرهم معه نسيئة وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لايكون وهل الجنة الا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها الا مافيه اصحاب الشرائع من التعب والنصب فى الصلاة والصيام والجهاد والحج (٤) .

---

(١) سورة النساء : ٥٦
(٢) انظر فضائح الباطنية للغزالى ص ٤٤-٤٦ .
(٣) سورة الشورى : ٢٣
(٤) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٨١-٢٨٢ .

وعبر الشهرستانى عن مراد الاسماعيلية بالقيامة الكبرى بأنه كمال النفس وبلوغها الى درجة العقل عن طريق الحركات الفلكية والسنن الشرعية واذا وصلت النفس الى مرتبة العقل فعلا فهذا ايذان بانحلال تراكيب الأفلاك والعناصر والمركبات وانشقاق السماء وتناثر الكواكب وتبدل الأرض ... الخ وهنالك يحاسب الخلق ويتميز الخير عن الشر والمطيع عن العاصى وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلى وجزئيات الباطل بالشيطان المضل المبطل فمن وقت الحركة الى وقت السكون هو المبدأ ومن وقت السكون الى مالانهاية له هو الكمال (١) .

ويقسم الامام ابن تيمية المنكرين للمعاد فيقول : ان طوائف من الكفار والمشركين ينكرون المعاد بالكلية فلايقرون لابمعاد الأرواح ولا الأجساد . وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لايقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة فانهم يحرفون الكلام عن مواضعه ويقولون هذه أمثال ضربت لفهم المعاد الروحانى وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذينقولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين الى الاسلام وطائفة ممن ضاهم من كاتب أو متطبب أو متصوف كأصحاب رسائل اخوان الصفا وغيرهم أو منافق هؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الايمان فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد بين ذلك بيانا شافيا قاطعا للعذر ، وتواتر ذلك عند أمته خاصها وعامها وقد ناظره بعض اليهود فى جنس هذه المسألة وقال يامحمد أنت تقول ان أهل الجنة يأكلون

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٤/١ .

ويشربون ومن يأكل ويشرب لابد له من خلاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم : رشح كرشح المسك ويجب على ولي الأمر قتل من أنكر ذلك ولو أظهر التصديق بألفاظه فكيف بمن ينكر الجميع (١) .

ويعدد الديلمي الوجوه الدالة على كفر الفرق الباطنية وانسلاخهم من شريعة الاسلام ومن خلال ذلك يقول : ان مما يدل على كفرهم اعتقادهم في المعاد والقيامة وذلك لأنهم يعتقدون ابطال القيامة على الوجه الذي يعتقده المسلمون ويعلم من دين النبي صلى الله عليه وسلم فهم قد اتفقوا على انكار القيامة والبعث والنشور والجنة والنار على ماورد به القرآن وماعرف من دين محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة ويقولون ان معنى القيامة قيام قائم الزمان وهو خروج امامهم السابع ومعنى المعاد عود كل شيء الى أصله من الطبائع الأربع ويقولون ان المراد من الموت خروج الروح من الجسد ونقله الى مكان آخر ولايموت أبدا (٢) .

ويشارك العلوي من سبقه في نقل مذهب الاسماعيلية عن القيامة وأحوال المعاد فيقول : انهم اتفقوا من عند آخرهم على انكار القيامة ولم يثبتوا الحشر والنشر واعادة الأجساد ولا الجنة والنار على حد ماوردت به الشريعة ونطق به الأنبياء . وتأولوا القيامة وقالوا انها اشارة الى خروج الامام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشرع المغير للأمر (٣) .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣١٤/٤-٣١٥ .
(٢) انظر بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص ٧-٧٨ .
(٣) الانعام لأفئدة الباطنية الطغام ص ١١٦ .

وتحدث الملطي عن معتقدهم في الاخرويات بشيء من التفصيل والبيان فقال : انهم زعموا أنه لاجنة ولانار ولابعث ولانشور وأن من مات بلى جسده ولحق روحه بالنور الذي تولد منه حتى يرجع كما كان .

وزعموا أن كل ماذكره الله عز وجل في كتابه منجنة ونار وحساب وميزان وعذاب ونعيم فانما هو في الحياة الدنيا فقط من الأبدان الصحيحة والألوان الحسنة والطعوم اللذيذة والروائح الطيبة والأشياء المبهجة التي تنعم فيها النفوس والعذاب هو الأمراض والفقر والالام والانصاب وماتتأذى به النفوس وهذا عندهم الثواب والعقاب على الأعمال (١) .

ان هذه النصوص تعتبر صورة واضحة لمعتقد الاسماعيلية في القيامة والمعاد وسائر أمور الآخرة وهذه المصادر ملزمة لأنها مصادرهم ومؤلفاتهم مباشرة وتتأكد أكثر حينما نجد علماء المسلمين الكاشفين لأسرارهم يصلون الى النتائج الثابتة في مصادر الاسماعيلية ومن خلال هذه النصوص مجتمعة نستخلص معتقدهم في هذا الفصل بالصورة التالية :

أن معتقد الاسماعيلية في أمور الآخرة مبني على بعض أصولهم الالحادية ومن هذه الأصول التي انطلقوا منها عن أمور الآخرة :

أولا : القول بالظاهر والباطن حيث اعتبروا جميع ماورد في القرآن وعلى لسان الرسول صلى الله عليه وسلم من الموت وعذاب القبر والجنة والنار كل هذه الأمور لها باطن غير

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٢٠-٢١ .

المعروف والواضح لدى المسلمين .

ثانيا : القائم السابع حيث اعتبروا ظهوره ايذانا بقيام القيامة وخراب الأفلاك وبدء الحساب والجزاء ، ولتشبثهم بهذه الأصول التى لاأساس لها ولابقاء ذهبوا مذهبا عجيبا وسلكوامسلكا فريدا فقالوا : ان المراد من البعث درجة معينة يصل اليها المستجيب ويكون مؤهلا لأن تبعث له العلوم والمعارف وبذلك يصير فى عالم آخر وذلك هو البعث الحقيقى .

وأما الموت فانهم اعتبروه انتقال التصور الموجود عند الانسان فان كان موافقا لعقيدتهم انتقل هذا التصور الى هياكل نورانية - كما يسمونها - وانضمت الى العقول المدبرة لهذا الكون وهذا هو معاد أهل الباطن وان كان مخالفا لهم فانه عند الموت لاتفارق نفسه جسمه . وانما الذى يفارقه تصوره الفاسد - كما يزعمون - .

ومن هذا السفه والعبث الذى لانهاية له عند الاسماعيلية فى ركن من أركان الاسلام العظيمة يتضح لنا أنهم لايؤمنون ببعث ولاجزاء ولاعقاب ، ولامعاد ولايثبتون سوى الدنيا دارا ولذا أولوا جميع ماورد فى القرآن عن الآخرة فقالوا ان معنى القيامة قيام قائم الزمان فلاآخرة اذا ومعنى الجنة العلوم الجارية من قبل نطقائهم وأئمتهم والتى لايحمل عليها الا القليل حيث ان على هذه العلوم - الجنة - مؤكلا لايأذن لكل واحد فى الدخول اليها .

وأما النار فالمراد منها - عندهم - الشرائع التى يعمل المسلمون بها وصورة العذاب فيها هو مزاولتها

واستعمالها واجهاد البدن فى تطبيقها حيث لاثواب ولاعقاب.

ان المتأمل وصاحب الفطرة السليمة يعتبر هذه التأويلات الباطنية رد صريح وواضح لنصوص الشريعة الاسلامية الغراء فى ركن من أركان الايمان ومن المجمع عليه بين المسلمين قاطبة أن من رد نصا واحدا سواء من نصوص القرآن أو الأحاديث الثابتة الصحيحة فهو كافر لرده ماجاء عن الله وماجاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام فكيف بمن رد نصوصا كثيرة وذلك كنصوص البعث والمعاد والحساب والجنة والنار .

ونظرا لأن الاسماعيلية بمعتقداتهم هذه عن اليوم الآخر خالفوا جميع المسلمين بل وسائر الملل والديانات السماوية المثبتة للمعاد (١) فلابد من ايضاح هذا الأصل من أصول الدين مع بيان الأدلة من القرآن والسنة حول تقريره واثباته وبطلان تأويلات الباطنية له ومن ثم حكم المنكرين له سواء كان ذلك انكارا صريحا أو مؤولا .

ان الاعتقاد باليوم الآخر من أهم عناصر الايمان وأصول الدين ولذا نجد أن القرآن الكريم اهتم بهذه القضية اهتماما بالغا وقرر حقيقة اليوم الآخر ومايكون فيه من بعث وحساب وجزاء ثم مايتبعه من دار نعيم ودار عذاب ودعم ذلك كله بوصفه ركنامن أركان العقيدة الاسلامية .

---

(١) ذكر ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ص ٢٩٥ أن أصول الدين اما أن تكون مسائل يجب اعتقادها قولا . أو قولا وعملا كمسائل التوحيد والصفات والقدر والنبوة والمعاد وفى المجلد التاسع من مجموع الفتاوى ص ٣٢-٣٤ ذكر أن الأصول ثلاثة وهى متلازمة :
١ ـ توحيد الله .
٢ ـ الايمان برسله .
٣ ـ الايمان باليوم الآخر .
وهذه الأمور الثلاثة متلازمة ولايتم للعبد سعادة ونجاة من عذاب الله الا بالايمان بها قولا وعملا واعتقادا .

يقول سيد قطب رحمه الله : لقد عنى القرآن بمشاهد اليوم الآخر فلم يعد ذلك العالم الذى وعده الناس بعد هذا العالم موصوفا فحسب بل عاد مصورا محسوسا وحيا متحركا وبارزا شاخصا وعاش المسلمون فيه فرأوا مشاهده وتأثروا بها وخفقت قلوبهم تارة واقشعرت جلودهم وسرى فى نفوسهم الفزع مرة وعاودهم الاطمئنان أخرى ولفحهم من النار شواظ ورف اليهم من الجنة نسيم ، ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم قبل اليوم الموعود وقد أضحى لديهم واضحا وضوح العقيدة الاسلامية . موت وبعث ونعيم وعذاب لأن هذه الحقيقة الواضحة يعرضها القرآن فى صور شتى وترتسم فى عالم حافل بالمشاهد المنتزعة من عالم الأحياء . (١)

ومما يدل أيضا على أهمية المعاد أن الله تعالى ربط الايمان به بالايمان باليوم الآخر فقال تعالى : {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... الآية} (٢) ، وقوله الله تعالى : {ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر} (٣) .

فاعتبر الايمان باليوم الآخر رتبة ثانية بعد الايمان بالله وهذا مما يدل على أهمية هذا المعتقد الذى أنكره الاسماعيلية ومن ضاهاهم من الماديين والطبائعيين .

أما الأدلة من القرآن والسنة فى اثبات القيامة والمعاد فأكثر من أن تحصر وحسبنا أن نشير الى جملة منها :

---

(١) مشاهد القيامة فى القرآن لسيد قطب ص ٣٨-٣٩ .
(٢) سورة البقرة : ١٧٧
(٣) سورة البقرة : ٦٢

قال تعالى : {زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير} (١) . وقال تعالى : {واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت ، بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لايعلمون} (٢) . وقال تعالى مخبرا عن الكفرة ومعتقدهم عن المعاد : {وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب} (٣) . وقال تعالى : {ويستنبئونك احق هو ؟ قل أى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين} (٤) .

فجميع هذه الآيات تدل على وقوع المعاد وليس ذلك بطريق الاخبار فقط بل بالقسم الذى أمر الله نبيه أن يقسم بوقوعه وهذا من أنواع الأدلة القرآنية لاثبات المعاد .

ومن الأنواع الأخرى أن الله عز وجل ذم المكذبين بالمعاد وأخبر انهم من الخاسرين ، قال تعالى : {قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على مافرطنا فيها} (٥) .

وقال تعالى : {الا ان الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد} (٦) . وقال تعالى : {أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ، وجعل لهم أجلا لاريب فيه ، فأبى الظالمون الا كفورا} (٧) .

---

(١) سورة التغابن : ٧
(٢) سورة النحل : ٣٨
(٣) سورة سبأ : ٣
(٤) سورة يونس : ٥٣
(٥) سورة الأنعام : ٣١
(٦) سورة الشورى : ١٨
(٧) سورة الاسراء : ٩٩

وقال تعالى : {ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا} (١) .

وأخبر الله عز وجل عن أهل النار أنهم اذا سئلوا يوم القيامة عن اليوم الآخر اعترفوا بأن الرسل انذرتهم هذا اليوم قال تعالى مبينا ذلك : {ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين} (٢) .

ومن انواع الأدلة على البعث أيضا أن الله عز وجل أثبت امكان الحشر والمعاد من خلال أمور مسلمه لدى الكفار والمشركين وذلك كالخلق والانشاء حيث هم مقرون بذلك .

فتكذيبهم بالمعاد من باب التناقض والتفريق بين المتماثلات والآيات من هذا النوع كثيرة جدا منها قوله تعالى {ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا . وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور} (٣) .

---

(١) سورة الاسراء : ٩٨
(٢) سورة الزمر : ٧١
(٣) سورة الحج : ٥-٧

فالقادر على خلق الانسان واحياء الأرض ابتداء بطبيعة الحال يكون قادرا على اعادة الحياة اليهما مرة أخرى .
فوجود الشيء دليل على أن ماهو دونه أولى بالامكان منه (١) .

ولذا قال في الآية الأخرى {وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم} (٢) .

وفي آيات أخرى بين الله سبحانه قدرته على خلق ماهو أعظم وأشمل من الانسان وذلك كخلق السموات والأرض قال تعالى {أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شيء قدير} (٣)

وقال تعالى : {قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير} (٤) .

ومن المعلوم ببداهة العقول أن القادر على خلق السموات والأرض والتى هى أعظم من خلق الانسان وغيره من المخلوقات قادر على ماهو أيسر وأولى وهو خلق الانسان ابتداء فكيف باعادته وبعث جسمه مرة أخرى ؟

فالمكذبون بالبعث والمنكرون لمعاد الأجسام مكابرون لعقولهم ومخالفون للسنن الكونية والفطر البشرية .

ومن أنواع الأدلة القرآنية لاثبات المعاد ماقصه الله علينا في عدة آيات من احياء الموتى فى الدنيا وذلك كما

---

(١) انظر تعارض العقل والنقل لابن تيمية ص ٣٢ .
(٢) سورة الروم : ٢٧
(٣) سورة الأحقاف : ٣٣
(٤) سورة العنكبوت : ٢٠

في قصة الرجل الذى مر على قرية وتساءل عن امكان بعثها واعادة الحياة اليها مرة أخرى ، وكان الجواب أن ضرب الله له المثل من نفسه بأسلوب عملى يعتبر غاية فى الاقناع ، قال تعالى : {أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شىء قدير} (١) .

وكما فى قصة أصحاب الكهف الذين أماتهم الله ثم احياهم ليكونوا عبرة للأجيال بعدهم وآية على قدرة الله لبعث الأجساد وارجاع الحياة اليهابعد الموت ولذا عقب الله ـ بعد سياق قصتهم ـ بقوله : {وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها ...} (٢) .

يقول ابن كثير أن بعض السلف ذكروا أنه حصل لأهل ذلك الزمان شك فى البعث وفى أمر القيامة فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك ونقل عن عكرمة ان طائفة منهم قد قالوا تبعث الأرواح ولاتبعث الأجساد (٣) فرد الله عليهم بهذا الأسلوب العملى الذى لايقبل بعده أى جحد أو انكار أو تأويل .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٩
(٢) سورة الكهف : ٢١
(٣) تفسير ابن كثير ٧٧/٣ .

ومنهـا قصة الـذين أخرجـوا مـن ديارهم وهم ألوف حذر الموت حيث أن الله عز وجل أماتهم ثم أحياهم فى الدنيا مرة أخرى وذلك عين القدرة على بعث الأجساد واعادة الحياة اليها فى الدار الآخرة . قال تعالى : {ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون}(١) .

ومنهـا قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام حينما طلب من الله عزوجل أن يريه كيفية احياءه للموتى قال تعالى : {واذ قال ابراهيم ربى ارنى كيف تحيى الموتى . قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم}(٢) .

ومـن أنواع الأدلة القرآنية لاثبات المعاد الاستدلال على وقوع الحشر بأنه لابد من اثابة المحسن وتعذيب العاصى ليجزى الـذين أساءوا بمـا عملـوا ويجـزى الـذين أحسنوا بالحسنى وتمييز أحدهما من الآخر(٣) .

قـال تعـالى : {اليـه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبـدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط}(٤) .

وقـال تعالى : {ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى}(٥) . وقال : {وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما

---

(١) سورة البقرة : ٢٤٣
(٢) سورة البقرة : ٢٦٠
(٣) نير البرهان للشرفى ٥٢/٢ .
(٤) سورة يونس : ٤
(٥) سورة طه : ١٥

باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار} (١) .

ان هذه الآيات تبين أنه لابد من جزاء حسن للمؤمنين ، ولابد من عقاب وعذاب للكافرين والملحدين وأن زمان هذا العقاب وذلك الجزاء بعد قيام الساعة والرجوع الى الله تعالى فى الدار الآخرة ولو لم يحصل بعث ولانشور لاستوى البر والفاجر والمسلم والكافر (٢) .

ومن ابلغ الأدلة وأكثرها افحاما للمعاندين والجاحدين حول قضية البعث ماذكره الله بأسلوب الرد والمحاورة بحيث يخاطب العقل البشرى بأوجز العبارات وأدلها وأخصها وأقطعها للعذر وألزمها للحجة .

قال تعالى حكاية عن الكفار : {وقالوا اءذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا} (٣) .

فتأمل ماأجيبوا به عن كل سؤال على التفصيل فانهم قالوا أولا "ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا" فقيل لهم فى جواب هذا السؤال ان كنتم تزعمون أنه

---

(١) سورة ص : ٢١-٢٢
(٢) استفدت فى جميع بعض هذه النصوص من رسالة الطالب سويلم التوم وعنوانها عقيدة البعث الآخر ص ٨٩-١٢٧ .
(٣) سورة الاسراء : ٤٩-٥٢

لاخالق لكم ولارب لكم فهل كنتم خلقا لايفنيه الموت كالحجارة والحديد وماهو أكبر فى صدوركم من ذلك . فان قلتم كنا خلقا على هذه الصفة التى لاتقبل البقاء فما الذى يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين اعادتكم خلقا جديدا وللحجة تقرير آخر وهو لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلقا أكبر منهما فانه قادر على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم وينقلها من حال الى حال ومن يقدر على التصرف فى هذه الأجسام مع شدتها وصلابتها بالافتاء والاحالة فما الذى يعجز - فيما دونها - ثم أخبر انهم يسألون آخرا بقولهم من يعيدنا اذا استحالت جسومنا وفنيت فأجابهم بقوله {قل الذى فطركم أول مرة} فلما أخذتهم الحجة ولزمهم حكمها انتقلوا الى سؤال آخر يتعللون به بعلل المنقطع وهو قولهم "متى هو ؟" فأجيبوا بقوله : "عسى أن يكون قريبا" .

ومن هذه الأدلة العقلية قوله تعالى : {وضرب لنا مثلا ونسى خلقه . قال من يحيى العظام وهى رميم ...} الآية (١) . فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتى بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ فى الايجاز موضوح الأدلة وصحة البرهان لما قدر فانه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد اقتضى جوابا فكان فى قوله {ونسى خلقه} مايعنى بالجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة ولما أراد سبحانه تأكيد الحجة وزيادة تقريرها جاء الرد {قل يحييها الذى أنشأها أول مرة} فاحتج بالابداء على

---

(١) سورة يس : ٧٨ الى آخر السورة .

الاعادة وبالانشاء الأول على النشأة الأخرى . اذ كل عاقل يعلم ضروريا أن من قدر على هذه – أى النشأة الأولى – قدر على هذه – أى النشأة الأخرى – وانه لو كان عاجزا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز . ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه اتبع ذلك بقوله : {وهو بكل خلق عليم} فهوعليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته فكذلك الثانى فاذا كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيى العظام وهى رميم . ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر يتضمن جوابا عن سؤال ملحد آخر يقول : العظام اذا صارت رميما عادت طبيعتها باردة يابسة والحياة لابد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث ففيه الدليل والجواب فقال : {الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون} فأخبر سبحانه باخراج هذا العنصر الذى هو فى غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلىء من الرطوبة والبرودة فالذى يخرج الشىء من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولاتستعصى عليه هو الذى يفعل ماأنكره الملحد ودفعه من احياء العظام وهى رميم . ثم اكد هذا بأخذ الدلالة من الشىء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر فان من يعلم أن كل من قدر على العظيم الجليل فهو على مادونه بكثير أقدر وأقدر فمن قدر على حمل قنطار كان على حمل أوقية أيسر اقتدارا فقال : {أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم} فأخبر أن الذى أبدع السموات والأرض على حالتها وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقهما

أقــدر علـى أن يحيى عظامـا قد صارت رميمـا فيردهـا الـى حالتهـا الأولـى كمـا قـال فـى موضع آخر : {لخلـق السموات والأرض أكبـر من خلـق النـاس ولكن أكثـر النـاس لايعلمون} (١) . وقـال : {أوليس الذى خلـق السموات والأرض بقـادر علـى أن يخلـق مثلهم بلـى وهو الخلاق العليم} (٢) .

ثـم أكـد سـبحانه ذلك وبينه ببينات أخرى وهو أنه ليس فعلـه بمنزلة غيره الذى يفعل بالالات والكلفة والنصب والمشقة ولايمكنـه الاستقلال بـالفعل بل لابد معه من آلة ومعين بل يكفـى فـى خلقـه لمـا يريـد أن يخلقـه ويكونـه نفس ارادته وقولـه للمكـون كـن فـاذا هـو كائن كمـا شاءه وأراده . ثم ختم هذه الحجـة باخبـاره أن ملكـوت كـل شىء بيده فيتصرف فيه بفعلـه وقولـه ومـن هـذه الأدلة العقلية قـول الله تعالـى : {أيحسب الانسـان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كـان علقـة فخـلـق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقـادر علـى أن يحيى الموتى} (٣) .

فـاحتج سـبحانه عـلـى أنـه لايتركه هملا عن الأمر والنهـى والثواب والعقـاب وأن حكمته وقدرته تـأبـى ذلك أشد الإبـاء (٤) .

وكـم فـى القـرآن من مثل هذا الاحتجاج الذى يقطع دابـر المكـذبين بـالمعـاد والمنكـرين لـه . ومـع كـثرة النصـوص القرآنيـة عن المعاد والقيامة فان السنة أيضا لم تغفل هذه العقيـدة الأساسـية بـل جـاءت حافلـة بذكرها مقررة لهـا بشتى

---

(١) سورة غافر : ٥٧

(٢) سورة يس : ٨١

(٣) سورة القيامة : ٣٦ الى آخر السورة .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لأبى العز الحنفى ص ٣٥٥-٣٥٨ .

الصور والأساليب .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه رجل فقال : ما الايمان ؟ قال : الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث . وفي رواية مسلم وتؤمن بالبعث الآخر (١) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أخبرني عن الايمان ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره (٢) .

فالاعتقاد بالبعث واليوم الآخر يعتبر ركنا من أركان الايمان الستة المنصوص عليها في الحديث الثاني ولذا قرن الله الايمان بالبعث بالايمان بالله ورسله وكتبه وحيثما تخلف ركن من هذه الأركان بحيث لايتم الايمان الا به ولايوجد بغيره .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة (٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قال يانبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة .

---

(١) فتح الباري ١١٤/١ ، صحيح مسلم مع النووي ١٦٢/١ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٧/١ .
(٣) فتح الباري ٢٤٣/٣ .

وعـن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يبعث كل عبد على مامات عليه (١) .

وعـن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : خر رجل عـن بعيره فـوقص فمـات فقـال النبى صلى الله عليه وسلم : اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبيه ولاتخمروا رأسه فان الله يبعثه يوم القيامة ملبيا .

وفـى روايـة "فـانـه يبعـث يـوم القيامة ملبدا" . وفى رواية "فانه يبعث يوم القيامة وهو يهلل" (٢) .

وعـن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قـال : مـابين النفختين أربعون قالوا : ياأبا هريرة أربعـون يومـا قال : أبيت .قال : أربعون سنة قال أبيت قال أربعون شهرا قال أبيت ويبلى كل شىء من الانسان الا عجب ذنبه فيه يركب الخلق (٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنـا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع" (٤) .

ان هـذه الأحاديث النبوية تقرر ماقرره القرآن من ثبوت المعـاد ووقوعـه يـوم القيامـة . فالتكذيب بالمعاد واليوم الآخـر سـواء بانكـاره أو تأويل نصوصه الثابتة يعتبر تكذيب ورد لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وجحد للمعلوم من الدين بالضرورة .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/١٤٩-٢١٠ .
(٢) المرجع السابق ٨/١٢٨-١٢٩ .
(٣) فتح البارى ٨/٥٥١ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥/٣٧ .

ومن الأحاديث الواضحة والصريحة في ثبوت المعاد الجسدي قصة الرجل الذي أساء عمله وخاف من لقاء الله ولفظ هذه القصة كما رواها البخاري ومسلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا فيمن كان قبلكم أعطاه الله مالا وولدا فلما حضرته الوفاة قال لبنيه أي أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب قال : فانه لم يبتئر عند الله خيرا وان يقدر الله عليه يعذبه فانظروا اذا مت فاحرقوني حتى اذا صرت فحما فاسحقوني فاذا كان يوم ريح عاصف فأذروني فيها فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : فاخذ مواثيقهم على ذلك وربي (١) ففعلوا ثم اذروه في يوم عاصف فقال الله عز وجل كن . فاذا هو رجل قائم .

(وفي رواية مسلم فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البر فجمع مافيه وأمر البحر فجمع مافيه . وفي رواية أخرى قال الله عز وجل لكل شيء أخذ منه شيئا أد ما أخذت منه) . قال الله أي عبدي ماحملك على أن فعلت مافعلت ؟ قال مخافتك قال فما تلافاه أن رحمه عندها (٢) .

يقول ابن حجر رحمه الله : ان في هذا الحديث دلالة واضحة على عظم قدرة الله تعالى حيث جمع جسد المذكور بعد أن تفرق ذلك التفريق الشديد (٣) .

ولهذا الحديث روايات وألفاظ متعددة ومجموع رواته

---

(١) ورد هذا اللفظ بصيغة الماضي كما في البخاري وهو مأخوذ من التربية ومعنى ربي أخذ المواثيق بالتأكيدات والمبالغات . انظر فتح الباري ٣١٥/١١ .

(٢) الحديث منقول بتمامه من صحيح البخاري انظر فتح الباري ٤٦٦/١٣-٤٦٧ . أما الروايات الأخرى فهي في صحيح مسلم انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٧١/١٧-٧٣ .

(٣) فتح الباري ٣١٥/١١ .

يبلغون درجة التواتر كما ذكر ذلك صاحب العواصم (١) .

والحديث كما هو واضح من ألفاظه ومعانيه يعتبر مثالا حيا وواقعيا لجمع جسد الانسان وبعث الحياة الى ذلك الجسد المتفرق مرة أخرى بعد حرق العظام وسحقها وذرها فى يوم عاصف نصفها فى البر ونصفها فى البحر . وانما يصعب الايمان بمثل هذا عند أصحاب التصورات الضيقة الذين لايؤمنون بقدرة الله وعلمه واحاطته بكل شىء .

ومن الأحاديث أيضا مارواه أبو هريرة رضى الله عنه وأخرجه البخارى فى ثلاثة مواضع من صحيحه بأسانيد متعددة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك . فأما تكذيبه اياى فقوله : لن يعيدنى كما بدانى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته . وأما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وانا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد (٢) .

ان انكار البعث والمعاد بعد هذه الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية يعتبر من أعظم الكفر والالحاد لأنه رد صريح وواضح لآيات الله وأحاديث رسول الله التى يجب على كل

---

(١) مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن ابراهيم الوزير واسم الكتاب العواصم والقواصم وهو مخطوط .

(٢) انظر فتح البارى ٢٨٧/٦ ، ١٦٨/٨، ٧٣٩ ، المسند لأحمد بن حنبل ٣٥٠/٢-٣٥١ .

مسلم الوقوف عندها والتسليم لها كما أنه جحد وانكار لقدرة الله ودلائله البينة فى الأنفس والافاق .

لقد حكم الله فى كتابه الكريم على منكرى البعث بالكفر والخلود فى النار كما قال تعالى : {وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا ائنا لفى خلق جديد . أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} (١) .

وفى معنى الآية قولان :

أحدهما : ان تعجب من قولهم {أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد} فعجب قولهم اذ كيف ينكرون هذا وقد خلقوا من تراب ولم يكونوا شيئا .

الثانى : ان تعجب من شركهم مع الله غيره وعدم انقيادهم لتوحيده وعبادته وحده لاشريك له فانكارهم للبعث وقولهم {أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد} أعجب وعلى كلا التقديرين فانكار المعاد عجب من الانسان وهو محض انكار الرب والكفر به والجحد لالهيته وقدرته وحكمته وعدله وسلطانه (٢) .

ومن الآيات التى تدل على كفر منكر البعث ماذكره الله بقوله تعالى : {ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ماأظن أن تبيد هذه أبدا . وماأظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربى ولاأشرك بربى أحدا} (٣) .

---

(١) سورة الرعد : ٥
(٢) العقيدة الاسلامية لكمال عيسى ص ٣٩٤-٣٩٥ .
(٣) سورة الكهف : ٣٥-٣٨

ولهذه الآيات وغيرها أجمع علماء المسلمين على تكفير المنكرين للبعث والمعاد واعتبروهم من الفرق الخارجة عن الاسلام .

يقول ابن حزم : اتفق أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيامة الكبرى وعلى تكفير من أنكر ذلك (١) .

وحينما تحدث الامام الغزالي عن أصناف الفلاسفة قال : انهم أصناف ثلاثة . دهريون وطبيعيون والهيون وبين آراء كل صنف منهم وقال : ان الصنف الثاني ذهبوا الى أن النفس تموت ولاتعود فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولاللمعصية عقاب فانحل عنهم اللجام وانهمكوا في الشهوات انهماك الانعام وهؤلاء زنادقة لأن أصل الايمان هو : الايمان بالله واليوم الآخر وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وان آمنوا بالله وصفاته (٢) .

ويقول الديلمي : ان مما يدل على كفر الباطنية اعتقادهم في المعاد والقيامة وذلك لأنهم يعتقدون ابطال القيامة على الوجه الذي يعتقده المسلمون ويعلم من دين النبي صلى الله عليه وسلم ضرورة (٣) .

ويحدد ابن تيمية أصناف المنكرين للمعاد ويبين حكمهم وفق الأدلة الشرعية بقوله : وجميع هؤلاء الأصناف ـ والباطنية منهم ـ كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الايمان حتى ولو أظهر

---

(١) الفصل لابن حزم ٧٩/٤ .
(٢) المنقذ من الضلال للغزالي ص ١٠٩-١١١ .
(٣) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص ٧٨ .

أحدهم التصديق بألفاظه (١) .

وأخيرا فان الاسماعيلية بنصوصهم هذه عن المعاد يعتبرون من المنكرين للمعاد والمكابرين للحس والواقع والفطرة ولاغرو وحالتهم هذه أن يجزم العلماء الكاشفين لاسرارهم والهاتكين لاستارهم كفرهم وردتهم لانكارهم الايمان بالحساب والجزاء ، وتأويلهم اياها تأويلا باطنيا يساوى الجحد والانكار .

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣١٤/٤-٣١٥ ، وسبق أن نقلنا هذا النص بطوله قبل بضع صفحات .

الفصل الخامس

معتقد الاسماعيلية في مصادر المسلمين

ان من بديهيات الأمور ومسلماته أن المصادر الأساسية للأمة الاسلامية هما كتاب الله عز وجل الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم القائل عنها عليه الصلاة والسلام "ألا وانى أوتيت القرآن ومثله معه" ، وتسمى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيا لقوله تعالى : {ومايـنطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى}(١) .

فالمصادر الأساسية للمسلمين على تنابذ فرقهم عدا البدع الكبرى هما كتاب الله عز وجل والسنة النبوية المتمثلة فى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وأوصافه . ومما يمتاز به أهل السنة والجماعة عن غيرهم من أهل البدع والأهواء أن منهجهم فى التلقى منهج ربانى لادخل للعقول البشرية والأهواء فيه ، بل من لدن عليم بالعباد خبير بما يصلح شؤونهم كلها فمصدر الحق والعلم والهدى عند أهل السنة هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلاكلام لأحد قبل كلام الله ولاهدى لأحد قبل هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولذلك استحقوا هذا الاسم العظيم "أهل الكتاب والسنة" لأنهم ـ وكما قال الامام ابن تيمية ـ : يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد ويتبعون آثاره صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا(٢) .

---

(١) سورة النجم : ٣-٤

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥٧/٣ .

وفي موضع آخر قال : ان أهل السنة والجماعة لاينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم ان لم تكن ثابتة فيما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل يجعلون مابعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذى يعتقدونه ويعتمدونه (١) .

أما أهل البدع والأهواء فان مصادرهم في التلقى كثيرة جدا منها الأهواء ، ومنها العقل ، ومنها الفلسفة ، ومنها موروثات الأمم السابقة من الملل والمذاهب ، وكذلك الديانات المحرفة . فالشيعة عموما سواء كانوا امامية اثنى عشرية أو باطنية اسماعيلية خالفوا المسلمين قاطبة في هذه المصادر فردوها اما ردا صريحا أو مؤولا ، ولنبدأ أولا بعقيدتهم عن المصدر الأول وهو (القرآن) .

(١) عقيدة الاسماعيلية في القرآن :

تعتقد فرق الشيعة الغالية بتحريف القرآن ، وأول من جاهر بهذه الفرية العظيمة - كما سبق وأن ذكرنا - مؤسس مذهب التشيع ومنتحله ابن سبأ الذى نقل لنا قولته : هدينا لوحي ضل عنه الناس وعلم خفى وزعم مع ذلك ان نبي الله كتم تسعة أعشار القرآن (٢) .

وسرت هذه العقيدة لدى غلاة الشيعة ابتداء من السبأية حتى الفرق الباطنية التى اشتهرت اما بالزعم بتحريف القرآن وذلك كالاسماعيلية أو الادعاء بأن لديهم مصاحف خاصة بهم

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤٧ .
(٢) انظر القسم الأول من الرسالة ص ٢٠٠ .

وذلك كالنصيرية والدروز .

ومن الجدير بالذكر أن عقيدة الاسماعيلية فى هذا المصدر لاتختلف عن عقيدة اخوانهم الشيعة الامامية والتى بسطنا القول فيها فى القسم الأول من الرسالة (١) ، واثبتنا بما لايدع مجالا للشك أن زعمهم هذا أصل يعول عليه عندهم ويرتبط ارتباطا مباشرا بأصولهم وفروعهم ، وبذلك تكون فرقة الشيعة بفرعيها الامامى والاسماعيلى اشتهرت بهذه الفرية العظيمة اكثر واظهر من غيرهما من فرق الغلاة الأخرى .

ومن نصوص الاسماعيلية الصريحة حول اعتقادهم بهذه الفرية ماذكره قاضيهم ابن حيون فى كتابه أساس التأويل ، يقول : ولما غاب رسول الله ستروا مرتبة أساسه صلوات الله عليه وكتموا نص الرسول وبيعته التى بايعوه بعد ضم واتبعوا ابليس وقابيل والسامرى حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ، وجلسوا مجلسه وتسموا باسمه وادعوا منزلته من الخلافة وامرة المؤمنين وتعلقوا بالظاهر وصرفوه فأقام الأساس صلوات الله عليه عليهم الحجة بالقرآن الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لما جمعه وجاءهم به . فقالوا حسبنا مامعنا من كتاب الله ولاحاجة لنا الى مامعك ، فأخذه وانصرف عنهم ولم يجد له ناصرا ولامعينا واشتدت عليه المحنة ، وكثر أذاهم له حتى هموا بقتله فى صلاته لأن الضد الأول أمر خالد بن الوليد اذا صلى عليه السلام معهم فى الصف الأول وقال له اذا سلمت فاضرب عليا وهو فى الصلاة فى تسبيحه فاقتله وتكون فيها سدا فلما صلى تفكر فى قوة بنى هاشم وقال ربما لايتم لخالد قتله

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٠-٢٢٠ .

فيختلف عليه الناس ويرجعوا عن بيعته فيقتل ، فاطال جلوسه قبل التسليم حتى كادت أن تطلع فعندئذ قال : لايفعل خالد ماأمرته به برفيع صوته ثم سلم فقال على لخالد ويلك أوكنت تفعلها ومد يده الى طوقه ومسكه فما قدر احد على خلاصه من يده حتى أقسموا عليه بمحمد صلى الله عليه وسلم فأقسموا عليه فخلاه من يده (١) .

وصرح الباطنى الاسماعيلى جعفر بن منصور اليمن بالتحريف فى القرآن وساق أمثلة لهذا التحريف - بزعمه - ومنها قوله تعالى : {وقد خاب من حمل ظلما} (٢) قال ان هذه الآية محرفة ولفظها "وقد خاب من حمل ظلما ظلم آل محمد" ثم قال ان هذه الآية هكذا أنزلت (٣) .

ومن عجيب أمرهم انهم يؤولون قول الله تعالى {انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون} (٤) بأن الحفظ ليس لألفاظ القرآن وكلماته انما المقصود حفظ معانيه من التغيير (٥) . ومن المعروف عند الاسماعيلية أن معانى الآيات ومعرفة باطنها علم خاص بالأئمة ، وعند حديث السجستانى طرق اثبات النبوة فى كتابه اثبات النبوات ذكر فى الفصل الخامس علة عدم انتقال النبوة من نسل الى نسل ومن ذلك : ان النبى عليه السلام أكثر شغله فى الاستفادة من العالم الروحانى النورانى ليتهيأ له الاستفادة من ذلك العالم بسط شريعته ونشر دعوته وتاليف كتابه (٦) .

---

(١) كتاب أساس التأويل للقاضى ابن حيون نقلا من كتاب الاسماعيلية لاحسان الهى ص ٤٦٥ .
(٢) سورة طه : ١١١
(٣) كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن ص ٧٨ .
(٤) سورة الحجر : ٩
(٥) انظر كتاب الاسماعيلية لاحسان الهى ص ٤٦٦ .
(٦) كتاب اثبات النبوات للسجستانى ص ١٥٦-١٥٧ .

وواضح من هذا النص أن النبى صلى الله عليه وسلم يأخذ هذا القرآن من العالم الروحانى ، وانه يقوم بتأليفه وجمعه وبالتالى فانهم يعتقدون ان القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى ألفه وجمعه ، وهناك معول هدم اعتقده الاسماعيلية فى كتاب الله عز وجل وخلاصته تأويل جميع آيات القرآن تأويلا باطنيا مع الاعتقاد بأنه - أى التأويل - هو المقصود والمراد من الآيات القرآنية ، ولنأخذ مثالا واحدا فقط[١] لبيان تلاعبهم بألفاظ القرآن وآياته حتى يذهب المقصود منها ومن انزالها على البشر . يقول الكرمانى فى تأويل سورة الانفطار : {اذا السماء انفطرت} أى بطلت أحكام الشرائع . {واذا الكواكب انتثرت} أى تبطل مقامات الحدود لدين الله . {واذا البحار فجرت} أى تظهر السنن المتقدمة فى الأديان ويقام ذكر حدود الله فى دينه وعلومهم بالتأويل عن الشرائع . {واذا القبور بعثرت} أى تظهر الحكم والعلوم فى العالم وتكثر الخيرات . {علمت نفس ماقدمت وأخرت} أى اذا كان ذلك وقام حكم الاعتقادات بالفعل فحينئذ تعلم النفس مافعلت من خير وتحس بالضرر فيما فعلت من تأخير الفضلاء وتقديم المفضولين .

ويقول فى تأويل سورة التكوير {اذا الشمس كورت} يقول تذهب آثار شرائع الأنبياء التى هى كالضوء من الشمس . {واذا النجوم انكدرت} أى تسقط مراتب الحدود حتى لايبقى لها أثر بالمشفع وازالة الرسم بقيام القيامة . {واذا الجبال سيرت}

---

(١) اكتفينا هنا بمثال واحد فقط لأن الأمثلة كثيرة مبثوثة فى ثنايا الرسالة ولاسيما فى الباب الثالث بأكمله .

اى استخدم الجبارين فى الأرض فيكون كلهم طائعين لصاحب القيامة . {وإذا العشار عطلت} اى ابطل التعليم بازالة الحدود من رتبهم . {وإذا الوحوش حشرت} أى جمع جميع من على وجه الأرض على الطاعة فيكون كلهم تحت الأمر . {وإذا البحار سجرت} أى أقيمت حدود ظاهر الشريعة وأعيدت الى ماكان محذوفا عنها من كلام المبتدعين والأبالسة وذلك يكون فى الوقت المعلوم وأمثاله فى الدور السابع . {وإذا النفوس زوجت} أى جمع كل الى قرينه وشبيهه من المنافقين والمجرمين {وإذا المؤودة سئلت} أى سئلوا بأى حجة أخر من أخر من حدود الله عن مراتبهم وقدم عليهم غيرهم . {وإذا الصحف نشرت} أى أظهرت مساوىء المذاهب والاعتقادات . {وإذا السماء كشطت} أى ذكر أئمة الضلال من القلوب بابطال دورهم وانتهاء الأمر الى يوم القيامة وانقضاء الأدوار ويصير الأمر للواحد القهار ... الخ تأويلاته وهذيانه [(١)].

ومما مضى – ولاسيما فى فصول الباب الثالث – نجد أن تأويل الآيات القرآنية تأويلا باطنيا للتدليل على معتقداتهم كثير جدا ومامن آية قرآنية الا وينهجون فيها هذا المنهج [(٢)]. والحقيقة ان هذا المسلك يعتبر أخطر وأشد فداحة من اعتقادهم تحريف القرآن لأن التأويل نتيجته اخراج الآية من معناها ومضمونها ومدلولها فيكون كالانكار والجحد لما دلت عليه وهذا من أعظم أنواع الالحاد فى آيات الله وابطال

---

(١) راحة العقل للكرمانى ص ٥٨٦ فما بعد .
(٢) انظر عن ذلك مفصلا موسوعتين اسماعيليتين هما :
١ – المجالس المؤيدية للداعى الشيرازى .
٢ – دعائم الاسلام وتأويلها للقاضى بن حيون .

معانيها حتى ولو آمنوا بالألفاظ ، فكيف وعندهم كذلك اعتقاد تحريف ألفاظ القرآن .

والخلاصة أن معتقدهم فى هذا المصدر العظيم من مصادر المسلمين يشتمل على عدة ضلالات بل كفريات وهى :

(١) اعتقادهم تحريف ألفاظ القرآن زيادة ونقصا .

(٢) ان القرآن من وضع محمد صلى الله عليه وسلم وجمعه وتأليفه .

(٣) ومابقى بعد ذلك مما لم يعتقدوا فيه التحريف له ظاهر وباطن ومعناه الباطنى هو المراد والمقصود .

(٢) عقيدة الاسماعيلية فى السنة :

تعتقد فرق الشيعة كلها – ولاسيما غلاتهم – بأن لهم أحاديث وروايات غير أحاديث وروايات أهل السنة ، وبالتالى فلهم من الكتب الحديثية والمدونات ماليس موجودا ومعروفا عند أهل السنة يزعمون انها أحاديث ثابتة معتبرة وطريقها أو اسنادها من آل البيت ، أما ماسوى ذلك من الكتب الحديثية أو المدونات أو الروايات فلاقيمة لها ولااعتبار ولايحتجون بها الا للرد على أهل السنة ويسمون الأحاديث الصحيحة الثابتة كصحيح البخارى وصحيح مسلم يسمونها كتب العامة أو مرويات العامة وفى كتاب البحار للمجلس باب بعنوان "الباب الثامن والعشرون" ماترويه العامة – أى أهل السنة – من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن الصحيح من ذلك عندنا – أى الشيعة – والنهى عن الرجوع الى أخبار المخالفين – أى أهل السنة – الا فى حالة الرد والاحتجاج

عليهم للتبشير بالتشيع . (١)

ويقول أحد علمائهم المعاصرين بتبجح وصراحة : ان الشيعة لاتعول على تلك الأسانيد لأهل السنة بل لاتعتبرها ولاتعرج في مقام الاستدلال عليها ، فلاتبالي بها وافقت مذهبها أو خالفته .

ويقول أيضا : ان لدى الشيعة أحاديث أخرجوها من طرقهم المعتبرة عندهم ودونوها في كتب لهم مخصوصة وهي كافية وافية لفروع الدين وأصوله عليها مدار علمهم وعملهم وهي لاسواها الحجة عندهم . (٢)

وبالتتبع لمصادر الشيعة الحديثية يتضح انهم لايؤمنون بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة الثابتة كالصحيحين والسنن الأربعة والمسانيد وغيرها من كتب الحديث مستبدلين ذلك بكتبهم ومصادرهم المليئة بالروايات الساقطة المكذوبة والأحاديث المروية عن أئمتهم وحججهم . ومن أهم مدونات الشيعة الاسماعيلية الحديثية ماألفه قاضيهم ابن حيون في موسوعته المذهبية "دعائم الاسلام" و"تأويل الدعائم" وكلها أحاديث وروايات مكذوبة ومعظمها ينتهي سندها بأحد أئمتهم ، وكثيرا مايروى عن جعفر الصادق ـ الذي ماكذب على أحد مثل ماكذب عليه ـ مرويات ساقطة سندا ومعنى .

والخلاصة أن هذه الروايات على الرغم من وضعها أو ضعفها الا انهم أيضا يؤولون مافيها تأويلات باطنية تخرجها عن هدفها ومدلولها .

---

(١) البحار للمجلسي ٢١٤/٢ .
(٢) كتاب تحت راية الحق للسبيتي ص ١٤٦-١٦٢ .

وكثيرا مايرددون فى كتبهم عن الأحاديث النبوية أنها أدلة العامة ، وكتب الحديث يسمونها كتب العامة ، بل ان أحد الاسماعيلية يقول عن صحيح البخارى انه كتاب الجهال والأغبياء [١] .

وخلاصة الأمر فالشيعة – ولاسيما الاسماعيلية – لايؤمنون بهذا المصدر من مصادر المسلمين بل يردون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة ويستبدلونها بأقوال أئمتهم وحججهم ، وماوجد من مروياتهم فيه اقتراب من الصحة يؤولونه تأويلا باطنيا كتأويلهم كتاب الله عز وجل ، فمصادرهم غير مصادر المسلمين وأدلتهم واستدلالهم مخالف لجميع فرق الأمة على اختلافهم وتنابذ فرقهم .

وعند نقد هذا الضلال من الاسماعيلية نجد أن تصوره وبيانه كاف فى فساده وبطلانه كيف وعقيدة التحريف التى جاهر بها الشيعة امامة أو اسماعيلية عقيدة يهودية اشتهر بها اليهود حيث حرفوا وبدلوا ماأنزل الله عليهم من الكتب السماوية وبين الله عز وجل ذلك فى كتابه الكريم بيانا شافيا كافيا [٢] ، كما بين سبحانه وتعالى حفظ كتابه من التحريف والتبديل والتغيير وتولى ذلك بنفسه كما قال تعالى {انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون} [٣] .

أما الزعم بأن هذا القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم فهو زعم سبق للمشركين والكفار أن تفوهوا به

---

(١) كتاب منتخبات اسماعيلية لعادل العوا ص ١٥٠ .
(٢) مثل آية البقرة رقم ٧٥ ، ومثل آية النساء رقم ٤٦ ، ومثل آية المائدة رقم ٤٤ ، وآية ١٣-١٥ وغيرها من الآيات .
(٣) سورة الحجر : ٩

ورددوه ثم رد الله عليهم ذلك وتوعد قائله بالنار كما قال تعالى حاكيا عن أحد صناديد قريش : {فقال ان هذا الا سحر يؤثر . ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر} (١) .

وقال تعالى حاكيا عن المشركين وافترائهم على رسول الله : {ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين} (٢) .

وقال تعالى أيضا عن المشركين انهم قالوا : {ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما} (٣) .

وأما ادعاءهم وزعمهم أن آيات القرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لها باطن غير ظاهرها فهذا فتح لباب الزندقة والالحاد ، وسبق أن بينا فى الفصل الأول من هذا الباب أصل التأويل الباطنى وخطورته والأدلة الشرعية والعقلية على بطلانه ، فالتأويل - كما ذكر أحد الكتاب المعاصرين - أصل خراب الدين والدنيا ، كما انه مصدر الخلاف والشقاق وهل اختلفت الأمم على أنبيائها الا بالتأويل ؟ وهل دخلت طائفة الالحاد من أهل الحلول والاتحاد الا من باب التأويل ؟ وهل فتح باب التأويل الا مضادة لحكم الله فى تعليمه عباده البيان الذى امتن فى كتابه على الانسان بتعليمه اياه (٤) .

---

(١) سورة المدثر : ٢٤-٢٦
(٢) سورة النحل : ١٠٣
(٣) سورة الفرقان : ٤-٦
(٤) انظر كتاب الاسلام الصحيح للنشاشيبى ص ١١٥ فما بعد .

الفصل السادس

معتقد الاسماعيلية في التكاليف الشرعية

تعتبر التكاليف الشرعية ـ من صلاة وزكاة وحج وصوم وجهاد ـ صورة عملية تطبيقية لعقيدة المسلم التى يدين بها ويعتقدها وذلك لأن الفكر والسلوك فى حس المسلم مرتبط أحدهما بالآخر لا انفصال بينهما ولا انفصام ومتى حدث شيء من ذلك فهو صورة من صور الانحراف من الصراط المستقيم .

كما أن التكاليف الشرعية أيضا تعتبر أركانا أساسية يقوم عليها هذا الدين فلايصح اسلام الا بتطبيقها والعمل بها جميعا . ومن الأدلة الواضحة على ذلك ماورد فى حديث جبريل حينما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاسلام أجابه بقوله : "الاسلام أن تشهد أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا" (١) . ومن هذين الاعتبارين يتضح لنا ان الاعتقاد بوجوب اداء التكاليف الشرعية جزء لايتجزأ من عقيدة المسلم وان الاخلال بهذه التكاليف ـ تركا أوتأويلا أو تكذيبا يعتبر هدما لأركان هذا الدين وأسسه .

ومن أبرز الفرق الغالية التى هدمت ركن التكاليف الشرعية فرقة الاسماعيلية وسائر الفرق الباطنية حيث نهجوا منهجا غريبا فى بيان حقيقتها وحكمها فأسقطوها واعتبروا مزاولتها من جنس العذاب والعقاب . ولذا فان معتقدهم عن التكاليف الشرعية مبنى على أمرين سبق الحديث عنهما فى

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١/١٥٧-١٦٠ .

الفصل الأول والفصل الرابع .

الأمر الأول : القول بالظاهر والباطن فما من نص ورد عن الصلاة أوالزكاة أو الصوم أو الحج أوالجهاد الا وجعلوا له معنيين المعنى الظاهر وهو مافهمه المسلمون والمعنى الباطن وهو ماكتشفوه واعتبروه من خواص أئمتهم .

الأمر الثانى : معتقدهم عن البعث والجزاء والثواب والعقاب حيث اعتبروا مزاولة الأعمال الشرعية التكليفية عقابا وعذابا لمخالفيهم وبالمقابل فان اتباعهم المؤمنين بدعوتهم وصلوا - بزعمهم - الى مرتبة تحط عنهم فيها جميع التكاليف والأعمال البدنية وهذا هو خلاصة معنى الثواب والجزاء الذى يؤمنون به . ومما يدل على هذين الأمرين وانهما الأصل الحقيقى لمعتقدهم عن الشرائع الاسلامية مانقل عنهم من تأويلات باطنية لهذه الشرائع ومعتقدات خاصة فى أحكامها . أما الأمر الأول فقد ألفت فيه موسوعة كبيرة تعتبر أصلا وأساسا لتأويلاتهم للتكاليف الشرعية ألفها قاضيهم المشهور بابن حيون الاسماعيلى قاضى المعز واسم هذه الموسوعة دعائم الاسلام وتقع فى مجلدين وتعتبر القسم الأول أما القسم الثانى فاسمها تأويل الدعائم وتقع فى ثلاثة مجلدات ولو تتبعنا مافيها من تأويلات باطنية لشرائع الاسلام الأساسية لوجدنا هذه الموسوعة تفيض بالباطل فى تأصيل التأويلات الباطنية فى مذهب الاسماعيلية . فالصلاة قال عنها فى التأويل ان مثلها مثل الدعوة - ويقصد بذلك دعوة الاسماعيلية - والمؤذن الذى ينادى للصلاة هو الداعى الذى يدعو الى باطن الدعوة وظاهر الصلاة اتمام ركوعها وسجودها وفروضها ومسنونها . وباطنها اقامة دعوة الحق فى كل عصر .

ويقول ان مثل الصلوات الخمس فى عددها مثل الدعوات الخمس لأولى العزم من الرسل الذين صبروا على ما أمروا به ودعوا اليه وكل صلاة منها مثل لدعوة كل واحد من أولى العزم الخمسة وصلاة الظهر مثل لدعوة نوح والعصر مثل لدعوة ابراهيم والمغرب مثل لدعوة موسى والعشاء الآخرة مثل لدعوة عيسى والفجر وهى الصلاة الخامسة مثل للدعوة الخامسة وهى دعوة خامس أولى العزم من الرسل محمد صلى الله عليه وسلم .(١)

وأما الزكاة فقال فى تأويلها ان المراد منها الظاهرى اخراج مايجب على الأغنياء فى أموالهم ودفع ذلك الى الأئمة الذين تعبد الله عز وجل الناس يدفع ذلك اليهم . وأما فى الباطن فمثلها مثل الأسس والحجج الذين يطهرون الناس ويصلحون أحوالهم وينقلونهم فى درجات الفضل بما يوجبه أعمالهم ويكون على هذا قوله :لاصلاة الا بزكاة يعنى انه لاتقوم الدعوة الا بمعرفة الأسس الذين هم أوصياء النبيين والحجج الذين هم أوصياء الأئمة وحينما تحدث عن وضع الزكاة فى غير موضعها قال : وتأويل ذلك فى الباطن ان طهارة أهل كل عصر وزمان انما يكون عند امام زمانهم أو عند من أقامهم ونصبهم لطهارتهم فما كان من أعمالهم التى توجب الطهارة لهم لم يجزهم دفعها الا الى من يلى طهارتهم وتزكيتهم .(٢)

وأما الصوم فان له معنيين أيضا المعنى الظاهر هو المتعارف عند عامة الناس بالامساك عن الطعام والشراب والجماع ومايجرى مجرى ذلك .

وأما المعنى الباطن للصوم فهو كتمان علم باطن

---

(١) تأويل الدعائم للقاضى ابن حيون ١/١٧٧-١٧٩ .
(٢) المرجع السابق ٣/٥٨-٦٧ .

الشريعة من أهل الظاهر والامساك من المفاتحة به ممن لم يؤذن له في ذلك .

ومما قالوا : ان مثل أيام شهر رمضان التى أمر الله عز وجل بصومها مايقابلها من عشرة ائمة وعشرة حجج وعشرة أبواب وذلك في التاويل كتمان أمرهم ومايلقونه من التأويل الى من عاملوه الى أن يأذنوا في ذلك لمن يرونه .

وحينما تحدث النعمان بن حيون عن مفسدات الصوم وكفارة ذلك ذكر قصة الرجل الذى باشر أهله في رمضان وقال مؤولا لها ان تأويل ذلك في الباطن هو مفاتحة من لايجوز مفاتحته في تأويل الباطن وعن كفارة ذلك فان كان المفاتح بذلك يقدر على أن يؤدى عن مؤمن فكاك رقبته من أن يستحق ذلك وأدى عنه فكه فان لم يجد ذلك كان عليه الرجوع بالتوبة الى مفيده وبابه وان لم يفاتح أحدا .

ومعنى صيام شهرين متتابعين الكتمان على الأصلين . ومن التأويلات الباطنية في هذا الباب قوله : ان المعنى الباطني لتقبيل الرجل زوجته أو مباشرتها في نهار رمضان أن يفاتح المفاتح من لاتجب له المفاتحة بمعاريض من الكلام الذى يكون سببا وداعية الى كشف الباطن وبيان التأويل وينبغي له أن يتنزه عن ذلك كما يخاف عليه الايكون ضابطا لنفسه من أن يبدى ذلك أو يدل عليه بشيء يفهم عنه من يفاتحه به ذلك من أجل دلالته .

وقال ان الأيام أمثالها في الباطن أمثال النطقاء والليالى أمثالها أمثال الحجج وكما انه لابد لكل يوم من ليلة فكذلك لابد لكل ناطق من حجة ومثل ليلة القدر مثل حجة

خاتم الأئمة وحجته يقوم قبله لينذر الناس بقيامه ويبشرهم به ويحضهم على الأعمال الصالحة قبل ظهوره واغتنام ذلك لأنه اذا قام وانقطع العمل ولم يقبل ولم ينفع وتأول آيات القرآن الواردة فى ليلة القدر بناء على هذا المعنى فقال فى معنى قوله تعالى : {انا أنزلناه فى ليلة القدر} بأن هناك يعنى خاتم الأئمة وذلك بقيام آخر دعوة لحجته وقوله تعالى : {ليلة القدر خير من الف شهر}(١) بأن حجة خاتم الأئمة خير من الف نقيب ولو قاموا فى الأرض ولم يقوموا مقامه وقال فى تأويل معنى قوله تعالى : {انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منزلين ، فيها يفرق كل أمر حكيم}(٢) بأن المراد بذلك حجة خاتم الأئمة الذى يفترق الحكمة فى الأرض وعند ذلك تشمل جميع أهل الأرض البركة ويجمع الله عز وجل لهم جميع أهل الأديان ويكون الدين كله لله ويؤمن جميع الناس(٣) .

وعن الركن الخامس من أركان الاسلام وهو الحج قال قاضى الاسماعيلية : ان للحج ظاهرا وباطنا . فظاهره الاتيان للبيت العتيق لقضاء المناسك عنده وتعظيمه وباطنه الذى جعل الظاهر دليلا عليه اتيان امام الزمان من نبى وامام لأن امام الزمان مثله فى الباطن مثل البيت الحرام .

وقال عن الاستطاعة الواردة فى قوله تعالى : {ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا}(٤) بأن لها معنيان الظاهر وجود الزاد والراحلة وأمن السبيل ، وأما المعنى

---

(١) سورة القدر : ٢،١
(٢) سورة الدخان : ٤،٣
(٣) تأويل الدعائم لابن حيون ٣/١٠٧-١٢٥ .
(٤) سورة آل عمران : ٩٧

الباطنى المراد من الزاد فهو العلم والحكمة اللذين بهما حياة الأرواح الحياة الدائمة والراحلة مثلها فى الباطن أولياء الله وأسبابهم الذين يحملون أثقال العباد دينا ودنيا فاذا وجد من وقف لطلب معرفة امام زمانه من أسباب أولياء الله والدعاة اليهم من يدله عليه ويعرفه به ويفاتحه من العلم والحكمة بما يشهد لصحة قوله ويبين له مادعاه اليه فذلك فى الباطن وجود الزاد والراحلة .

وأما أمن السبيل فمثله فى باطن التأويل أن يكون دليله على ذلك وحامله عليه وهاديه اليه ومفيده من العلم والحكمة مايثبت ذلك عنده مأمونا غير متهم بالكذب وسوء المذهب ولامعروفا بذلك .

وقال فى تأويل أشهر الحج وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة بأن المراد بالشهرين الامام والحجة ففى طلب معرفتهما يفرض الحج والأيام من ذى الحجة مثلها مثل السبعة النطقاء والأئمة السبعة الذين بين كل ناطقين مع معرفة الداعى وبابه اللذين عن طريقهما يصل الى معرفة هؤلاء النطقاء والأئمة فذلك تسعة حدود على عدد الأيام التسعة ومن طلب معرفة الامام والحجة فلابد له من معرفة هؤلاء التسعة ففرض الحج فى الباطن انما يكون فى طلب معرفة هؤلاء (١) .

وقال فى تأويل مواقيت الاحرام : ان المراد منها فى الباطن حدود الشرائع فكما أن عدد المواقيت خمسة فكذلك الشرائع حدودها خمسة . شريعة نوح وشريعة ابراهيم وشريعة

---

(١) تأويل الدعائم للقاضى النعمان ٣/١٤٣-١٤٤،١٥١ .

عيسى وشريعة موسى ، وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .
وأول الطواف بأن المراد منه تمسك أهل دعوة الحق بامام زمانهم ولوذانهم به واقبالهم عليه وابتغائهم فضل مالديه من العلم والحكمة وطواف الحجيج بالبيت سبعا فى الظاهر مثل اقرار أهل الدعوة بالنطقاء السبعة والأئمة السبعة الذين يتعاقبون الامامة بين كل ناطقين سبعة منهم بعد سبعة .[1]

وهكذا تأولوا جميع مناسك الحج وفق هذا المنطلق .

وأما الجهاد فيعتبره الاسماعيلية الدعامة السابعة من دعائم الاسلام[2] وأولوا المراد منه لصالح مذهبهم فقالوا :

ان معناه الاستجابة لدعوتهم ومجاهدة النفس على الايمان بها وردع من يمتنع من القيام بنشرها .

وحينما تحدث قاضى الاسماعيلية وفقيهها عن جهاد المسلمين الذين لم يستجيبوا لدعوة الحق[3] ولم يستحقوا اسم الايمان ببيعة ولاة الأمر - سماهم بالاعراب وقال عنهم - : ان هؤلاء لاجهاد عليهم لأن من لم يستجب لدعوة الحق لم يجب عليه أن يجادل عنها أهل الخلاف وهو لاينتحلها فان دعت الضرورة اليه فى أن يجادل أهل الأديان من دعوة الاسلام الظاهر،لاستتار القائمين بدعوة الحق فى ذلك الوقت أو لغير ذلك مما يمنع من مظاهرتهم بجدال أهل الباطل جادلهم فى ذلك من هو على ظاهر دعوة الاسلام ممن لم يستجب لدعوة الحق ولم يعرف امام

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٧-١٥٨،٢١٢ .
(٢) دعائم الاسلام عندهم سبع دعائم وهى الولاية ، والطهارة والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد وعليها بنى قاضى الاسماعيلية كتابيه المشهورين ، دعائم الاسلام وتأويل الدعائم .
(٣) المقصود منها دعوة الاسماعيلية القائمة على الظاهر والباطن .

الزمـــان . وكذلك لاتقبل منهم نفقاتهم فى الجهاد الا أن تدعو الضرورة الى قبولها .

وقـــال بـــأن تـــأويل النفقـــة فى سبيل الله هو مايتلقاه المستفيدون مـــن المفيـــدين مـــن علـــم أولياء الله حيث انهم يفيـــدون نقبـــاءهم مـــن علم ظاهر الشريعة وعلم باطنها حسبما ينبغى لهم ويفيد النقباء من ذلك من يستفيد منهم بقدر قسطه وكذلك يفيد أهل كل طبقة من دونهم من المستفيدين منهم بقدر احتمالهم وماتوجبه حدودهم . (١)

وقـــال عن الجزية أنها فى الظاهر مايأخذه المسلمون من أمـــوال المشـــركين اذا ظهـــروا عليهـــم وامتنعـــوا من الاسلام . وتـــأويل ذلـــك فـــى البـــاطن أن المـــال مثل العلم فاذا ظهر أهل الحق على أهل البـــاطن فـــامتنع أهل البـــاطن من الدخول فى دعوة الحـــق وكـــان السلطان لأهل الحق منعوا أهل البـــاطل من الأحكام بمـــا يعتقدونه من علمهم وحالوا بينهم وبين ذلك . وذلك مثل أخذ الجزية فى الظاهر من المشركين . (٢)

ومـــن أجمـــع نصـــوصهم عـــن تأويل الشرائع ماذكره الداعى الاســـماعيلى الطيبـــى بقولـــه : ان الحـــلال هـــو الواجب اظهاره واعلانه والحرام هو الواجب ستره وكتمانه .

فـــالصلاة هـــى صلة الداعى الى دار السلام بصلة الابوة فى الأديـــان الـــى الامام . والزكاة ايصال الحكمة الى المستحق . والصوم الامساك عن كشف الحقائق لغير أهلها والحج القصد الى محبـــة الأئمـــة والاحرام الخروج من مذهب الاضداد . وأما الزنا

---

(١) تأويل الدعائم ٢٧٠/٣-٢٧٢،٢٨١ .
(٢) المرجع السابق ١٦٥/١ .

فهو اتصال المستجيب من غير شاهد والربا الرغبة فى الاكثار وطلب الحطام وافشاء الأسرار . والمسكر الحرام مايصرف العقل عن التوجه الى طلب معرفة الامام (١) .

هذه هى التأويلات الباطنية عند الاسماعيلية للتكاليف الشرعية فى مقابل معانيها الظاهرة وهذا هو الأمر الأول فى منهجهم فيما يتعلق ببيان حقيقة التكاليف الشرعية .

أما الأمر الثاني وهو اعتقادهم أن مزاولة الأعمال التكليفية بمعناها الظاهر مشقات يزاولها غير المستجيبين للدعوة وأغلال يكبلون بها وان أتباعهم المؤمنين بدعوتهم وصلوا - بزعمهم - الى مرتبة تحط عنهم فيها جميع التكاليف الشرعية والأعمال البدنية . أما اعتقادهم هذا فانه يدل عليه أقوال دعاتهم حيث يقول الحارثى : ان حجج الليل هم أهل الباطن المحض المرفوع عنهم فى أدوار الستر التكاليف الظاهرة لعلو درجاتهم (٢) .

ويقول داعيهم سنان راشد الدين : ان الانسان متى عرف الصورة الدينية فقد عرف حكم الكتاب ورفع عنه الحساب وسقط عنه التكليف وسائر الأسباب (٣) .

بل وصل الغلو والالحاد بهم مبلغا أن أولوا التكاليف الشرعية بأنها هى النار الأخروية والتى خلقها الله للعقاب والعذاب فزعموا أن مزاولة الأعمال التكليفية الشرعية من

---

(١) رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور للداعى الطيبى ص ٧٠-٧١ ضمن أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر .
(٢) الحقائق الخفية للأعظمى ص ١٠٢ .
(٣) كتاب شيخ الجبل الثالث لمصطفى غالب ص ١٤١ .

جانب المسلمين الذين يؤمنون بهذه الأعمال ويطبقونها انما هو العذاب والنكال والأصفاد والأغلال ومزاولتها وتطبيقها هو الاصطلاء بالنار ويشهد لهذا المفهوم الخطير والهذيان الحقير ماسبق أن نقلناه عن السجستاني فى الفصل السابق عند تأويله النار ومفهومها يقول : والنار عبارة عن الشرائع الناموسية المعراة عن العلوم المستعملة لاصلاح العالم الطبيعى وصورة العذاب فى هذه الشرائع هو الاصطلاء بها والاستعمال لها وعندئذ تفسد الصورة اللطيفة ويقع للشخص فيها الشبهة والالتباس واذا برزت بهويتها تراها فى غاية الايلام للأنفس المتعلقة بها .

ويضيف قائلا : ان النار موجودة فى كل موضع ولايخلو منها مكان فهى ظاهرة نيرة مبذولة لكل أحد وهى الشرائع المقلدة موجودة فى كل مكان لايخلو منها قوم من الأقوام (١) .

ويقول أحد الدعاة الباطنيين : من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر وانما وضعت الأصفاد والأغلال على المقصرين . أما من بلغ وعرف هذه الدرجات التى قرأتها عليك فقد أعتقته من الرق ورفعت عنه الأغلال والأصفاد واقامة الظاهر (٢) .

وهكذا أولوا جميع التكاليف الشرعية تأويلا ينتهى الى ابطالها أو على أقل تقدير عدم الاعتداد بظاهرها لأن المقصود الحقيقى عندهم هو ادائها بالمعنى الباطنى ويصبح الظاهر جسدا هامدا لاحياة فيه ولاروح ومن تعاليمهم المذهبية قول

---

(١) انظر كتاب السجستانى ص ١٣٨-١٣٩ .
(٢) الهفت الشريف ص ٦٥ .

الداعى للمدعو : ان معرفة صاحب الحق – أى الامام – تغنى عن كل شىء ولايخاف معها اثم ولاعذاب وان جميع الفرائض موضوعة عن المستجيبين لدعوة الاسماعيلية والباطنية .(١)

(١) انظر اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٥٨/١ .

نصوص علماء الفرق عن معتقد الاسماعيلية فى التكاليف الشرعية

يقول الملطى : ان القرامطة ـ وهم فرقة من الفرق الاسماعيلية ـ يزعمون ان الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض نافلة لافرض وانما هو شكر للمنعم وان الرب لايحتاج الى عبادة خلقه وانما ذلك شكرهم فمن شاء فعل ومن شاء لم يفعل والاختيار فى ذلك اليهم (١) .

ويقول البغدادى : انهم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا فزعموا ان معنى الصلاة موالاة امامهم والحج زيارته وادمان خدمته والمراد بالصوم الامساك عن افشاء سر الامام دون الامساك عن الطعام وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها واستدل البغدادى على اسقاط التكاليف الشرعية عندهم بالرسالة المتبادلة بين امام الاسماعيلية "عبيد الله المهدى" وبين أحد دعاتهم ومما جاء فى هذه الرسالة قوله : وهل الجنة الا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها الا مافيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب فى الصلاة والصيام والجهاد والحج (٢) .

ويقول الحمادى اليمانى ـ وهو ممن دخل مذهبهم واطلع على أسرارهم ـ انهم فى أول الدعوة يلبسون على المدعو فيحضونه على شرائع الاسلام لكنهم يخدعونه بروايات محرفة وأقوال مزخرفة ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ويحرفون

---

(١) كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبى حسين الملطى ص ٢٠ .
(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٨٠-٢٨٢ .

الكلم عن مواضعه فاذا رأوا منه قبولا وانقيادا قالوا له لاتقنع لنفسك بما قنع العوام من الظواهر وتدبر القرآن ورموزه واعرف مثله وممثوله واعرف معانى الصلاة والطهارة والزكاة والصوم والحج فان لهذه منقولات محجوبة وهو باطنها فالصلاة صلاتان والزكاة زكاتان وكذلك الحج والصوم وماخلق الله سبحانه من ظاهر الا وله باطن فالظاهر ماتساوى به الناس وعرفه الخاص والعام وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به فلايعرفه الا القليل فلايزال الداعى ينقل مدعوه من درجة الى أخرى حتى يحط عنه جميع التكاليف الشرعية ويقع ذلك من المستجيب موقع الاتفاق والموافقة لانه مذهب الراحة والاباحة يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ويبيح لهم ماحظر عليهم من محارم الله (١).

ويوضح الامام الغزالى أن معتقدهم فى التكاليف الشرعية الاباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات واستحلالها وانكار الشرائع ويقول انهم صنفوا الخلق وفق هذا المعتقد الى صنفين .

الصنف الأول :

المستجيبون لدعوتهم وهؤلاء فى نظرهم أحاطوا من جهة الامام بحقائق الأمور واطلعوا على بواطن الظواهر حتى وصلوا الى رتبة الكمال فى العلوم وعندئذ تنحط عنهم التكاليف العملية وتنحل عنهم قيودها لأن المقصود من أعمال الجوارح تنبيه القلب لينهض لطلب العلم فاذا ناله استعد للسعادة القصوى وسقط عنه تكليف الجوارح .

---

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١١-١٢ .

الصنف الثانى :

الجهال والأغبياء - أى المسلمون فى زعمهم - الذين يجهلون بواطن الأمور وتأويلاتها فهؤلاء لايمكن رياضة نفوسهم الا بالأعمال الشاقة ولذا يكلفون بتأدية العبادات وأعمال الجوارح عقوبة ونكالا لهم .

ويضيف الغزالى الى أن هذا فن من الاغواء شديد على الأذكياء والغرض منه هدم قوانين الشريعة (١) .

وللعلامة ابن تيمية رحمه الله عدة اشارات الى هذا المعتقد لدى الاسماعيلية المتمثل فى اسقاط التكاليف الشرعية ومما قاله فى ذلك انهم اعتبروا الشرائع المأمور بها والمحظورات المنهى عنها من الأمور المنفية وان لها تأويلات باطنية تخالف مايعرفه المسلمون منها فالصلوات الخمس معرفة أسرارها وصيام رمضان كتمانها وحج البيت السفر الى شيوخهم (٢) .

ونقل عن بعض رؤساء الباطنية أنه قال لأتباعه :
قد أسقطنا عنكم العبادات فلاصوم ولاصلاة ولاحج ولازكاة (٣) .

ويقول فى موضع آخر ان الاسماعيلية خرجوا من التكليف بدعوى كمال التحقيق حيث يقول أحدهم ان العبد يعمل حتى تحصل له المعرفة وعندئذ يصل الى الغاية وتسقط عنه العبادات التى تجب على العامة كالصلوات الخمس وصيام رمضان وحج البيت وتحل له المحرمات التى لاتحل غيره .

---

(١) انظر فضائح الباطنية للغزالى ص ٤٦-٤٧ .
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ص ٢٩ .
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥٥٢/٥ .

وينقل بعد ذلك اتفاق أئمة الاسلام على كفر من اعتقد هذا أو قاله لأن الأمر والنهى قائم على كل بالغ عاقل الى أن يموت لقوله تعالى : {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} (١) والمراد باليقين هنا هو مابعد الموت لقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح عن عثمان بن مظعون : "أما عثمان فانه أتاه اليقين من ربه" (٢) .

هدف الاسماعيلية من تأويل التكاليف ونقدهم .

كشف علماء المسلمين منطلق الاسماعيلية وهدفهم من تأويلاتهم الباطنية ومما نقل عنهم فى ذلك نصوص كثيرة نقتصر على نماذج منها :

يقول الشاطبى : ان جميع تأويلات الباطنية ـ بما فيها التكاليف ـ يقصد من ورائها ابطال الشريعة جملة وتفصيلا والقاء ذلك بين الناس لينحل الدين فى أيديهم (٣) .

ويقول البغدادى : ان غرض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التى يتأولون عليها القرآن والسنة .

ويعبر ابن تيمية عن هدفهم من التأويل مع بيان خطورته واستغلال الفرق له بقوله : ان التأويل الفاسد فى السمعيات صار دهليزا للزنادقة الملحدين وذلك كفرق الباطنية من القرامطة والاسماعيلية وغيرهم الذين انتهى بهم الأمر الى ابطال الشرائع المعلومة كلها (٤) .

---

(١) سورة الحجر : ٩٩
(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥٤٠،٥٣٩/١١ ، ١٦٣/٤ .
(٣) انظر الاعتصام للشاطبى ٢٥٢/١ .
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٥٢/٥ .

وهنا لابد من الاشارة الى أن تأويلاتهم للتكاليف الشرعية ساقطة وسخيفة لخروجها عن مألوف الألفاظ ودلالات المعانى التى نزل بها القرآن الكريم وجاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم حسب قواعد وأصول اللغة العربية كما أن هذه التأويلات تخالف الأصول الاسلامية والأدلة الشرعية التى أمرت باقام الصلاة وايتاء الزكاة والصوم والحج والجهاد اقامة عملية محسوسة وليست كما زعم الاسماعيلية اشارات ورموز الى أمور معنوية ومما له مدلول لهم ان الاستجابة لهذه العبادات ومزاولتها عمليا دلالة على اسلام المسلم ودخوله فى دين الله عز وجل ومن ثم عصمة ماله ودمه كما قال تعالى : {فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم} (١) .

وكما فى قوله صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لااله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله" . رواه البخارى ومسلم (٢) .

ولذا يقول ابن تيمية ان هذه التأويلات الباطنية مما علم بالاضطرار أنها كذب وافتراء على الرسل صلوات الله عليهم وتحريف لكلام الله ورسوله عن مواضعه والحاد فى آيات الله (٣) .

---

(١) سورة التوبة : ٥
(٢) فتح البارى ٧٥/١ ، صحيح مسلم بشرح النووى ٢١٢/١ .
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٠/٣ .

ويقول في موضع آخر ان وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحريم الفواحش والخمر هذه الأمور مسائل عملية والمنكر لها يكفر بالاتفاق . (١)

كما يقول الديلمي : والعجب من عاقل نشأ في دار الاسلام وعرف أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وشدة اجتهاده في عبادة الله تعالى من الصلاة والصوم وغير ذلك فانه صلى حتى تورمت قدماه ثم ينخدع بكلام هؤلاء الجهلة القائلين بأن هذه العبادات لها تأويلات وبواطن وهي المقصود في الحقيقة . (٢)

ولغرابة تأويلات الاسماعيلية وامعانها في الغلو المخرج من الملة فانه حتى المستشرقين الكفرة المشهورين بحقدهم على الاسلام عابوا وانتقدوا هذا المنطلق عند الشيعة واعتبروه من أخطر المبادىء والتي عملت لهدم الشريعة الاسلامية ومن ذلك - وعلى سبيل المثال - ماقاله المستشرق اليهودي جولد تسيهر : ان آيات الكتاب سهلة يسيرة ولكنها على سهولتها تخفي وراء ظاهرها معنى خفيا مستترا ويتصل بهذا المعنى الخفي معنى ثالث يحير ذوي الأفهام الثاقبة ويعييها والمعنى الرابع مامن أحد يحيط به سوى الله واسع الكفاية من لاشبيه له . وهكذا نصل الى معان سبعة الواحد تلو الآخر . ففي كل مرحلة أو درجة أعلى من سابقتها يصبح المعنى الباطني والرمزي المتعلق بالمرحلة السابقة أساسا للقيام بتأويلات أخرى أعظم دقة والتواء الى أن تبخر تبخرا تاما موضوع التفسير الاسلامي الذي كان الأساس الأول منذ البداية . (٣)

---

(١) المسائل الماردينية لابن تيمية ص ٦٧ .
(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص ٦١ .
(٣) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص ٢٤٣ .

واختم هذا الفصل بنصين مهمين فيهما رد ونقد لأصل الاسماعيلية هذا وبيان أهدافهم من القول فيه .

يقول البغدادى : ان الباطنية يخرجون المستجيب لهم بحيلة ان المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها ومن هنا يترك العمل باحكام الشريعة . فاذا اعتاد ترك العبادة واستحل المحرمات كشفوا له القناع وقالوا له : لو كان لنا اله قديم غنى عن كل شئ لم يكن له فائدة فى ركوع العباد وسجودهم ولافى طوافهم حول بيت من حجر ولافى سعى بين جبلين فاذا قبل منهم ذلك فقد انسلخ عن توحيد ربه وصار جاحدا له زنديقا (١) .

ويقول العراقى فى معرض رده على فرق الباطنية القائلين بسقوط التكاليف الشرعية :"على انا قد تأملنا ولم نجد أرفع قدرا ولاأكرم منزلة ولاأحكم محبة لله تعالى من الأنبياء عليهم السلام فلم نسمع أن أحدا منهم وضع عنه التكليف أو دخل فى فرائضه أدنى تخفيف بل عكس ذلك أولى وأصوب والى التحقيق أدنى وأقرب ألا ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه وكان التهجد فرضا فى حقه دون أمته قال تعالى : {ومن الليل فتهجد به نافلة لك ..} (٢) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : "انا معشر الأنبياء يضاعف علينا البلاء" فاذا كان الأنبياء مع جلال قدرهم وكمال محبتهم لله عز وجل وكرامتهم عليه لم يسامحوا بترك الخدمة والاخلال بظاهر الشريعة فكيف يجوز لمن لم يبلغ درجتهم فى الكرامة

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٩٣ .
(٢) سورة الاسراء : ٧٩

والاختصاص أن يدعى هذه الدعوى المنكرة الشنيعة ؟ فالحاصل راجع الى أن القائل به والمائل اليه ضال مضل نصب شبكة توافق طباع البطالين ليعيرهم بها ويخرجهم عن الدين .(١)

---

(١) الفرق المفترقة لعثمان العراقى ص ٥ .

الفصل السابع

حكم الاسلام فى طائفة الاسماعيلية

ان الحكم على طائفة الاسماعيلية هل هى فرقة من الفرق الاسلامية أو هى فرقة من الفرق الخارجة عن الاسلام مبنى على أمرين هامين :

أولهما : النظر والتأمل فى معتقدات القوم وتصوراتهم ومن ثم سلوكهم وواقعهم . وهذا الأمر من الوضوح بمكان حيث انه مامن فصل من فصول البحث - ولاسيما الباب الخاص بأصول الاسماعيلية ومعتقداتها - الا وفيه الحكم البين الواضح الدال على كفرهم وردتهم وخروجهم من الاسلام جملة وتفصيلا وهذا الحكم نستطيع أن نقول بسهولة انهم هم الذين قرروه على أنفسهم ، فمعتقدهم بالله مبنى على تعدد الآلهة حيث أناطوا خلق الخلق وادارة الكون وتدبير أمر العالم علويه وسفليه على العقلين الأول والثانى أو السابق والتالى . مع الالحاد فى أسماء الله وصفاته بجحدها ونفيها عن الله بالكلية . وفى باب النبوات اعتبروا النبوة رتبة من مراتب دعوتهم يتمكن المستجيب لهذه الدعوة من الوصول اليها ومن جراء ذلك أصبحت النبوة مقاما يحق ادعاءه لسائر الخلق . كما انهم لم يؤمنوا بختم النبوة وانقطاع الوحى مع انكارهم لمعجزات الرسل والأنبياء وزعمهم بأفضلية الولاية والوصاية على النبوة والرسالة وأى واحد من هذه المزاعم كفر مخرج من الملة الاسلامية فكيف بها وقد اجتمعت عندهم .

وفى باب الأخرويات يبطلون الاعتقاد بالقيامة والمعاد على الوجه المتفق عليه بين علماء الملة الاسلامية حيث يعتقدون بأن القيامة هى قيام قائمهم وان الثواب والعقاب انما هو فى الدنيا . ومما لاشك فيه أن من أنكر أو أول معتقدا وركنا أساسيا من أركان الايمان انه يعتبر كافرا ومرتدا .

وفى باب الأعمال التكليفية الشرعية نجد انهم قد أسقطوا هذه الأعمال وأولوها حتى انتهى بهم الأمر الى تركها واهمالها ، بل انهم أولوا مزاولتها على انها صورة من صور العذاب . ومن اعتقد ذلك أو عمله فلاشك بكفره وردته لمعارضة ذلك للأدلة الشرعية الموجبة أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فمن لم يقم بها ويؤديها فانه قد أخل بأركان الاسلام وقواعده ومن ثم لايعتبر مسلما فكيف بمن لم يقم بها مع اعتقاده خلافها والدعوة الى تركها لاشك أن كفره أغلظ من الجنس الأول ، وهذا هو حال الاسماعيلية كما رسم ذلك دعاتهم وسطره علماؤهم .

والخلاصة فى هذا الأمر أن معتقدهم فى أمر واحد من هذه الجوانب الأربعة كاف فى الحكم عليهم بأنهم فرقة خارجة عن الفرق الاسلامية جملة وتفصيلا وأن نسبتهم الى الاسلام تعتبر مخالفة للأدلة ومغالطة للواقع الذى عاشوه والمنهج الذى رسموه - اذا كان ذلك فى أمر واحد فقط فكيف بهذه الأمور الأربعة وقد اجتمعت بهم نعوذ بالله من الكفر المغلظ ونعوذ بالله من عاقبة ومصير أصحابه دنيا وأخرى ، قال تعالى :

{إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا}[(١)] .

الأمر الثاني : بين علماؤنا من أهل السنة والجماعة حقائق طائفة الاسماعيلية وأهدافها ومعتقداتها ومن ثم استخلصوا الحكم عليها بناء على الأدلة الشرعية وبناء على واقع الاسماعيلية حتى غدت وأصبحت - ولله الحمد - صورتهم واضحة ومنطلقاتهم معلومة وهذه هى نصوص العلماء :

يقول الامام الغزالى - وهو من مشاهير أهل العلم الذين خبروهم وعرفوا أسرارهم - ان مذهب الباطنية - والاسماعيلية فرقة منها - مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض ... ثم يضيف الى انهم يوافقون اليهود والنصارى والمجوس على جملة معتقداتهم ويقرونهم عليها[(٢)] .

ونقل المحبى فى خلاصة الأثر مايلى : وأما القول فيهم - الباطنية - من جهة الاعتقاد منهم والنصيرية والاسماعيلية على حد سواء والجميع زنادقة وملاحدة . ثم نقل عن كثير من كبار أهل العلم فى المذاهب نص قولهم : ان كفر هذه الطوائف مما اتفق عليه المسلمون وأن من شك فى كفرهم بعد العلم بحالهم فهو كافر مثلهم وانهم أكفر من اليهود والنصارى[(٣)] .

وحينما تحدث البغدادى فى الباب الرابع من كتابه الفرق بين الفرق وضع عنوانا لهذا الباب قائلا : بيان الفرق التى انتسبت الى الاسلام وليست منه ثم ذكر من هذه الفرق الباطنية وقال : ان ضررها على فرق المسلمين أعظم من ضرر

---

(١) سورة النساء : ١٤٥
(٢) فضائح الباطنية للغزالى ص ٣٧ .
(٣) مقدمة كشف أسرار الباطنية للكوثرى ص ٩ .

اليهود والنصارى والمجوس ، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان ، لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم الى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال فى وقت ظهوره لأن فتنة الدجال لاتزيد مدتها على أربعين يوما وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر ... الى أن قال : الذى يصح عندى من دين الباطنية انهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها الى استباحة كل مايميل اليه الطبع ، ثم ذكر أدلة كثيرة نقلها من رسائلهم وكتبهم تدل على انهم دهرية مجوس زنادقة .

وفى آخر الباب قال : وقد بينا خروج فرق الباطنية - والاسماعيلية كبرى فرقهم - عن جميع فرق الاسلام بما فيه كفاية والحمد لله على ذلك .(١)

وفى كتابه أصول الدين ذكر أن طائفة الباطنية خارجة عن فرق الأهواء وداخلة فى فرق الكفر الصريح لأنها لم تتمسك بشىء من أحكام الاسلام لافى أصوله ولافى فروعه وأن دعاتهم خالفوا المسلمين فى التوحيد والنبوات وفى تأويل الاثار والآيات وانهم كانوا دعاة المجوس بالتمويه الى دين الثنوية .

وبعد أن يستعرض عقائدهم يقول : واختلف أصحابنا فى حكمهم . فمنهم من قال هم مجوس واجاز أخذ الجزية منهم وحرم

---

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٠،٢٦٥-٢٦٦ ، ٢٧٨-٢٩٩ .

ذبائحهم ونكاحهم ومنهم من قال حكمهم حكم المرتدين ان تابوا والا قتلوا وهذا هو الصحيح عندنا . ثم ساق البغدادى بعد ذلك فتوى الامام مالك فى الباطنى والزنديق وانه قال عنهما : ان جاءانا تائبين ابتداء قبلنا التوبة منهما وان أظهرا التوبة بعد العثور عليهما لم تقبل التوبة منهما وأن هذا هو الأحوط فيهم (١) .

وتحدث ابن حزم عن دار الاسلام ودار الحرب واعتبر أن الأراضى التى حكمها بعض الفرق الباطنية تعتبر دار كفر وذلك لصريح كفرهم وذلك كالقرامطة مثلا وهم من فرق الاسماعيلية . وأما ديار العبيديين لظهور الاسلام فيها فانها وان حكمها العبيديون تعتبر دار اسلام وان كان حكامها فى حقيقة أمرهم كفارا . يقول ابن حزم عن ذلك : ان من سكن فى طاعة أهل الكفر من الغالية كالعبيديين ومن جرى مجراهم لايعتبر كافرا لأن أرض مصر والقيروان وغيرهما الاسلام فيها هو الظاهر وولائهم على كل ذلك لايجاهرون بالبراءة من الاسلام بل الى الاسلام ينتمون وان كانوا فى حقيقة أمرهم كفارا . وأما من سكن فى أرض القرامطة مختارا فكافر بلاشك لأنهم معلنون بالكفر وترك الاسلام (٢) .

وفى موضع آخر يقول عن الاسماعيلية : انها طائفة مجاهرة بترك الاسلام جملة وقائلة بالمجوسية المحضة (٣) .

فابن حزم يجزم بكفر القرامطة والعبيديين وهما من الاسماعيلية حيث الأولى فرقة من فرقهم ، وأما العبيديون

---

(١) أصول الدين للبغدادى ص ٣٢٩-٣٣١ .
(٢) كتاب المحلى لابن حزم ١٣٩/١٣ .
(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١١٦/٢ .

فانهم أئمة الاسماعيلية فى فترة الظهور وعددهم اثنا عشر حاكما .

ويفصل الديلمى حكمه على طائفة الباطنية وفرقها فيقول ان الذى يدل على كفر الباطنيين وجوه كثيرة وذكر منها عشرين وجها ثم قال : ان دلائل كفرهم مترتبة على أمور ثلاثة اعتقادات وأقوال وأفعال ومتى حصل واحد منها كفى فى كون مرتكبه كافرا وان اجتمعت فأجدر أن يكون كافرا فالباطنية على هذا من أكفر الكفار لاجتماع هذه الأمور الثلاثة (١) .

ويصف الشاطبى الباطنية بأنهم ثنوية دهرية اباحية ينكرون النبوة والشرائع وأمور المعاد بل انهم ينكرون الربوبية (٢) .

ومن أهم الأحكام فى هذا الباب مانقل عن ابن تيمية رحمه الله من الفتوى المشهورة فى موسوعة مجموع الفتاوى حيث سئل عن الفرق الباطنية ماحكم الاسلام فيها وماحكم التعامل مع هذه الطوائف فأجاب اجابة طويلة (٣) نقتصر منها على مايتعلق بالاسماعيلية .

يقول : ان جمهور المصنفين من المتقدمين والمتأخرين ذكروا بطلان نسبهم حتى صنف العلماء فى كشف أسرارهم وهتك أستارهم ومن ذلك القاضى أبو بكر الباقلانى ألف كتابه المشهور فى كشف أسرارهم وهتك أستارهم وذكر انهم من ذرية المجوس وذكر من مذاهبهم مابين فيه أن مذاهبهم شر من مذاهب

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٧١ .
(٢) الاعتصام للشاطبى ٢٥٣/١ .
(٣) تشتمل هذه الفتوى على اثنين وأربعين صفحة من المجلد الخامس والثلاثين ص ١٢٠-١٦٢ .

اليهود والنصارى بل ومن مذاهب الغالية الذين يدعون الالوهية على أو نبوته فهم أكفر من هؤلاء . وكذلك القاضى أبو يعلى فى كتابه المعتمد ذكر فصلا طويلا فى شرح زندقتهم وكفرهم وكذلك أبو حامد الغزالى ذكر فى كتابه الذى سماه "فضائل المستظهرية وفضائح الباطنية" بأن ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض . وكذلك القاضى عبد الجبار بن احمد وأمثاله من المعتزلة المتشيعة يجعلون هؤلاء - أى الاسماعيليين - من أكابر المنافقين الزنادقة ، فهذه مقالة المعتزلة فى حقهم فكيف تكون مقالة أهل السنة والجماعة والرافضة الامامية - مع انهم من أجهل الخلق وانهم ليس لهم عقل ولانقل ولادين صحيح ولادنيا منصورة - يعلمون أن مقالة هؤلاء مقالة الزنادقة المنافقين ويعلمون أن مقالة هؤلاء الباطنية شر من مقالة الغالية الذين يعتقدون الهية على رضى الله عنه ... ثم يضيف قائلا : ان علماء الأمة المأمونون علما ودينا يقدحون فى نسبهم ودينهم لايذمونهم بالرفض والتشيع فان لهم فى هذا شركاء كثيرين بل يجعلونهم من القرامطة الباطنية الذين منهم الاسماعيلية والنصيرية ومن جنسهم الخرمية المحمرة وأمثالهم من الكفار المنافقين الذين كانوا يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر ، ولاريب أن اتباع هؤلاء باطل وقد وصف العلماء أئمة هذا القول بأنهم الذين ابتدعوه ووضعوه وذكروا مابنوا عليه مذاهبهم وانهم أخذوا بعض قول المجوس وبعض قول الفلاسفة فوضعوا لهم السابق والتالى والأساس والحجج والدعاوى وأمثال ذلك من المراتب التى آخرها البلاغ الأكبر والناموس الأعظم . واذا كان كذلك

فمن شهد لهم بصحة نسب أو ايمان فأقل مافى شهادته أنه شاهد بلاعلم قاف ماليس له به علم وذلك حرام باتفاق الأمة ، بل ماظهر عنهم من الزندقة والنفاق ومعاداة ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم دليل على بطلان نسبهم الفاطمى ... ثم يقول : ان هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى وان مانقل عنهم وفى رسائلهم الخاصة مخالف للملل الثلاث دين الاسلام ، ودين النصارى ، ودين اليهود ، فهؤلاء خارجون عن الملل الثلاث .

وبالجملة فعلم الباطن الذى يدعون مضمونه الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، بل هو جامع لكل كفر لكنهم فيه على درجات فليسوا مستوين فى الكفر اذ هو عندهم سبع طبقات كل طبقة يخاطبون بها طائفة من الناس بحسب بعدهم من الدين وقربهم منه ... ثم يبين ابن تيمية رحمه الله آثار كفرهم فى البلاد التى حكموها بقوله : ولأجل ماكان أئمة الاسماعيلية عليه من الزندقة والبدعة بقيت البلاد المصرية مدة دولتهم نحو مائتى سنة قد انطفأ نور الاسلام والايمان حتى قالت فيها العلماء : انها كانت دار ردة ونفاق كدار مسيلمة الكذاب . (١)

وفى موضع آخر بعد أن ذكر ألقابهم وأسمائهم ومنها الاسماعيلية والباطنية قال : ان شرح مقاصدهم يطول وهم كما قال العلماء فيهم : ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض وحقيقة أمرهم انهم لايؤمنون بنبى من الأنبياء والمرسلين لابنوح ولاابراهيم ولاموسى ولاعيسى ولامحمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥/١٢٩-١٣١-١٣٣-١٣٤ ، ١٣٥-١٣٩ .

وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين . كما انهم لايؤمنون بشرع من الكتب المنزلة من الله عز وجل لاالتوراة ولاالانجيل ولاالقرآن . ولايقرون بأن للعالم خالقا خلقه ولابأن له دينا أمر به ، ولاأن له دارا يجزى الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار . وهؤلاء اتفق علماء المسلمين على انه لاتجوز مناكحتهم ولاتباح ذبائحهم وأوانيهم وملابسهم كأوانى المجوس وملابس المجوس . ولايجوز دفنهم فى مقابر المسلمين ولايصلى على من مات منهم كما قال تعالى عن المنافقين {ولاتصل على احد منهم مات أبدا ولاتقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون}(١) فكيف بهؤلاء الباطنية فهم مع زندقتهم ونفاقهم يظهرون الكفر والالحاد(٢) .

ومن علماء أهل السنة والجماعة الذين بينوا حال الاسماعيلية وحكموا عليها الامام ابن القيم رحمه الله . يقول : ومن اشر طوائف المجوس الذين لايقرون بصانع ولامعاد ولانبوة ولاحلال ولاحرام الخرمية أصحاب بابك الخرمى وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والاسماعيلية والنصيرية والدرزية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية وهم من أكفر الكفار فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ويتفاوتون فى التفصيل فالمجوس شيوخ هؤلاء كلهم وأئمتهم وقدوتهم ، وان كان المجوس قد يتقيدون بأصل دينهم وشرائعهم وهؤلاء لايتقيدون بدين من ديانات العالم ولابشريعة من الشرائع(٣) .

---

(١) سورة التوبة :
(٢) المرجع السابق ص ١٥٢-١٥٤،١٥٥ .
(٣) اغاثة اللهفان لابن القيم ٢/٢٤٧-٢٤٩ .

ويقول الكوفى ـ وهو ممن عاصرهم ـ ان دعوة الاسماعيلية (١) فى الكوفة ترجع الى مذاهب الثنوية وتهدف الى تحقيق مذاهب المجوسية فى مواضع أخر ويحوم حولها أمور مختلطة من نحل كثيرة . ثم يذكر الكوفى عن رجل اسمه أبو عبد الله بن اسماعيل دخل دعوة الباطنية ثم خرج منها تائبا بعد أن عرف أسرارها ، يقول هذا الرجل : أشهد على أن القصد بمبتدأ هذه الدعوة لم يكن للتشكيك فى الاسلام ونقل المملكة عن العرب خاصة . وانما كان القصد فيه اثبات دين المجوسية من بين سائر الأديان المختلفة .

وفى موضع آخر يقول : ان غرضهم من دعوتهم هو الخلع من الاسلام والشرائع المعروفة وديانات الرسل المشهورة (٢) .

ويذكر العراقى انهم بدعوتهم الى ترك العمل بالظاهر ودعوتهم الى القول بالباطن انما يقرعون باب الفتنة والفساد ويؤيدون الكفر والالحاد . ثم يضيف : الى انه لايوجد طائفة من الكفرة أخبث ولاأكثر فسادا منهم ، ثم يقول : ان غرضهم تعطيل الرسل وابطال الحكم بالظاهر والمدعو لديهم يتدرج فى دعوتهم حتى يصل الى النهاية التى اذا بلغها انسلخ من الاسلام ودخل فى الكفر (٣) .

---

(١) فى المخطوطة مايثبت أن المؤلف عاصر الاسماعيلية ولاسيما قيام دولة العبيديين ، فيذكر المؤلف أنه ابتدأ عمله فى هذا الكتاب سنة ٣٣٦هـ وهذا مذكور فى مقدمة كتابه "الرد على الاسماعيلية القرامطة" ، وفى ورقة ٨٤ من المخطوطة آنفة الذكر قال عن أحد فصولها : وهذا فصل زدته فى هذا الموضع فى سنة ٣٤٧هـ .

(٢) انظر الرد على الاسماعيلية القرامطة فى المواضع التالية : ورقة ٣٣ ، وورقة ٣٥ ، وورقة ١٧٣ .

(٣) انظر الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة لعثمان العراقى ص ١٠٤-١٠٥،١٠٨،١١٤ .

وينقل الديلمي في موضع غير ماتقدم الاجماع على كفرهم يقول : ان الأمة قد أجمعت على كفرهم فلاترى أحدا اليوم من علماء المسلمين من المشرق الى المغرب انه يتوقف في كفرهم ولاشك أن الاجماع من آكد الدلائل النقلية (١) .

ونقل الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله اجماع أهل العلم على كفر أئمة الاسماعيلية (العبيديين) وقال : ان بني عبيد لما أظهروا الشرك ومخالفة الشريعة وظهر منهم مايدل على نفاقهم وشدة كفرهم أجمع أهل العلم على انهم كفار يجب قتالهم وأن دارهم دار حرب ولذلك غزاهم المسلمون واستنقذوا مابأيديهم من بلدان المسلمين (٢) .

هذه هي نماذج من أقوال أهل العلم قديما وحديثا وحكمهم الواحد في هذه الطائفة الباطنية (الاسماعيلية) وانها من الفرق المنتسبة للاسلام انتسابا فهي خارجة عن الفرق الاسلامية بل خارجة حتى عن الاثنين والسبعين فرقة الهالكة كما ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) .

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص ٩٩ .

(٢) نص هذه الفتوى في كتاب مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لمحمد بن عبد الوهاب ص ٣٣ ، وفي كتاب مجموعة التوحيد النجدية ص ٢٢٩ .

(٣) نص الحديث كما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "افترقت اليهود على احدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على احدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة " .
وفي رواية عن معاوية رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم : "ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة " .
رواه أبو داود . انظر سنن أبي داود ٤/٥-٦ .

ومن الملاحظ ـ بل المؤكد ـ حسب ما اطلعت عليه الاجماع القولى المسطر من علماء الأمة الاسلامية على اختلاف الأزمان والأعصار والديار والأماكن على كفر وردة هذه الطائفة ولم أجد من اعتبرها أو تحدث عنها كفرقة من الفرق الاسلامية حتى علماء بعض الفرق المخالفة وافقوا أهل السنة على القول بكفر هذه الفرقة وعظم بدعتها وخطرها . والحمد لله الذى بنعمته تتم الطيبات والصالحات وسبحانك اللهم وبحمدك نستغفرك اللهم ونتوب اليك ونصلى ونسلم على أكرم الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

نتائج البحث

في ختام هذا البحث أحمد الله عز وجل وأشكره على اتمامه وانجازه وهذه أهم النتائج فيه :

(١) بالنسبة للباب الأول وهو "التشيع وأثره في فرقة الاسماعيلية" توصلت الى أن :

(أ) مصطلح الشيعة مصطلح عام يندرج تحته فرق عديدة ولابد من تطبيق المراحل الزمنية التي مرت بها هذه الفرقة ، وتطبيق التعريفات المتعددة على هذه المراحل . كما توصلت الى أن فرق الشيعة سلسلة متصلة الحلقات يأخذ بعضها بزمام البعض وتظل الأفكار والمعتقدات واحدة وان تغيرت المسميات ، وهذا واضح في فرق الغلاة التي ابتدأت بالسبئية حتى الخطابية والاسماعيلية .

(ب) ومن نتائج البحث في هذا الباب ثبوت شخصية ابن سبأ حقيقة مع ثبوت الأعمال التي قام بها وأثبتتها المصادر المتعددة ، وان أعماله هذه هي أساس التشيع وبدايته ، بل انه هو المؤسس الحقيقي لهذا المذهب كما ثبت ذلك بنصوص السلف .

(ج) ان للتشيع جذورا ومصادر أجنبية سواء كانت يهودية أو نصرانية أو مجوسية ، وهذا ثابت من جانبين . الجانب التاريخي والجانب الاعتقادي فما جاهر به ابن سبأ من معتقدات مما لاينكر أصلها اليهودي ، كما أن تاريخه يدل على يهوديته .

(د) أن أصول التشيع الأولى من الامامة والغيبة والرجعة والتقية وسب الصحابة ودعوى تحريف القرآن تعتبر أساسا

لفرق الشيعة كلها وكل فرقة أخذت منها بنصيب فغلا البعض فيها كالاسماعيلية وسائر الفرق الباطنية ، وخفف البعض كالزيدية .

(هـ) ومن ثم كان للتشيع بعد ذلك أثرا فى ظهور ونشأة الاسماعيلية ، وذلك من جانبين :

الجانب الأول : أصل معتقدات الشيعة حينما بنى عليها الاسماعيلية غلوهم فيما بعد .

والجانب الثانى : تاريخ الشيعة المتصل بعضه ببعض ولاسيما فيما يتعلق بالأئمة وتعلق كل طائفة بهم وبامامتهم .

(٢) أما بالنسبة للباب الثانى وهو "تاريخ فرقة الاسماعيلية" فقد توصلت فيه الى :

(أ) ان الاسماعيلية مصطلح على فرقة غالية جمعت شتات فرق الغلاة وتبنت جميع غلو الفرق قبلها ، وأصبحت فيما بعد أصلا وأساسا لجميع الغلاة بعدها وهذا واضح فى تاريخها ونشأتها .

(ب) كما توصلت الى أن أهم جذورها فرقتان غاليتان هما الخطابية والباطنية ، وكل فرقة غرست مبادئها فى الاسماعيلية ، فالخطابية غرست مبدأ تأليه الأئمة ودعوى النبوة والباطنية غرست التأويل الباطنى مع الهدم والتخريب فى المجتمع الاسلامى .

(ج) ومما توصلت اليه فى البحث أن سلسلة ائمة الاسماعيلية مر بفترة غامضة أسموها "دور الاستتار" ويقصدون من ورائها التمويه والتغطية لانقطاع نسل محمد بن اسماعيل

ومنها ثبت بالأدلة وأقوال المعاصرين لهم انقطاع نسبهم والذين ادعوا بعد ذلك نسبا فاطميا اعتبروا مغالطين للواقع ، ومخالفين للأدلة والأحداث التاريخية .

(د) ومن نتائج هذا البحث أن الانفصام والتناقض فى تاريخ أئمة الاسماعيلية مما لاينكر ، ففى التعاليم المذهبية رسموا نظريات خالفوها عمليا فنقضوا ماأبرموا ، يتضح هذا جليا فى انتقال الامامة من شخص لآخر ، فمن أصولهم أن الامامة من الأب الى ابنه وهكذا ولكنهم خالفوا هذا المبدأ عددا من المرات ، ولاتفسير لذلك سوى المطامع والمصالح الدنيوية مع نبذ المبادىء والمعتقدات حتى ولو كانت خاطئة .

(هـ) وفى جانب نظم الاسماعيلية وصلت الى انهم وضعوا نظاما جذابا للمدعو ومراحل تشويقية تشد المستجيب الى مافوق كل مرحلة هو فيها ، وكان لذلك دور فى انتشار هذا المذهب مع رداءته وخلوه من الأصول الثابتة .

(و) وفى آخر هذا الباب توصلت الى أن تفرق الاسماعيلية كان بسبب خرقهم قاعدتهم فى الامامة حيث انقسموا الى طائفتين كبيرتين امتدتا حتى عصرنا الحاضر ، وكان لهذا أثر فى كثرة أتباعهم وقيام دول عديدة لهم كدولة الحشاشين أصحاب القلاع فى الالموت والشام ، ودولة المليحيين والبهريين فيما بعد .

(٣) أما بالنسبة للباب الثالث وهو "أصول الاسماعيلية ومعتقداتها" فتوصلت فيه الى الآتى :

(أ) ان للاسماعيلية أصولا أساسية ترجع وتتصل جميع معتقداتهم بها وهذه الأصول هى :

١ ـ الامامة .

٢ ـ التأويل الباطنى .

فما من عقيدة أو فكرة الا وترجع الى أحدهما أو هما جميعا .

(ب) كما توصلت الى أن الفكر الاسماعيلى مجموعة آراء ومذاهب ملفقة صيغت بأسلوب باطنى بهدف احتواء ديانات متعددة ومذاهب متفرقة تحت غطاء أن مذهبهم يستوعب المذاهب والآراء كلها .

(ج) ومما توصلت اليه فى هذا الباب أن جميع آرائهم ومعتقداتهم معظمها وجلها من الفلسفة الاغريقية صيغت بقالب عقلى معين لتبرير نشرها وقبولها بين الناس مع التغيير فى بعض القضايا الفلسفية الموروثة تغييرا شكليا لايؤثر فى الحقيقة والنتيجة الواحدة شيئا .

(د) وفى باب الالهيات توصلت الى أن عقيدتهم فى الله عز وجل عقيدة كفرية شركية حيث نفى تدبير الله وخلقه للكون ونسبة ذلك الى عقلين من العقول العشرة المستقاة من فلاسفة الاغريق واليونان .

(هـ) وفى باب النبوات استخلصت خلاصة مذهبهم وانه يعود فى أصله الى القائلين بكسبية النبوة واستمرارها مع انكار معجزات الأنبياء والرسل ووصفهم بالأوصاف السيئة والبذيئة .

(و) وفى باب الأخرويات توصلت الى أن الاسماعيلية ينكرون البعث والمعاد ولايؤمنون بالدار الآخرة وجزاءها ومافيها من ثواب أو عقاب وذلك بناء على هذيانهم فيما أسموه قائم القيامة .

(ز) وفى التكاليف الشرعية اثبت مايدل على محاربتهم للشرائع والهروب من مزاولة الأعمال التكليفية ، وبالتالى ابطال جميع أركان الاسلام العملية وسعيهم لهدمها تحت ستار الظاهر والباطن .

(ح) وفيما يتعلق بمصادر المسلمين المعتمدة وهما (الكتاب والسنة) أثبت أن الاسماعيليين لايؤمنون بهما ولهم مصادر أخرى غيرهما وان تظاهروا بالايمان بأحدهما أو بهما فانما ذلك أخذا بظاهر الفاظهما مع تأويل معانيهما تأويلا يخرجهما من دين الاسلام بالكلية .

(ط) واخيرا بينت حكم الاسلام فى هذه الطائفة الخطيرة من خلال واقعهم ومعتقداتهم من جهة ، ومن جهة أخرى فتاوى علماء الأمة الاسلامية قديما وحديثا ، وكلها تجمع على كفر هذه الطائفة واخراجها من فرق الأمة الاسلامية .

والحمد لله رب العالمين .

ملاحق البحث

انه من خلال اطلاعى على مصادر الاسماعيلية الكثيرة لفت نظرى بعض الوثائق المهمة فيما يتعلق بتاريخ هذه الطائفة ومعتقداتها ، واتماما للبحث وكشفا لحقائق هذه الفرقة ومخططاتها أثبت هذين الملحقين فى آخر البحث .

الملحق الأول : نص حفظه لنا النويرى فى كتابه نهاية الارب ونقله من علوى عاش ابان فترة قيام الدولة العبيدية وظهور عبيد الله المهدى ، ويشتمل هذا النص على وصية من وصايا أئمة الاسماعيلية الى دعاتهم ، وهذه الوصية مسطرة فى كتابهم المفقود والمعروف بكتاب السياسة والبلاغ الأكيد . وموضوع هذه الوصية "كيفية الدخول على أصحاب الديانات المختلفة" وجذبهم للانخراط فى حركة الباطنية والاسماعيلية .

الملحق الثاني : وهو نص رسالة بعثها الامام الاسماعيلى عبيد الله المهدى الى أهل اليمن ، وتشتمل على أسماء الأئمة المستورين ، ونشرت هذه الرسالة لأول مرة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة على يد الشيعى الباطنى حسين فيض الله الهمدانى وذلك سنة ١٩٥٨م .

الملحق الأول

كيفية الدخول على أصحاب الديانات المختلفة

قال الشريف رحمه الله تعالى :

ووجدت فى كتاب من كتبهم يعرف "بكتاب السياسة" ماينشرح به ذكر ماتقدم من أمر الدعوة ، فيه وصايا الدعاء وهذا مختصر منه ، يقول فيه :

من وجدته شيعيا فاجعل التشيع عنده دينك ، واجعل المدخل عليه من جهة ظلم الأمة لعلى وولده وقتلهم الحسين وسبيهم البنات ، والتبرى من تيم وعدى ، ومن بنى أمية وبنى العباس وماشاكل ذلك من الأعاجيب التى تستهلك عقولهم . فمن كان بهذه الصورة أسرع الى اجابتك بهذا الناموس حتى يتمكن مايحتاج اليه .

ومن وجدته صابئا فداخله بالأسابيع يقرب عليك جدا .

ومن وجدته مجوسيا فقد اتفقت معه فى الأصل من الدرجة الرابعة : من تعظيم النار والنور والشمس . واتل عليه أمر السابق فانه لهرمس الذى يعرفونه بالنور المكنون من ظنه الجيد ، والظلمة المكنونة من وهمه الردىء ، فانهم مع الصابئين اقرب الأمم الينا وأولاهم بنا لولا يسير صحفوه بجهلهم به .

وان ظفرت بيهودى فادخل عليه من جهة المسيح ، يعنى مسيح اليهود الدجال ، وأنه المهدى وأن عند معرفته تكون الراحة من الأعمال وترك التكليفات كما أمر بالراحة فى يوم السبت . وتقرب من قلوبهم بالطعن على النصارى والمسلمين

الجهال وزعمهم أن عيسى لم يولد ولا أب له . وقرر فى نفوسهم أن يوسف النجار أبوه ، وأن مريم أمه ، وأن يوسف كان ينال منها ماينال الرجال من نسائهم ، وماشاكل ذلك ، فانهم لايلبثون أن يتبعوك .

وادخل على النصارى بالطعن على اليهود والمسلمين جميعا ، وبصحة عقدهم ، وعرفهم تأويله ، وافسد ماقام بهم من حجة الفارقليط . وقرر عندهم أنه جائى ، وانك اليه تدعوهم .

ومن رفع اليك من المنانية فانه بحرك الذى منه تغترف فداخلهم بوجه من الباب السادس ، واظهر من الدرجة السادسة من حدود البلاغ وامتزاج الظلمة بالنور ، الى آخر مافى الباب من ذلك فانك تملكهم به وتخلبهم . فان آنست من بعضهم رشدا كشفت له الغطاء .

ومن رفع اليك من الفلاسفة فقد علمت أن على الفلاسفة العمدة ، وأنا قد اجتمعنا وهم على نواميس الأشياء وعلى القول بقدم العالم ، لولا مايخالفنا بعضهم فيه من أن للعالم مدبرا لايعرفونه . فاذا وقع الاتفاق على أنه لامدبر للعالم ، فقد زالت الشبهة فيما بيننا وبينهم .

وان وقع لك ثنوى فبخ بخ ! قد ظفرت ـ فالمدخل عليه بابطال التوحيد ، والقول بالسابق والتالى ووراثة احداهما على ماهو مرسوم فى أول درجة البلاغ وثالثه .

وان وقع لك سنى فعظم عنده أبا بكر وعمر واذكر فيهما فضائل ، واثلب عليا وولده واذكر لهم مساوىء . وصرح له أن أبا بكر وعمر قد كان لهما فى هذا الأمر الذى تلقته اليه

نسب . فاذا دخلت عليه بهذا المدخل درجته الى ماتريده وملكته .

واتخذ غليظ العهود وكيد الايمان وشديد المواثيق جنة لك وحصنا . ولاتهجم على مستجيبك بالأشياء التى تهز عقولهم حتى ترقيهم الى المراتب حالا فحالا ودرجهم درجة درجة : فواحدا لاتزده على التشيع والايمان بمحمد بن اسماعيل شيئا ، وأنه حى ، لاتجاوز به هذا الحد . وأظهر لهم العفاف عن الدراهم والدينار . وخفف عليهم وطأتك . ومره بالصلاة السبعين . وحذره الكذب والزنا واللواط وشرب الخمر . وعليك فى أمره بالرفق والتؤدة والمداراة يكن لك عونا على دهرك وعلى من يعاديك أو يتغير عليك من أصحابك وينافسك ، فلاتخرجه عن عبادة الهه ، والتدثر بشريعته ، والقول بامامة على ونبيه الى محمد بن اسماعيل بن جعفر . وأقم له دلائل الأسابيع فقط ، ودقه بالصلاة دقا ، فانك ان أومأت الى كراعه فضلا عن ماله لم يمنعك . فان أدركته الوفاة وصى اليك بما خلف وورثك اياه ولم ير أن فى العالم أوثق منك .

وآخر ترقيه من ذلك الى نسخ شريعة محمد ، وأن السابع هو الحكم للرسل ، وانه ينطق كما نطقوا ويأتى بأمر جديد ، وأن محمدا صاحب الدور السادس ، وأن عليا لم يكن اماما . وحسن القول ، فان هذا باب كبير وعلم عظيم يرجى الارتقاء الى ماهو أكبر منه ، ويعينك على زوال ماجاء من قبله من وجود النبوات على المنهاج الذى هو عليه . وقليل من ترقيه من هذا الباب الى معرفة أم القرآن ومؤلفه وسننه .

واياك أن تغتر بكثير ممن يبلغ معك الى هذه المنزلة

فترقيه الى غيرها – الا من بعد طول المؤانسة والمدارسة واستحكام الثقة ، فان ذلك يكون عونا لك عند بلاغه على تعطيل الكتب التى يزعمون أنها منزلة من عند الله . فيكون هذا نعم المقدمة – وآخر ترقيه من هذا الى ماهو أعلى منه . فان القائم قد مات ، وانه يقوم روحانيا ، وان الخلق يرجعون اليه بصور روحانية ، وانه يفصل فى العباد بأمر الله عز وجل : يشتفى من الكافرين للمؤمنين بالصور الروحانية ، فان ذلك يكون عونا عند بلاغه على ابطال المعاد الذى يزعمونه والنشور من القبور .

وآخر ترقيه من هذا الى ابطال الملائكة فى السماء والجن فى الأرض ، فانه قبل آدم بشر كثير ، وتقيم على ذلك الدلائل المرسومة فى كتب شيوخنا المتقدمين ، فان ذلك مما يعينك فى وقت بلاغه على تسهيل التعطيل لله والارسال بالملائكة الى الأنبياء والرجوع به الى الحق ، والقول بقدم العالم .

وآخر ترقيه الى أوائل درج التوحيد ، وتدخل عليه بما تضمنه كتاب "الدرس الشافى للنفس" من أن لا اله ، لاصفة ولاموصوف فان ذلك مما يعينك على القول بالهية تستحقها عند البلاغ الى ذلك . ومن رقيته الى هذه المنزلة فعرفه – حسب ماعرفناك – حقيقة من أمر الامام ، وأن اسماعيل ومحمد ابنه من أبوابه . ففى ذلك عون لك على ابطال امامة ولد على بن أبى طالب عند البلوغ والرجوع الى القول بالحق لأهله . ثم لايزال شيئا فشيئا فى أبواب البلاغ السبعة حتى يبلغ الغاية القصوى على تدريج . وكل باب يأتى يشهد للمتقدم قبله ،

والمتقدم يشهد للمتأخر . واستعمل فى أمرك الكتمان ، كما يوصى نبى القوم خاصة فقال : استعينوا على أموركم بالكتمان ولاتظهر أحدا على شيء مما يظهر عليه من هو فوقه بوجه ولاسبب وعليك باظهار التقشف للعامة والوقار عندهم وتجنب ماهو منكر عندهم . ولاتنبسط كل الانبساط لاخوتك البالغين ، كما فعل من كان قبلك فانه أتى بالتشديد ثم حل الأمور .

فاذا تدبرت بهذا التدبير وسلكت طريقه فقد سلكت طريق الأنبياء وأخذت حدودهم . وعليك بعد ذلك بالاجتهاد فى معالجة خفة اليد والأخذ بالأعين والحذق بالشعبذة الى اقامة المعجزات ، كما نسبوا قوما تقدموا . وعليك بمعرفة أحاديث الأولين وقصصهم وطرائقهم ومذاهبهم لتكون بينة أمرك فى الأقاويل على قدر مايصلح لأهل زمانك – ترشد وتوفق وتقدم على الامام أمرك ويعلو ذكرك ويكون الداخل فى أمرك بعد وفاتك أكثر من الداخل معك فى حياتك فتنفع لك – ولمخلفيك من بعدك وعلى يديك ويرى أمثالك من أهل النجابة والعقل – دعوة الحق وتملك لك ولعقبك وذريتك ملكا لاينبغى لغيرك مثله .

فهذه وصيتى لك مشتملة على جمل من النواميس الطارقة للأنبياء على قدر عقولهم "(١) .

---

(١) مذاهب الاسلاميين ١٧٦/٢-١٨٠ .

الملحق الثاني

ورد هذا المعنى المشروح فى كتابنا الى ناحيتنا باليمن من مولانا الامام عبد الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعد نزوله فى المهدية المباركة .

لما اشتدت المحنة وعظمت التقية فى أيام جعفر بن محمد صلوات الله عليه كتم اسم الامام من ولده تقية عليه . فلم يطلع عليه فى حياة جعفر بن محمد ولابعد وفاته صلوات الله عليه ، الا أوثق الثقاة من شيعته ، وكان يقول : "التقية دينى ودين آبائى ، ومن لاتقية له فلادين له " .

فتعلق كل فرقة من الشيعة بواحد من أربعة من ولد جعفر ابن محمد ، وهم : موسى واسماعيل ومحمد وعبد الله . وكل منهم على غير عقد مؤكد منه . وكان صاحب الحق منهم عبد الله بن جعفر صلوات الله عليه ، فلم يكن علم مقامه الا عند الأبواب والثقاة تقية عليه . وقد تعلق به قوم (على) غير هذه الحقيقة توهما منهم .

فلما أراد الأئمة من ولد جعفر احياء دعوة الحق خافوا من نفاق المنافقين ، فتسموا - صلى الله عليهم - بغير أسمائهم ، فجعلوا أسماءهم للدعوة فى مقام الحجج ، وتسموا بمبارك وميمون وسعيد للفأل الحسن فى هذه الأسماء .

وأشاروا بالامامة الى عبد الله ، وتسمى باسماعيل ، ودعوا الى أن المهدى صلوات الله عليه اسمه محمد بن اسماعيل ، لأنه محمد وهو من ولد عبد الله الذى تسمى باسماعيل . فنافق جماعة ممن دعى ، فذكروا اسماعيل ومحمد

ابن اسماعيل ، وهما لايوجدان ، وأصحاب الحق سالمون آمنون .

فكان كلما قام منهم امام تسمى بمحمد ، والاشارة في الدعوة الى محمد بن اسماعيل . والمراد باسماعيل عبد الله والمراد بمحمد كل من كان في عصره الى أن يظهر صاحب الظهور وهو محمد ، فتزول التقية . والأمر منتظم بهذه التسمية .

فقال مولانا صلوات الله عليه في كتابه حين ذكر هذا المعنى من التقية في الأسماء ، قال : فجعل الله في ذلك خيرا كثيرا : فكان الامام عبد الله بن جعفر ، ثم بعده (محمد) بن عبد الله ، (ثم عبد الله بن محمد) (١) ، ثم أحمد بن عبد الله ، ثم محمد بن أحمد . فكل هؤلاء تسمى بمحمد محمد ، خلا عبد الله بن جعفر ، فانه تسمى باسماعيل . هكذا قال مولانا صلوات الله عليه في كتابه .

فكان ورد كتاب من محمد بن أحمد صلوات الله عليه ، فيه رسالة أولها : من محمد بن محمد . فجعلها عند المؤمنين اشارة وحجة وتذكرة الى وقت ظهور هذا البيان .

ثم أوصى محمد بن أحمد الى ابن أخيه ، وأعطاه باختيار الله أمره كله ، وتسمى سعيد بن الحسين . فجرت الدعوة اليه زمانا (بعد) (٢) ذلك . فلما ظهر أظهر مقامه ، وأظهر اسم عبد الله ، فهو مولانا عبد الله الامام صلى الله عليه .

وظهر معه مولانا ابو القاسم صلوات الله عليهما ، اسمه محمد . فصحت الاشارة الى القائم (بن) (٣) المهدى محمد بن

---

(١) في الأصل : ثم بعده عبد الله بن عبد الله . والظاهر أن العبارة ناقصة . وقد ذكر المؤلف فيما سبق اسم محمد بن عبد الله (= محمد بن اسماعيل) ، فاضفنا الى الأسماء التي وردت في الأصل اسمي محمد بن عبد الله وابنه عبد الله بن محمد .

(٢) في الأصل : بذلك .

(٣) في الأصل : الى القائم المهدى .

عبد الله أبي القاسم ، الامام المنتظر لعز دولة الدين والجهاد برايات المؤمنين .

فكتب مولانا عبد الله صلى الله عليه بمعنى هذا الشرح وان كان لم يحفظ على انتظام الكلام على النسق . ثم نسب نفسه فقال : والولى الآن (يعني نفسه) على بن الحسين بن أحمد بن عبد الله الثاني (بن محمد) بن عبد الله بن جعفر (١) ابن محمد بن على بن الحسين بن على صلوات الله عليهم أجمعين . واسمه (٢) الظاهر عبد الله بن محمد ، لأنه ابن محمد ابن أحمد في الباطن . فهذا النسب هكذا كان في كتاب مولانا عليه السلام على هذا النسق .

ثم ذكر في كتابه هذه الرواية عن جعفر بن محمد عليه السلام ، فقال : جاء رجل من الشيعة الى جعفر بن محمد عليه السلام ، فقال : يا ابن رسول الله ، كان من بني أمية كذا وكذا من ملك ، وبني العباس كذا وكذا من ملك ، وليس يكون منكم الا مهدى واحد تقوم الساعة منه . فقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : لقد قلل الله آل محمد ان لم يكن منهم الا مهدى واحد ، وانما نبشركم بالمهتدى المنتظر الذى يعز الحق على يده ، أول من يصعد على منبر جده ، ويجاهد برايات المؤمنين على أخذ حقه ، ويزول به المحنة عن أهل شيعته ، ويعز جميع المؤمنين في دولته . ويكون بظهوره عز آل محمد الى آخر الدنيا ، ويكون ولده (٣) هداة مهديين مؤيدين الى أن

---

(١) في الأصل : والولى الآن يعني نفسه على بن الحسين بن على بن أحمد بن عبد الله بن عبد الله ثانيه . نقول : ان الأسماء بهذا النسق لاتوافق بما سبق من الأسماء المستورين . والظاهر أنه وقع الخلط في هذا الموقع .

(٢) في الأصل : واسم .

(٣) في الأصل : ويكون من ولده .
وقد يكون القراءة : ويكون بعض أو جماعة من ولده .

تقوم الساعة . فمنا المهدى ، ومنا الهادى ، ومنا المهتدى به ، ومنا من تطلع الشمس على رأسه . فان كنت تريد الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : تقوم القيامة وملك الدنيا فى يدى رجل من ولدى من ولد الحسين ، وهو الذى يصلى خلفه عيسى ابن مريم ، فانما يكون ذلك فى زمان الزلزال وخداع الأعمال ، فلايتبعه (١) الا واثق بعلمه ، يعنى أنه لاينفع فى أيامه عمل حادث ولاتقبل توبة ، وهو آخر الدنيا .

وقال مولانا أيضا فى كتابه (٢) : ولابد بين كل ناطقين من امام مملك يظهر بالسلطان الظاهر والسيف عند تقية الأئمة وعلو الظلمة . فكان ادريس بين آدم ونوح ، وكان فالغ بن عابر بين نوح وابراهيم ، وكان يوسف بن يعقوب بين ابراهيم وموسى ، وكان داود وسليمان بين موسى وعيسى ، وكان بخت نصر بين عيسى ومحمد . فيعنى أن المهدى بين محمد وبين صاحب القيامة .

ويروى عن على بن أبى طالب صلوات الله عليه أنه قال : يكون بعد السابع المهدى فترة تأرز العلم بين المسجدين ، كما تأرز الحية فى جحرها (٣) ، ثم لايروعكم الا صاحبكم يدعوكم الى نفسه بالسيف . فيعنى تأرز يستخفى وينحجز ، وبين المسجدين يعنى بين الامامين ، بين جعفر بن محمد والامام الذى يظهر بالسيف ، وعدد (٤) هؤلاء السبعة من رسول الله صلى

---

(١) فى الأصل : فلايتمنه ، فيه تحريف وتصحيف .
(٢) فى الأصل : كتاب .
(٣) روى فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الايمان بدأ غريبا وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء . اذا فسد الناس ، والذى نفس أبى القاسم بيده ، ليزوأن الايمان بين هذين المسجدين كما تأرز الحية فى جحرها .
(٤) فى الأصل : وعد .

الله عليه وآله . فالسابع جعفر بن محمد صلوات الله عليه .

وأجاب مولانا عبد الله وقد سئل عن الشرح الذى كان بين(١) الناطق الى الناطق سبعة ائمة ، وقد ذكر العدد فى الأئمة الذين ذكروا(٢) من آبائه عليهم السلام بعدد أكثر من سبعة ، فقال فى كتابه(٣) صلوات الله عليه : انما هى سبع مراتب ، تدور كما تدور الأيام ، يكون فيها من الأئمة ماشاء الله ، حتى يظهر الناطق بغتة متى أراد الله سبحانه .

فهذا المعنى كتب به الى ناحيتنا باليمن مولانا أمير المؤمنين عبد الله صلوات الله عليه ، بلازيادة فى معنى الشرح ولانقصان ، وبالروايات التى فيها ، الا أن يكون لفظة زادت ، أو لفظة نقصت ، ولاتحيل المعنى لأن الكتاب لم يحفظ على النسق .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على النبى محمد والصفوة من آله وسلم تسليما .

---

(١) كذا فى الأصل . وانما نرجح أن يكون اللفظ نكرة .
(٢) فى الأصل : ذكر .
(٣) فى الأصل : فى كتابه له ثانى .

فهارس الرسالة

هذا الفهرس يشتمل على جوانب ثلاثة هى :

(١) موضوعات البحث الاجمالية حسب الأبواب والفصول .

(٢) موضوعات البحث التفصيلية حسب المدلولات والعناوين الجزئية .

(٣) مصادر البحث ومراجعه وذلك تحت عناوين أربعة :

(أ) المصادر المخطوطة وهذه تجمع مصادر الفرق من غير فصل بين أهل السنة وغيرهم .

(ب) مصادر ومراجع أهل السنة وعلماء الفرق .

(ج) مصادر ومراجع الشيعة الامامية الاثنى عشرية .

(د) مصادر ومراجع الشيعة الباطنية الاسماعيلية .

ملاحظة :

موضوعات الرسالة سواء الاجمالية أو التفصيلية تكون حسب قسمى الرسالة الأول والثانى .

فهرس الموضوعات الاجمالية حسب الأبواب والفصول

القسم الأول

الصفحة

الصفحة

القسم الثاني

الباب الثالث

الصفحة

فهرس الموضوعات التفصيلية

حسب العناوين الجزئية

القسم الأول

الصفحة

الصفحة

القسم الثاني

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

مصادر البحث ومراجعه

(أ) (١) القرآن الكريم

(ب) المصادر المخطوطة :

(٢) ادريس . عماد الدين بن الحسين بن عبد الله بن على اليمانى ت ٨٧٢هـ
زهر المعانى
مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة تصوير ايفانوف .

(٣) ابنايبك . ابو بكر محمد الدواداری
كنز الدرر وجامع الغرر
مخطوطة بدار الكتب المصرية قسم تاريخ رقم ٢٥٧٨ .

(٤) البكرى . أبو عبد الله بن عبد العزيز القرطبى ت٤٨٧هـ
الممالك والمسالك
مخطوطة بمكتبة الدراسات العليا ببغداد رقم ١٢٦٠ .

(٥) ابن تيمية . شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم الحرانى ت ٧٢٨هـ
بغية المرتاد فى الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الحلول والاتحاد
مخطوطة بجامعة الرياض رقم ١٢٨٤ .

(٦) جعفر بن منصور اليمن عاش فى القرن الرابع الهجرى
(أ) الشواهد والبيان
مخطوطة فى الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية قسم عقائد رقم ١٨٤ .

(ب) أسرار النطقاء

مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة ضمن منتخبات اسماعيلية جمعها ايفانوف وحورها من الهند فى عام ١٩٤٢م .

(ج) الفترات والقرانات

مخطوطة بمكتبة محمد كامل حسين .

(٩) الجندى أبو عبد الله بهاء الدين ت ٧٣٢هـ

السلوك فى طبقات العلماء والملوك

معهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٦٩٨ .

(١٠) الخزرجى . أبو الحسن على بن الحسن ت ٨١٢هـ

الكفاية والاعلام

مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية قسم تاريخ رقم ١٨٢ .

(١١) سبط بن الجوزى . أبو المظفر قيزوغلى ت ٦٥٤هـ

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان

دار الكتب المصرية قسم تاريخ رقم ٥٥١ .

(١٢) الطبرسى حسين تقى النورى ت ١٣٢٠هـ

فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب

مخطوط فى مجلد واحد وطبع على الحجر فى ايران .

(١٣) الكوفى أبو عبد الله محمد بن على

الرد على الاسماعيلية القرامطة

مخطوطة بالمكتبة الظاهرية رقم ٩٧١١ ولها نسخة مصورة بالميكروفيلم فى جامعة أم القرى بمكة مركز البحث العلمى .

(١٤) مجهول . لمؤلف مجهول كما ذكر فى ظهر المخطوطة واسمها
الفرق الاسلامية . فى مكتبة الدراسات العليا ببغداد
رقم ١٤٧١ .

(١٥) المكرمى . على بن سليمان ت بعد سنة ١٠٥٣هـ
حياة الأحرار
مخطوطة مصورة بمكتبة الدكتور أحمد محمد مغربى .

(١٦) النعمان . محمد بن منصور بن حيون ت ٣٦٣هـ
(أ) الرسالة المذهبة
مخطوطة بمكتبة الدكتور سهيل زكار بدمشق .

(ب) المجالس والمسايرات فى تاريخ الاسماعيلية وعقائدهم
مصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة .

(١٨) النويرى شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ
نهاية الارب فى فنون الأدب
دار الكتب المصرية قسم معارف عامة رقم ٥٤٩ .

(١٩) العواصم والقواصم لمحمد بن ابراهيم الوزير
مخطوط بمكتبة جامع صنعاء .

(٢٠) غاية المواليد ينسب للداعى الاسماعيلى أبو الخطاب
مكتبة الأعظمى الخاصة .

(ج) المصادر والمراجع المطبوعة :

أولا : مصادر ومراجع علماء المسلمين من غير الشيعة الامامية والباطنية :

(أ)

(٢١) ابن الأثير . أبو الحسن على بن محمد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى ت ٦٣٠هـ

(أ) الكامل فى التاريخ

نشر دار الكتاب العربى ببيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ .

(ب) اللباب فى تهذيب الأنساب

نطر دار صادر ببيروت .

(٢٣) الاسفرائينى ابراهيم بن محمد ت ٤١٨هـ

التبصير فى الدين

تحقيق الكوثرى طبع فى مصر عام ١٣٧٤هـ .

(٢٤) الأشعرى أبو الحسن على بن اسماعيل ت ٣٢٤هـ

(أ) الابانة عن أصول الديانة

المطبعة السلفية القاهرة ، ١٣٨٥هـ .

(ب) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين

الطبعة الثانية عام ١٣٨٩هـ .

(٢٦) الألبانى محمد ناصر الدين الألبانى

سلسلة الأحاديث الصحيحة

طبع المكتب الاسلامى .

(٢٧) الآمدى . سيف الدين على بن أبى على بن محمد ت ٦٣١هـ
غاية المرام فى علم الكلام
تحقيق حسن محمود ، طبع فى القاهرة عام ١٣٩١هـ .
(٢٨) الأمين . عبد الله الأمين
دراسات فى الفرق والمذاهب .
(٢٩) أمين . أحمد أمين
(أ) ضحى الاسلام
نشر مكتبة النهضة عام ١٩٦٤م .
(ب) فجر الاسلام
الطبعة العاشرة عام ١٩٦٥م .
(٣١) الأنصارى . محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر
تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء فى القديم والجديد
الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩هـ ، مطابع الرياض .

(ب)

(٣٢) بدوى . الدكتور عبد الرحمن بدوى
مذاهب الاسلاميين
الطبعة الأولى ، نشر دار العلم بيروت عام ١٩٧١م .
(٣٣) البغدادى . عبد القاهر بن طاهر التميمى ت ٤٢٩هـ
(أ) أصول الدين
الطبعة الأولى ١٣٤٦هـ ، مطبعة الدولة فى استانبول .
(ب) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم
الطبعة الأولى عام ١٣٩٠٣هـ .

(٣٥) البلاذري . أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ
انساب الأشراف
نشر مكتبة القدس عام ١٩٣٦م .

(٣٦) بناني . احمد محمد بناني
موقف الامام ابن تيمية من التصوف والصوفية
رسالة ماجستير في العقيدة في جامعة أم القرى .

(٣٧) البيروني . أبو الريحان محمد بن أحمد ت ٤٤٠هـ
الآثار الباقية عن القرون الخالية
طبع وتحقيق ادوارد عام ١٨٧٨م .

(ت)

(٣٨) الترمذي . محمد بن عيسى بن سورة السلمي ت ٢٧٩هـ
سنن الترمذي
تحقيق وشرح أحمد شاكر ، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ بمطابع الحلبي .

(٣٩) ابن تغري . أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغري ت ٨٧٤هـ
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
نشر المؤسسة المصرية للتأليف .

(٤٠) التوم . سويلم عقاب التوم
عقيدة البعث الآخر
رسالة ماجستير مقدمة الى الدراسات العليا فرع العقيدة بجامعة أم القرى .

(٤١) التونسوى . الشيخ محمد عبد الستار التونسوى
بطلان عقائد الشيعة وبيان زيغ معتنقيها
بدون ذكر مطبعة أو زمن .

(٤٢) ابن تيمية . شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم
الحرانى ت ٧٢٨هـ

(أ) بيان تلبيس الجهمية فى تاسيس بدعهم الكلامية
الطبعة الأولى عام ١٣٩١هـ .

(ب) درء تعارض العقل والنقل
تحقيق محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ .

(ج) الرسالة التدمرية ضمن كتاب نفائس
توزيع ادارة الكليات والمعاهد .

(د) رسالة فى علم الظاهر والباطن
ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، نشر محمد أمين فى
بيروت ١٩٧٠م .

(هـ) العبودية
الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ ، نشر المكتب الاسلامى .

(و) الفتوى الحموية الكبرى ضمن كتاب نفائس

(ز) مجموع الفتاوى
مطابع الرياض ، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ ، جمع عبد
الرحمن بن قاسم .

(ح) مجموعة الرسائل والمسائل
تحقيق محمد رشيد رضا ، نشر لجنة التراث .

(ط) المسائل الماردينية فى فقه الكتاب والسنة
تحقيق زهير الشاويش ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ ،
المكتب الاسلامى .

(ى) منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية
تحقيق محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، نشر مكتبة خياط ببيروت ، والطبعة الثانية عشر مجلدات ، طبع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

(ك) النبوات
نشر دار الفكر ، طبع سنة ١٣٤٦هـ .

(ل) كتاب الصفدية
تحقيق محمد رشاد سالم ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٦هـ .

(ج)

(٥٣) جار الله . الشيخ موسى جار الله
الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة
مطبعة ادارة ترجمان السنة فى لاهور .

(٥٤) الجرجانى . على بن محمد بن على الجرجانى ت ٨١٦هـ
كتاب التعريفات
طبع القاهرة عام ١٣٨٣هـ .

(٥٥) جلال محمد .
كتاب الله والعالم والانسان
طبع القاهرة .

(٥٦) جلى . أحمد محمد جلى .
دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين
طبع فى الرياض ضمن مطبوعات مركز الملك فيصل للدراسات الاسلامية ، الطبعة الأولى والثانية .

(٥٧) جمال الدين محمد السعيد
دولة الاسماعيلية فى ايران
نشر مؤسسة سجل العرب بالقاهرة ١٩٧٥م .

(٥٨) ابن الجوزى . جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ت ٥٩٧هـ
(أ) تلبيس ابليس
نشر دار الكتب العلمية ببيروت .
(ب) كتاب القرامطة
تحقيق محمد المباغ ، الطبعة الثالثة ، المكتب الاسلامى
(ج) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم
القسم الثانى ، الطبعة الأولى عام ١٣٥٧هـ .

(٦١) الجوينى . عطا ملك الجوينى اغتاله اسماعيلية الموت
تاريخ جهانكشاى
طبع ضمن كتاب دولة الاسماعيلية فى ايران .

(ح)

(٦٢) ابن حجر الامام أحمد بن على العسقلانى ت ٨٥٢هـ
(أ) الاصابة فى أسماء الصحابة
طبع القاهرة عام ١٣٩٦هـ ، وبهامشه الاستيعاب .
(ب) تقريب التهذيب
الطبعة الأولى الهندية .
(ج) تهذيب التهذيب
دائرة المعارف النظامية بالهند سنة ١٣٢٥هـ .

(د) فتح الباري شرح صحيح البخاري

الطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٨٠هـ .

(٦٦) الحضرمي . محمد بن عمر بن مبارك ت ٩٣٠هـ

الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم

الطبعة الأولى عام ١٣٨٦هـ .

(٦٧) ابن حزم . أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ

(أ) جمهرة أنساب العرب

الطبعة الثالثة عام ١٣٩١هـ .

(ب) الفصل في الملل والأهواء والنحل

طبع دار المعرفة ، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ .

(ج) المحلى

نشر مكتبة الجمهورية عام ١٣٩٢هـ .

(د) رسالة المفاضلة بين الصحابة

(٧١) حسن . حسن ابراهيم حسن

(أ) تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي

الطبعة الثامنة عام ١٩٧٤م .

(ب) تاريخ الدولة الفاطمية

الطبعة الثانية ١٩٥٨م ، مكتبة النهضة .

(ج) كتاب عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية

طبع القاهرة ١٩٤٧م .

(د) المعز لدين الله

الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة عام ١٩٦٣م .

والكتابين الأخيرين ألفهما بالاشتراك مع طه أحمد شرف .

(٧٥) حسين . الدكتور محمد محمد حسين
اتجاهات هدامة فى الفكر العربى المعاصر
نشر دار الارشاد ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ .
(٧٦) حسين . محمد كامل حسين
(أ) طائفة الاسماعيلية
الطبعة الأولى بالقاهرة عام ١٩٥٩م .
(ب) فى أدب مصر الفاطمية
طبع القاهرة ، دار الفكر العربى عام ١٩٦٣م .
(٧٨) الحمادى . محمد بن مالك اليمانى ت فى أواسط المائة الخامسة للهجرة
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة
تحقيق الكوثرى ، مطبعة الأنوار عام ١٣٥٧هـ .
(٧٩) حمدان . الطالب أحمد سعد حمدان
عقيدة ختم النبوة
رسالة ماجستير فى العقيدة فى الدراسات العليا بجامعة أم القرى .
(٨٠) الحموى . ياقوت بن عبد الله الرومى ت ٦٢٦هـ
معجم البلدان
نشر دار الكتاب العربى فى بيروت .
(٨١) ابن حنبل . امام أهل السنة أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيبانى ت ٢٤١هـ
(أ) الرد على الزنادقة والجهمية
طبع ضمن كتاب عقائد السلف ، تحقيق النشار والطالبى ، الاسكندرية عام ١٩٧١م .

(ب) المسند والمشهور بمسند الامام أحمد بن حنبل
الطبعة الثانية .
(٨٣) الحنفى . على بن على بن محمد بن أبى العز ت ٧٩٢هـ
شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية
تحقيق أحمد شاكر ، نطر مكتبة الرياض الحديثة ، وكذلك
الطبعة الثانية بتحقيق الالبانى .
(٨٤) الحنفى أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى ت ٢٥٠هـ
كتاب أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار
طبع مدينة غتنغة .
(٨٥) ابن حوقل . أبو القاسم بن حوقل النصيبى ت ٣٨٠هـ
كتاب صورة الأرض
نشر دار مكتبة الحياة ببيروت .

(خ)

(٨٦) الخطابى . محمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب
ت ٣٨٨هـ
معالم السنن
طبع ضمن سنن أبى داود ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨هـ .
(٨٧) الخطيب . محب الدين الخطيب
الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة
الامامية
طبع بمؤسسة مكة للطباعة .

(٨٨) الخطيب . الدكتور محمد بن أحمد الخطيب
الحركات الباطنية في العالم الاسلامي
الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ ، مكتبة الأقصى .
(٨٩) ابن خلدون . ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ
(أ) العبر وديوان المبتدأ والخبر
نشر دار الكتاب اللبناني عام ١٩٥٧م .
(ب) مقدمة ابن خلدون
نشر دار احياء التراث العربي ببيروت .
(٩١) ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
تحقيق احسان عباس ، نشر دار صادر .

(د)

(٩٢) الدارمي . عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني ت ٢٨٠هـ
كتاب الرد على الجهمية
طبع ضمن عقائد السلف ، نشر منشأة المعارف عام ١٩٧١م
(٩٣) أبو داود الامام الحافظ سليمان بن الأشعث الأزدي ت٢٧٥هـ
سنن أبي داود
الطبعة الأولى عام ١٣٨٨هـ تعليق عزت الدعاس .
(٩٤) الدسوقي . عمر الدسوقي
كتاب اخوان الصفا
المطبعة الكاثوليكية في بيروت عام ١٩٥٧م .

(٩٥) الدمشقى أبو الفضل
الاشارة الى محاسن التجارة
طبع فى القاهرة عام ١٣١٨هـ .
(٩٦) الدهلوى . شاه عبد العزيز الدهلوى
مختصر التحفة الاثنى عشرية
المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٧٣هـ ، تحقيق محب الدين الخطيب .
(٩٧) الدورى . الدكتور عبد العزيز
(أ) دراسات فى العصور العباسية المتاخرة
طبع فى بغداد عام ١٩٤٥م .
(ب) مقدمة أصول الاسماعيلية
نشر مكتبة المثنى وطبع دار الكتاب العربى .
(٩٩) الديلمى . محمد بن الحسن توفى فى أول القرن الثامن الهجرى
بيان مذهب الباطنية وبطلانه
مطبعة الدولة فى استانبول ١٩٣٨م .

(ذ)

(١٠٠) الذهبى . أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ت ٧٤٨هـ
(أ) دول الاسلام
تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى ، نشر الهيئة المصرية عام ١٩٧٤م .

(ب) سير أعلام النبلاء
طبع مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ .
(ج) المنتقى من منهاج الاعتدال مختصر منهاج السنة
لابن تيمية ، تحقيق محب الدين الخطيب ، طبع عام ١٣٧٤هـ بالقاهرة .
(د) ميزان الاعتدال في نقد الرجال
تحقيق على البجاوى ، نشر دار المعرفة ببيروت ، الطبعة الأولى عام ١٣٨٢هـ .
(١٠٤) الذهبى . الدكتور محمد حسين الذهبى
التفسير والمفسرون
الطبعة الثانية فى مطبعة السعادة سنة ١٣٩٦هـ .

(ر)

(١٠٥) الرازى . فخر الدين محمد بن عمر الرازى
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين
طبع فى القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .
(١٠٦) ابن رشد . محمد بن أحمد بن رشد الأندلسى ت ٥٩٥هـ
مناهج الأدلة فى عقائد الملة
تحقيق محمود قاسم ، الطبعة الثانية عام ١٩٦٤م .

(ز)

(١٠٧) الزركلى . خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس الزركلى ت ١٣٩٦هـ

كتاب الأعلام
الطبعة الثالثة عام ١٣٨٩هـ .

(١٠٨) الزغبي . فتحي محمد الزغبي
غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للاسلام
الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ .

(١٠٩) زكار . الدكتور سهيل
تاريخ العرب والاسلام
نشر دار الفكر بيروت ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٥هـ .

(١١٠) أبو زهرة . محمد أحمد ابو زهرة
(أ) تاريخ المذاهب الاسلامية
نشر مكتبة الآداب ، طبع المطبعة النموذجية بالقاهرة .
(ب) محاضرات في النصرانية
طبع ونشر دار الفكر العربي .
(ج) الامام الصادق
نشر دار الفكر العربي .

(١١٣) الزهري . أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري المشهور
بابن سعد ت ٢٣٠هـ
الطبقات الكبرى
طبعة دار صادر ، بيروت .

(س)

(١١٤) السامر . الدكتور فيصل
الدولة الحمدانية في الموصل وحلب
الطبعة الأولى في مطبعة الايمان ببغداد عام ١٩٧٠م .

(١١٥) السامرائي . الدكتور عبد الله سلوم
الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية
مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٣٩٢هـ .
(١١٦) السباعي . الشيخ مصطفى السباعي
السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي
طبع المكتب الاسلامي في بيروت ، الطبعة الثانية عام ١٣٩٦هـ .
(١١٧) السجستاني . أبو داود سليمان بن الأشعث ت ٢٧٥هـ
ملحق في الجهمية
طبع ضمن عقائد السلف عام ١٩٧١م بالاسكندرية ، تحقيق النشار والطالبي .
(١١٨) سرور . محمد جمال الدين
سياسة الفاطميين الخارجية
نشر دار الفكر العربي عام ١٣٩٦هـ .
(١١٩) السفاريني . محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ت ١١٨٨هـ
لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية
طبع على نفقة حاكم قطر .
(١٢٠) السكسكي . عباس بن منصور السكسكي
البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان
الطبعة الأولى عام ١٩٨٠م في بيروت .
(١٢١) ابن سنان . ثابت بن سنان بن ثابت بالاشتراك مع ابن العديم
تاريخ أخبار القرامطة
تحقيق الدكتور سهيل زكار ، طبع دار الأمانة .

(١٢٢) السيوطي . جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ
(أ) الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة
مطبعة دار التأليف .
(ب) تاريخ الخلفاء
تحقيق محمد محيي الدين ، الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٩هـ.
(ج) حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة
طبع المطبعة الشرفية عام ١٣٢٧هـ .
(د) الاتقان في علوم القرآن
الطبعة الرابعة طبعة الحلبي عام ١٩٧٨م .

(ش)

(١٢٥) الشاطبي . أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد
اللخمي ت ٧٦٠هـ
كتاب الاعتصام
مطبعة السعادة .
(١٢٦) شاكر . الدكتور محمود
القرامطة
طبع المكتب الاسلامي عام ١٣٩٩هـ .
(١٢٧) الشرفي . محمد علي
نير البرهان في توطيد عقائد الايمان
طبع في القاهرة عام ١٣٨٧هـ .
(١٢٨) الشهرستاني . أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي
بكر ت ٥٤٩هـ

(أ) الملل والنحل

تحقيق الوكيل ، نشر مؤسسة الحلبي بالقاهرة عام ١٣٨٧هـ .

(ب) نهاية الاقدام فى علم الكلام

تصحيح الفرد جيوم ، مكتبة المثنى ببغداد .

(١٣٠) الشوكانى . محمد بن على بن محمد ت ١٢٥٠هـ

فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير

الطبعة الثانية عام ١٣٨٣هـ .

(ص)

(١٣١) الصاوى . محمد صلاح

رسالة صغيرة فى منزلة الصحابة فى القرآن

مكان الطبع وزمنه غير مذكور عليها .

(١٣٢) صبحى . أحمد محمود

نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية

نشر دار المعارف بمصر .

(١٣٣) صقر . السيد أحمد

مقدمة كتاب اعجاز القرآن للباقلانى

الطبعة الثالثة ، نشر دار المعارف .

(ط)

(١٣٤) ابن طباطبا . محمد بن على المعروف بابن الطقطقا ت ٧٠٩هـ

الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية

نشر دار صادر فى بيروت عام ١٣٨٦هـ .

(١٣٥) الطبرى . الامام أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ

(أ) جامع البيان فى تأويل آى القرآن لمحمد بن جرير

طبع دار المعارف بمصر ، تحقيق الاخوان محمود وأحمد شاكر .

(ب) تاريخ الأمم والملوك

طبع القاهرة عام ١٣٥٨هـ ثمانية أجزاء .

(١٣٧) الطوسى . الوزير السلجوقى نظام الملك

سياسة نامه

ترجمة وتعليق العزاوى ، نشر دار الرائد العربى .

(ظ)

(١٣٨) ظهير . الشيخ احسان الهى ت ١٤٠٧هـ

(أ) الاسماعيلية تاريخ وعقائد

الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ ، طبع دار عالم الكتب .

(ب) الشيعة والسنة

الطبعة الثانية عام ١٣٩٥هـ ، مطبعة وفاق .

(ع)

(١٤٠) عبد الوهاب . الامام محمد بن عبد الوهاب ت ١٢٠٦هـ

(أ) مجموعة التوحيد

طبع على نفقة محمد العبيكان .

(ب) مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

(ج) الرسالة السابعة من رسائل الشيخ

ضمن الجامع الفريد ، الطبعة الثانية .

(١٤٣) العبد . عبد اللطيف محمد

الانسان فى فكر اخوان الصفا

نشر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

(١٤٤) عبده . الدكتور عيسى عبده

دراسات فى الاقتصاد السياسى

نشر دار الفتح ، الطبعة الأولى عام ١٣٨٨هـ .

(١٤٥) ابن العربى . أبو بكر محمد بن عبد الله المعافرى ت ٥٤٣هـ

العواصم من القواصم

تحقيق محب الدين الخطيب .

(١٤٦) العرشي . القاضى حسين بن أحمد ت ١٣١٩هـ

كتاب بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى اليمن من ملك وامام

طبع فى القاهرة عام ١٩٣٩م .

(١٤٧) العش . الدكتور يوسف العش
(أ) تاريخ عصر الخلافة العباسية
نشر دار الكتاب عام ١٩٦٨م .
(ب) الدولة الأموية
طبع دار الفكر بدمشق .
(١٤٩) العشيرى . محمد رياض
التصور اللغوى عند الاسماعيلية
الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية عام ١٩٨٥م .
(١٥٠) العقيقى . نجيب
كتاب المستشرقون
نشر دار المعارف ، الطبعة الثالثة .
(١٥١) عليان . محمد عبد الفتاح
قرامطة العراق
نشر الهيئة المصرية عام ١٩٧٠م .
(١٥٢) ابن العماد . أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى
ت ١٠٨٩هـ
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب
نشر دار الآفاق الجديدة ببيروت .
(١٥٣) عنان . المحامى محمد عبد الله عنان
(أ) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة
نشر ادارة الهلال بمصر عام ١٩٢٦م .
(ب) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية
الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ .

(١٥٥) العوده . سليمان بن حمد العوده
عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة
الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ، دار طيبة .
(١٥٦) العوف . بشير العوف
كتاب اشتراكيتهم واسلامنا
الطبعة الأولى عام ١٩٦٦م .
(١٥٧) عيسى . الدكتور كمال محمد عيسى
العقيدة الاسلامية سفينة النجاة
نشر دار الشروق فى جدة ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ .

(غ)

(١٥٨) الغريب . عبد الله محمد الغريب
كتاب وجاء دور المجوس
دار الجيل للطباعة عام ١٩٨١م .
(١٥٩) الغزالى . أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد ت ٥٠٥هـ
(أ) فضائح الباطنية
تحقيق عبد الرحمن بدوى ، نشر الدار القومية بالقاهرة
١٣٨٢هـ .
(ب) المنقذ من الضلال
مطبعة حسان .
(١٦١) الغزالى . الشيخ محمد
(أ) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين
الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ ، مطبعة حسان .

(ب) نظرات فى القرآن
مطبعة السعادة ، الطبعة الرابعة ١٣٨٣هـ .
(ج) هذا ديننا
مطبعة حسان ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٥هـ .

(ف)

(١٦٤) ابو الفداء . عماد الدين اسماعيل بن على ت ٧٣٢هـ
المختصر فى أخبار البشر ويسمى بتاريخ أبى الفدا
نشر دار المعرفة ببيروت .
(١٦٥) الفيروز بادى . مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ
القاموس المحيط
نشر مؤسسة الحلبى وشركاه بالقاهرة .

(ق)

(١٦٦) قاسم . الدكتور محمود
دراسات فى الفلسفة الاسلامية
الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٣م نشر دار المعارف بمصر .
(١٦٧) ابن القاسم . يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد
ت ١١٠٠هـ
(أ) غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى
نشر دار الكاتب العربى ١٣٨٨هـ .
(ب) أنباء الزمن فى أخبار اليمن
جمع حسن سليمان محمود .

(١٦٩) القاضى . وداد القاضى
الكيسانية فى التاريخ والأدب
نشر دار الثقافة فى بيروت عام ١٩٧٤م .

(١٧٠) ابن قتيبة . عبد الله بن مسلم الدينورى ت ٢٧٦هـ
كتاب المعارف
نشر دار احياء التراث العربى فى بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ .

(١٧١) القرطبى . غريب بن سعد ت ٣٦٦هـ
صلة تاريخ الطبرى
مطبعة الاستقامة بالقاهرة عام ١٣٥٨هـ .

(١٧٢) القصيبى . عبد الله
الصراع بين الاسلام والوثنية
الطبعة الأولى .

(١٧٣) قطب . الأستاذ سيد قطب ابراهيم
(أ) خصائص التصور الاسلامى
نشر دار الشروق ، الطبعة الرابعة عام ١٣٩٨هـ .
(ب) العدالة الاجتماعية فى الاسلام
مطبعة الحلبى ، الطبعة السادسة .
(ج) فى ظلال القرآن
دار احياء التراث ، الطبعة السابعة ١٣٩١هـ .
(د) مشاهد القيامة فى القرآن
طبع فى بيروت .

(١٧٧) قطب . محمد قطب ابراهيم
جاهلية القرن العشرين
طبع دار الشروق عام ١٣٩٤هـ .

(١٧٨) القفارى . الطالب ناصر عبد الله القفارى
فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة
رسالة ماجستير فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
عام ١٤٠١/١٤٠٢هـ .

(١٧٩) ابن القلانس . أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥هـ
تاريخ أبى يعلى المعروف بذيل تاريخ دمشق
طبع فى بيروت عام ١٩٠٨م .

(١٨٠) القلقشندى . أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ
صبح الأعشى فى صناعة الانشاء
طبع فى القاهرة عام ١٣٨٣هـ .

(١٨١) ابن القيم . شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الحنبلى ت ٧٥١هـ
(أ) اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان
تحقيق محمد الفقى ، مطبعة الحلبى عام ١٣٥٧هـ .
(ب) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة
نشر مكتبة الرياض .
(ج) المنار المنيف فى الصحيح والضعيف
تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الأولى .

(ك)

(١٨٤) الكتبى . محمد بن شاكر بن أحمد ت ٧٦٤هـ
(أ) فوات الوفيات
تحقيق احسان عباس ، نشر دار صادر فى بيروت ١٩٧٣م .

(ب) نجوم التواريخ أو جامع التواريخ

(١٨٦) ابن كثير أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ

(أ) البداية والنهاية في التاريخ

مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٥٨هـ .

(ب) تفسير القرآن العظيم

نشر دار الفكر .

(ج) استشهاد الحسين

تقديم محمد غازي ، مطبعة المدني بالقاهرة .

(ل)

(١٨٩) اللالكائي . أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة

تحقيق أحمد سعد حمدان ، نشر دار طيبة في الرياض .

(م)

(١٩٠) مغربي . أحمد محمد

دور اليهود في الفرق الباطنية

رسالة ماجستير في جامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠١هـ ،

اشراف الشيخ محمد الغزالي .

(١٩١) مسكويه . ابو علي الخازن أحمد بن محمد ت ٤٢١هـ

تجارب الأمم

مطبعة الكردي بمصر سنة ١٣٣٢هـ .

(١٩٢) مسلم . أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى ت ٢٦١هـ
صحيح مسلم بشرح النووى
طبع ونشر المطبعة المصرية .
(١٩٣) المصرى . محمد بن عبد الهادى
معالم الانطلاقة الكبرى
دار طيبة فى الرياض ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ .
(١٩٤) المعرى . أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان
ت ٤٤٩هـ
رسالة الغفران
شرح كامل الكيلانى ، طبع المكتبة التجارية ١٣٤٢هـ .
(١٩٥) المقدسى . أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٣٨٨هـ
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم
نشر مكتبة خياط ببيروت .
(١٩٦) المقريزى . أحمد بن على بن عبد القادر ت ٨٤٥هـ
(أ) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا
تحقيق الشيال ، طبع فى القاهرة عام ١٣٨٧هـ .
(ب) الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر
الخطط والاثار
مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤هـ .
(ج) المقفى الكبير
طبعة دار الغرب الاسلامى فى بيروت عام ١٤٠٧هـ .
(١٩٩) الملطى . أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن
الشافعى ت ٣٧٧هـ
التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع
طبع سنة ١٣٨٨هـ فى القاهرة بتحقيق محمد زاهد الكوثرى

(ن)

(٢٠٠) النسائي . أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن دينار ت ٣٠٣هـ
سنن النسائي المجتبى
طبع الحلبي ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣هـ .
(٢٠١) النشار . علي سامي النشار
نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام
طبع دار المعارف ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩م .
(٢٠٢) النمر . الدكتور عبد المنعم النمر
كتاب الشيعة المهدى الدروز تاريخ ووثائق
الطبعة الثالثة عام ١٤٠٨هـ .

(هـ)

(٢٠٣) هلال . ابراهيم هلال
ولاية الله والطريق اليها
نشر دار الكتب الحديثة .
(٢٠٤) الهمذاني . القاضي عبد الجبار بن أحمد ت ٤١٥هـ
تثبيت دلائل النبوة
بتحقيق عبد الكريم عثمان ، نشر الدار العربية للطباعة ، بيروت ١٣٨٦هـ .
(٢٠٥) الهيثمي . أحمد بن حجر الهيثمي
الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة
نشر مكتبة القاهرة عام ١٣٧٥هـ .

(و)

(٢٠٦) الواسعي . عبد الواسع بن يحيى اليماني
تاريخ اليمن المسمى فرحة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن
المطبعة السلفية عام ١٣٤٦هـ .
(٢٠٧) الوادعي . مقبل بن هادي الوادعي
الالحاد الخميني في أرض الحرمين
الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ .

(ي)

(٢٠٨) اليعلاوي . محمد اليعلاوي
كتاب ابن هانيء المغربي الأندلسي
طبع دار الغرب الاسلامي في بيروت عام ١٤٠٥هـ .
(٢٠٩) مجلة المجتمع الكويتية وهي مجلة اسلامية اسبوعية تصدر في دولة الكويت صباح كل ثلاثاء عدد ٨١٢ عام ١٤٠٧هـ .

(ج) مصادر ومراجع الشيعة الامامية الاثني عشرية :

(ب)

(٢١٠) البحراني . هاشم سليمان
كتاب البرهان في تفسير القرآن

طبعة طهران عام ١٣٧٤هـ .

(ج)

(٢١١) الجزائرى . نعمة الله الموسوى الجزائرى
كتاب الأنوار النعمانية
الطبعة الأولى فى طهران .

(ح)

(٢١٢) الحميرى . أبو سعيد نشوان الحميرى ت ٥٧٣هـ
الحور العين
الطبعة الأولى بمصر عام ١٣٦٧هـ .
(٢١٣) ابن أبى الحديد . أبو حامد عبد الحميد المدائنى ت ٦٥٥هـ
شرح نهج البلاغة
طبع مصر ١٩٦٠م .

(خ)

(٢١٤) الخراسانى . حسين الخراسانى عالم شيعى معاصر
كتاب الاسلام على ضوء التشيع
خال من ذكر المطبعة وتاريخ الطبع .
(٢١٥) الخمينى . آية الله روح الله
(أ) كتاب الحكومة الاسلامية

(ب) دروس فى الجهاد والرفض
(٢١٧) الخوئى . أبو القاسم الموسوى
معجم رجال الحديث
مطبعة الآداب بالنجف ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٠هـ .

(ز)

(٢١٨) الزنجانى . ابراهيم الموسوى
عقائد الامامية الاثنى عشرية
الطبعة الأولى فى بيروت عام ١٣٩٧هـ .
(٢١٩) الزيد . يحيى بن حمزة
طوق الحمامة فى اثبات الامامة (من كتب الشيعة الزيدية)

(س)

(٢٢٠) السبيتى . عبد الله بن محمد عالم شيعى معاصر
كتاب تحت راية الحق
طبع طهران عام ١٣٤٩هـ .

(ش)

(٢٢١) الشيبى . مصطفى كامل
الصلة بين التصوف والتشيع
نشر دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .

(ص)

(٢٢٢) الصدر . محمد باقر شيعي معاصر
تاريخ الغيبة الصغرى
الطبعة الأولى في بيروت عام ١٣٩٢هـ .

(ط)

(٢٢٣) الطبرسي . أحمد بن علي
الاحتجاج
طبع دار النعمان بالنجف عام ١٣٨٦هـ .
(٢٢٤) الطبرسي . حسين شوري
فصل الخطاب
المجمع العلمي العراقي .
(٢٢٥) الطبري . محمد بن جرير بن رستم الطبري
دلائل الامامة
طبع النجف عام ١٣٦٩هـ .
(٢٢٦) الطهراني . محمد حسن اغابزرك
كتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة
طبع النجف ١٣٩٦هـ .
(٢٢٧) الطوسي . محمد بن الحسين
(أ) الغيبة
مطبعة النعمان بالنجف ، الطبعة الثانية عام ١٣٨٥هـ .
(ب) تلخيص الشافي
الطبعة الثالثة في قم عام ١٣٩٤هـ .

(ج) الفهرست
الطبعة الثانية فى النجف عام ١٣٨٠هـ .

(ع)

(٢٣٠) العاملى . محمد حسين الزين
الشيعة فى التاريخ
مطبعة العرفان بصيدا عام ١٩٣٨م .

(٢٣١) عبد العال . محمد جابر
حركات الشيعة المتطرفين
مطابع السنة المحمدية عام ١٣٧٣هـ .

(٢٣٢) العلوى . على بن محمد بن عبيد الله العلوى عاش فى القرن الثالث
سيرة الهادى الى الحق يحيى بن الحسين
تحقيق سهيل زكار ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٢هـ .

(٢٣٣) العياشى . محمد بن مسعود
تفسير العياشى
المطبعة العلمية بقم .

(ف)

(٢٣٤) فياض . عبد الله شيعى معاصر
تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة
طبع بيروت ، مؤسسة الأعلمى .

(ق)

(٢٣٥) القمى . سعد بن عبد الله بن أبى خلف ت ٣٠١هـ
كتاب المقالات والفرق
مطبعة حيدرى بطهران عام ١٩٦٣م .

(٢٣٦) القمى . محمد بن على بن بابويه
(أ) اكمال الدين واتمام النعمة
طبع النجف ١٣٨٩هـ ، المطبعة الحيدرية .
(ب) من لايحضره الفقيه
الطبعة الخامسة عام ١٣٩٠هـ .

(ك)

(٢٣٨) الكاشانى . الفيض الكاشانى
كتاب الوافى
المكتبة الاسلامية بطهران .

(٢٣٩) آل كاشف الغطاء . محمد حسين شيعى معاصر
أصل الشيعة وأصولها
طبع مؤسسة الأعلمى للمطبوعات .

(٢٤٠) الكشى . أبو عمرو محمد بن عبد العزيز
معرفة أخبار الرجال
طبع الهند عام ١٣١٧هـ .

(٢٤١) الكلينى . محمد بن يعقوب ت ٣٢٩هـ
أصول الكافى
طبع طهران ١٢٧٨هـ .

(م)

(٢٤٢) المامقاني . عبد الله المامقاني
كتاب تنقيح المقال
طبع النجف عام ١٣٤٨هـ .

(٢٤٣) المعري . أبو العلاء أحمد بن عبد الله ت ٤٤٩هـ
رسالة الغفران
طبع المكتبة التجارية سنة ١٣٤٢هـ .

(٢٤٤) المسعودي . أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ
مروج الذهب
تحقيق محمد محيي الدين ، نشر دار الفكر عام ١٣٩٣هـ .

(٢٤٥) ابن المطهر . الحسن بن المطهر الحلي
كتاب منهاج الكرامة في اثبات الامامة
مطبوع على منهاج السنة بتحقيق محمد رشاد سالم .

(٢٤٦) المظفر . محمد رضا المظفر
كتاب عقائد الامامية
طبع القاهرة .

(٢٤٧) المظفري . محمد حسين
كتاب تاريخ الشيعة
طبع الزهراء عام ١٣٥٢هـ .

(٢٤٨) مغنية . محمد جواد شيعي معاصر
كتاب الشيعة في الميزان
دار التعارف للمطبوعات .

(٢٤٩) المفيد . محمد بن محمد النعمان البغدادى ت ٤١٣هـ

(أ) شرح عقائد الصدوق

طبع تبريز عام ١٣٧١هـ .

(ب) أوائل المقالات فى المذاهب المختارات

طبع النجف عام ١٣٩٣هـ .

(ج) الارشاد

المطبعة الحيدرية فى النجف عام ١٣٩٢هـ .

(٢٥٢) الموسوى . موسى الموسوى الأصبهانى شيعى معاصر

الشيعة والتصحيح

(ن)

(٢٥٣) الناشىء الأكبر . عبد الله بن محمد

مسائل الامامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط

طبع بيروت عام ١٩٧١م .

(٢٥٤) النعمانى . محمد بن ابراهيم

كتاب الغيبة

مطبعة النعمان عام ١٣٨٥هـ .

(٢٥٥) ابن النديم . محمد بن اسحاق البغدادى ت ٣٨٥هـ

كتاب الفهرست

طبع فى طهران سنة ١٣٩١هـ .

(٢٥٦) النوبختى . الحسن بن موسى ت فى أواخر القرن الثالث

فرق الشيعة

الطبعة الرابعة عام ١٣٨٩هـ .

(ى)

(٢٥٧) اليعقوبى . أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ت ٢٨٤هـ
تاريخ اليعقوبى
طبع النجف عام ١٣٥٨هـ .

(د) مراجع ومصادر الشيعة الباطنية الاسماعيلية :

(أ)

(٢٥٨) اخوان الصفا
رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء
دار صادر فى بيروت ، طبع عام ١٣٧٦هـ .

(٢٥٩) ادريس عماد الدين القرشى ت ٨٧٢هـ
عيون الأخبار وفنون الاثار
نشر دار التراث الفاطمى ببيروت عام ١٩٧٣م .

(٢٦٠) الأعظمى . محمد حسن
الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية
الهيئة المصرية العام عام ١٩٧٠م .

(ت)

(٢٦١) تامر . عارف
(أ) أربع رسائل اسماعيلية
نشر دار الكشاف ببيروت عام ١٩٥٢م .

(ب) الامامة فى الاسلام

نشر دار الكاتب العربى ، بيروت .

(ج) القرامطة أصلهم نشأتهم

نشر دار مكتبة الحياة .

(د) عبقرية الفاطميين

(هـ) مقدمة كتاب الهفت والاظله

(ج)

(٢٦٦) جعفر . بن منصور اليمن

(أ) كتاب الفرائض وحدود الدين

نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩٥٨م .

(ب) كتاب تأويل الزكاة

(ج) كتاب الكشف والقرانات

(٢٦٩) الجورى . أبو على منصور العزيزى

سيرة الأستاذ جوذر

تقديم محمد كامل حسين ، مطبعة الاعتماد بمصر .

(ح)

(٢٧٠) الحارثى . طاهر بن ابراهيم اليمانى ت ٥٨٤هـ

الأنوار اللطيفة فى فلسفة المبدأ والمعاد

طبع ضمن كتاب الحقائق الخفية .

(٢٧١) الحامدى . حاتم بن ابراهيم ت ٥٩٦هـ

(أ) رسالة زهر بذر الحقائق

طبعت ضمن منتخبات اسماعيلية ، جمع عادل العوا عام ١٣٧٨هـ في دمشق .

(ب) كنز الولد

طبع دار صادر ببيروت .

(٢٧٣) حسن بن نوح

كتاب الأزهار

(٢٧٤) الحاجب جعفر

سيرة جعفر الحاجب

نشرة في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، نشر محمد كامل حسين .

(٢٧٥) حنظلة . داعى الدعاة على بن حنظلة الوداعى ت ٦٢٦هـ

سمط الحقائق في عقائد الاسماعيلية

تحقيق العزاوى ، نشر المعهد الفرنسى .

(خ)

(٢٧٦) خسرو . الرحالة ناصر خسرو القباديانى ت ٤٨١هـ

سفر نامه

ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ، الطبعة الثانية عام ١٩٧٠م .

(٢٧٧) أبو الخطاب

غاية المواليد

وهو مخطوطة في مكتبة الأعظمي نسخة منه ، وطبع ضمن المجموع المنتخب لايفانوف .

(ر)

(٢٧٨) الرازى . أبو حاتم أحمد بن حمدان ت ٣٢٠هـ

(أ) كتاب الزينة فى الكلمات الاسلامية العربية

طبع ضمن الغلو والفرق الغالية للسامرائى .

(ب) أعلام النبوة

(س)

(٢٨٠) السجستانى . أبو يعقوب اسحاق بن أحمد ت ٣٣١هـ

(أ) اثبات النبوات

تحقيق عارف تامر ، طبع عام ١٩٦٦م .

(ب) تحفة المستجيبين

طبع ضمن خمس رسائل ، تحقيق عارف تامر .

(ج) الافتخار

طبع مستقلا لوحده .

(د) الينابيع

تقديم وتحقيق مصطفى غالب ، الطبعة الأولى عام ١٩٦٥م .

(ش)

(٢٨٤) شتروطمان

أربعة كتب اسماعيلية

طبع مكتبة المثنى ببغداد .

(٢٨٥) الشيرازى . هبة الله بن موسى بن داود ت ٤٧٠هـ
(أ) ديوان المؤيد فى الدين
(ب) السيرة المؤيدية
وكلاهما بتحقيق وتقديم محمد كامل حسين ، الطبعة الأولى
عام ١٩٤٩م .
(ج) المجالس المؤيدية المائة الأولى
بتحقيق مصطفى غالب ، نشر دار التراث الفاطمى .

(ص)

(٢٨٨) الصورى . محمد بن على بن حسن
القصيدة الصورية
تحقيق وتقديم عارف تامر ، نشر المعهد الفرنسى بدمشق .

(ط)

(٢٨٩) الطيبى . شمس الدين بن أحمد الطيبى
رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور
نشرت ضمن أربع رسائل اسماعيلية ، تحقيق عارف تامر ،
نشر دار الكشاف ببيروت ، الطبعة الأولى .

(غ)

(٢٩٠) غالب . مصطفى اسماعيلى معاصر
(أ) أعلام الاسماعيلية

نشر دار اليقظة فى بيروت عام ١٩٦٤م .

(ب) تاريخ الدعوة الاسماعيلية

نشر دار الأندلس .

(ج) الثائر الحميرى الحسن بن الصباح

(د) الحركات الباطنية فى الاسلام

(هـ) الرسالة الجامعة من رسائل اخوان الصفا

(و) شيخ الجبل راشد بن سنان

(ز) فى رحاب اخوان الصفا

(ف)

(٢٩٧) أبو فراس . شهاب الدين بن نصر ت ٨٨٣هـ

(أ) كتاب الايضاح

تحقيق عارف تامر ، الطبعة الأولى عام ١٩٦٤م .

(ب) رسالة مطالع الشموس فى معرفة النفوس

ضمن أربع رسائل اسماعيلية ، نشر دار الكشاف .

(ك)

(٢٩٩) الكرمانى . حميد الدين أحمد بن عبد الله ت ٤١٢هـ

(أ) راحة العقل

تقديم مصطفى غالب ، نشر دار الأندلس ، الطبعة الأولى ١٩٦٧م .

(ب) كتاب الرياضى

تحقيق عارف تامر ، نشر دار الثقافة فى بيروت .

(ج) المصابيح فى اثبات الامامة
تحقيق مصطفى غالب ، الطبعة الأولى .

(م)

(٣٠٢) مجهول
رسالة الاسم الأعظم
طبعة ضمن أربعة كتب اسماعيلية .
(٣٠٣) المرتضى . عبد الله
كتاب الفلك الدوار فى فضائل الأئمة الأبرار

(ن)

(٣٠٤) النجار . عبد الله
مذهب الدورز والتوحيد
طبع دار المعارف .
(٣٠٥) النعمان بن حيون قاضى الاسماعيلية
(أ) افتتاح الدعوة
(ب) دعائم الاسلام
(ج) تأويل الدعائم
(د) أساس التأويل
(هـ) الرسالة المذهبة
(و) المجالس والمسايرات
(ز) الهمة فى آداب اتباع الأئمة

(٣١٢) النيسابورى . أحمد بن ابراهيم ت فى أواخر القرن الرابع الهجرى

(أ) استتار الامام

(ب) اثبات الامامة

(و)

(٣١٤) ابن الوليد . على بن محمد بن الوليد ت ٦١٢هـ

(أ) رسالة الايضاح والتبيين

(ب) تاج العقائد

(ج) تحفة المرتاد وغصة الأضداد

(د) الذخيرة فى الحقيقة

(هـ) رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول

<u>المراجع الاستشراقية</u> :

(٣١٦) برنارد لويس

(أ) أصول الاسماعيلية

(ب) الدعوة الاسماعيلية الجديدة (الحشيشية)

(٣٢١) براون

تاريخ الأدب فى ايران

(٣٢٢) جولد تسيهر

(أ) العقيدة والشيعة

(ب) مذاهب التفسير الاسلامى

(٣٢٤) أرنولد توينبى

الدعوة الى الاسلام

(٣٢٥) ايفانوف

المنتخب من كتب الاسماعيلية

(٣٢٦) فلهاوزن

الشيعة والخوارج

(٣٢٧) القرامطة لدى خويه ميكال

(٣٢٨) ول ديورانت

قصة الحضارة

(٣٢٩) دى بور

تاريخ الفلسفة فى الاسلام

(٣٣٠) مجموعة من المستشرقين

دائرة المعارف الاسلامية

(٣٣١) التوراة السامرية

انتهت الفهارس ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .